الـمُعْتَزِلَـة

يوسف أسخيرة

الـى دلك الأحد:

لَا يَهُمَّ ما إذا كان كلُّ مَا أُخْبِرِكَ به واقِعِيًا ،بل يَكْفِي أن يُثيِر إعجابكَ ،فَيُحَرّكُ فِيكَ كُلّ تِلْكَ الأُمُور الذَائِبَة بداخلك ،فلا أهتَم لمَا سَيَبْدُو لك بعد هدا التَهْرِيجِ الواقعيّ ،وما ستَحْملُه عني منْ أفْكَار. "
فالْمَرْؤُ يُحِبُّ مَنْ يَمْدَحُهُ وَيكْرَهُ مَنْ يَقُولُ لَهُ الحقِيقَةِ.إنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ مِنْ الحَقِيقَةِ نَفْسُهَا التِي سَتَكُونُ فِيمَا بَعْدِ وَلِيمَتَهَا الدَّسِمَةِ.

الكِتَـاب للواقعِيين ،
والـجَديرُ بالْواقِعْ دَوي الشُّخُوصِ الشَائكَةِ والشَّرِسَةِ ،
التِي تَرْفُضُ الخُضُوع لأيّ كَانْ " المعتزلة" .

يـوسف أسـخـيرة .

إهداء :

كل لحظة علمتني شيئًا ،وكل شخص أظهر لي شيئاً

أشكر كل شخصياتي القبيحة والشرسة،تشرفتُ بإيواءكم بداخلي ،حتَّى ما عاد لشيء القدرة على تحطيمي ،أفتخر بما أنا عليه

الى كل أعمى رفض تمثيل دوره كما ينبغي بل صاح في الملإ قائلا :

إنـيّ أَعلىَ بصَرٍ ! منكُـمْ..

***

لا تبقى في مكان لا يليق بك ،وأصَحُّ أَنْ تُحَارِبَ مِنْ اجْلِ فَضِيلَتِكَ!

لا أُرِيدُ مِنْكَ شَيْءٌ سِوَى أَنْ تَكُونَ نَفْسَكَ وتُـحافَظ على فَـضيلتِـك من كُل وَحْـلٍ مُـثيرْ...،

الى تلك الموناليزا االمغربية

التي لا تزال مقيدة وراء اللوحة

Type equation here.

❋

لِماذا كُل هٰذا"
لن أغْفُو قبل أن أمـيطَ اللـّثـامَ على حقيقة أَننَا ورَغْم إعْتِزالِناَ جميع ما قد يَبدُو لنا مُؤْلِماً ،فنَحنُ لا نَزَال نتَمــسَّكُ بالقليل من اللاشيء تلك ،فقط لنَبْدو أشْياءا تؤُصَفُ بسُوء ذَوماً !
هذا الدي أسميه إنْقِلاباً ، سَيُسَميه آخرون تَفاَهَةً ..
وربما طَيْشٍ في وقت نَشُط فيه الذماغ،لكنني أعلم أن الرحيق لن يصل لأيدي غير الورود ،بل أزهار أنفسهم ستفهم أن الرياح رياحي و الرحيق المنبعث من أصولي هو رحيقهم..
أريد أن أبلغ رسالتي لكل شخص داوم على التنفس وسط القطيع ،حتى رآى أعزلا ووصفه بالنذل المعقد الدي لا يستطيع العيش مثله ،أؤكد لك أنه قادر على العيش مع جميع أصناف البشر عكسك ايها إجتماعي لقد ألفت مضاجعة جارتكم ،وهدا ما لم يستطيعو التفوق عليه به.
العزلة ليست سيئة ولكنك تعطيها فتعطيك بالمثل ،إنها أجدر بإنسانية حتى الآن لم يبلغ إجتماعي ما قد بلغه المعتزلة من العلو ،سأريكم أن العزلة مضاد اللألم والنَذَمِ أيضًا.

أقلودة "

***

في كل لحظة نقْضيها خارج أنفسنا نصاب بالُزكام ،ليس لأن المطر غزير فوق رؤسنا ولكننا عرَات لا تحمينا سوى اللحوم ،وبعض الأقمشة البالية،فالعزلة مضاد لزكام بل أمراض كلها ،وكتير هم من يجيدون الطعن فيها بدعوى التعقيد والجنون غير أنهم في وقت لم يستطيعو أن يعتادو طباعها !

جرب أن تعتزل ؛ لترى العالم كما أراه.

الفرص كتيرة ولكن واحدة تليق بك ،فأحسن إنتقاءها !

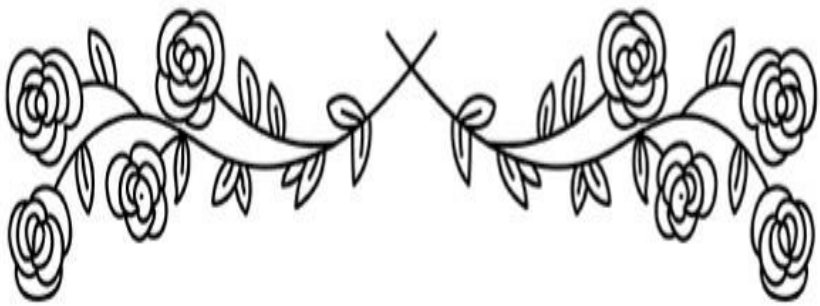

خُلْوَةُ بالنَّفْسِ

* * *

نَغْمَةٌ مِنْ لَحْنٍ شَجيّ يُلْقِيهَا النَّسِيمُ فِي بَهَجٍ غَيْرُ مُعْتَادْ وَقِنِينَةٌ مِن المَاءِ العَذْبِ وعُزْلَتِي ، نَنْعَمُ سَوِيًا بالنُّزْهَةِ ،أمام غَابَةٍ خَضْرَاءَ يَفُوحُ فَصْلَهَا بِولادَةِ الفَصَائلِ الجَّادَّةِ والمُتَجَدِّدَةِ ،فَينْبَعِثُ نُورٌ أَعْمَى كَخُرُوجِ المُخْتَـارُ مِنْ كَهْفٍ،قَدْ أضْلَمَهَ الرَّبِيعُ بِحُزْنِهِ،فَمَا كَانَ لَهُ سِوَى أَنْ يَخْرُجَا سَوِيًا لِيُفَاجِئُو هَذَا الأعْزَلْ ،فَرَفَضَ الغَبِيُّ المُفاجأة وسَارَ نَحوَ منْزِلٍ مَهْجُورٍ تَسْكُنُهُ الغِرْبَانُ ،فِي إِسْتِطْلَاعٍ لِشَغَفِهِ الفُضوُلِيّ،فَمَا وَجَدَ سِوِى الخَرَابِ يَكْسُو عُمْقَ البَيْتِ ،فَقال بنَظْرَتِهِ العَمِيقَة.

" أهَكَذَا يَـصِيرُ إنْسَانُ بعْدَ الهَجْـرِ" الفُراقِ"،مُحَمَّلاً بأَطْنَانٍ منَ الخُرْدَةِ والخَرَابِ الدِي يَهُدَّ كُلَّ حِيلْ"

فَجَلَسَ الأَعْزَلُ علَى خَشَبَـةٍ مَكْسُورَةٍ وَسطَ المَنْزِلِ المَهْجُورِ فِي الفِنَاءِ تَمَاماً ،وأَنْظـارُهُ مُتَوَجّهَةٌ نَحْوَ كَوْمَةٌ مِنَ الجُدْرَانِ المُكَسَّرةُ تَـكْسِيراً فَضِيعاً ،كأَنَّ حَرْبًا مَا ،قَدْ تَنَاوَلَـتِ المَكَانَ فَتَقَيَّأَتْهُ لِسُوءِ طَعْمِهِ وقَبَاحَتِهِ وكُلَّمَا أَدارَ وَجْهَهُ زَادَتْ رُؤْيَتِهِ إتّسَاعًا،وَتَرْهِيبًا،فَيَرىَ فِي المَكَانِ جُثَةً مُنْكَبَّةً مَكَانَ دَلِكَ الرُّكَامَ ،وَدُونَ أَنْ يَرْسُو رَمَشُهُ يَسْتَعِيدُ رُؤْيَتَهُ السَّابِقَةِ، فالأسْوَءُ أَنْ تَكُونَ عَمِيقًا طَوَالَ الَوَقْتِ.

فَحَضَرَ قُنْفُذٌ يُسْرِعُ فِي دُخُولِ للمَنْزِلِ دُونَ أَنْ.يـنْتَبِهَ وإصْطَدَمَ بِرِجلِ أعْزَلِ حـتَّى سُمِعَ صَرَاخُهُ ،فُغَضِبَ الأَعْزَلُ وَقَـرَّرَ القَضَاءَ عَلـيْهِ،فَعِنْدَمَا حَمَلَ صَخْرَةً بِيَدَيْهِ لِيُسْقِطَهَا عَـلَيْهِ،تَفَاجَأَ بِجُرْأَةِ الْقُنْفُذِ ،لَمْ يهْرُبْ بَلْ ظَلَّ واَقِفًا كَعَدوٍّ شَرِسٍ، فَرَأَىَ الأعْزَلُ وَجْـهًا مَـا يَنْعَكِسُ عَلى وَجْهِ القُنْفُذِ فيَقُولُ:

لَرُبَّمَا إسْتَطَعْتَ قَتْلِي بِمُجَرَّدِ أَنَّنِي لَمَسْتُكَ بِإِحْدَى أَشْواكِي خَطَأً،فَهَل كُلُّ الجُرُوحِ تَسْتَحِقُّ القَتْلَ ! أمْ العَفْوَ كَمَا بَرَّأْتَ نَفْسَكَ مِنْ كُلِّ فَصَائِلِكَ دُونَ أَنْ تَلْتَفِتَ لَمَا قَدْ أَوْدَيْتَ إِلَيْهِ دَاتَكَ."

فَخَرَجَ الأعْزَلُ مَرْهُوبًا وضَاعَ وسَطَ أَدْغَالِ.

**

فِي الـخُلْوَةِ كُنْتُ أَغْفُو،بَيْنَ اليَأْسِ و الفَرَحِ ،بَيْنَ الحَيَاةِ وَ المَوْتِ ،لِنَقُولَ أَنني أَخَذْتُ كَأْسًا ممْلُوءاً بِالْكُحُولِ وَحِينَمَا أَنْهَيْتُهُ سَقَطْتُ كَجُثَّةٍ أَرْهَقَهاَ الوُقُوفُ،الشَيْءُ الوَحِيدُ الْدِي أَرْهَقَنِي هُوَ عَدَمُ إسْتِعْدادِي لِأُعْتَزِلْ ،لَمْ أَكُنْ لأَكُونَ هَكَذَا لَوْ إسْتَعْدَدْتُ قَبْلاً لهَكَذَا إخْتِبَارْ،كَأَنْ تُسْرِعَ فِي الجَرِيّ بِأَقْصَى مَا لَدَيْكَ مِن جُهْدٍ عَلَى طَرِيقٍ مُمْتَدّ لتَتَـفاَجَـأَ بِحُفْرَةٍ واسِعَةٍ وعَمِيقَةٍ ولاَ خِيَـارَ لدَيْكَ غَيْرَ الـقَفْزِ مِنْ فَـوْقِهَا ،فَيُمْسِكُكَ رُهَـابٌ الوُقُـوعِ

ففَـتَتَرَدَّدَ،ولَكِنَّ المَكَابِحَ تَنْفَلِتُ مِنْ يَدَيْكَ لِتَبْقَى مُسْرِعًا فيِ الرَّكْضِ وتَدَعَ فُرْصَةَ الوُقُوعِ لِلْقَدَرِ .

إنَّ الأسْوَءُ فِي هَذَا هُوَ دَلِكَ الثَّعَتُّرُ الخَانِقْ الديِ يُصِيبُكَ عِنْدمَا تَضَعُ قَدَمَكَ فِي حُفْرَةٍ بَدَلَ الإسْتِوَاءِ الْدِي تَخَيَّلْتَهُ وَأَنْتَ تسْرِعُ فِي الرَّكْضِ.

فإيَاكَ ودُخُولَ العُزْلَةُ دُونَ إسْتِئْذَانْ ،فأَيَّ كَانَ لاَ يُعْجِبُهُ مَنْ لاَيَحْتَرِمُ حُرْمَةَ المَنَازِلِ.

عِنْدَمَا أُلْقِي لِلْجَمَاهِيرِ فُتَاتَ خُبْزٍ يَحْسِبُونَهُ تَعَاطُفًا ورُبَّمَا شَفَقَةٍ ،لأَنَّهُمْ قَدْ إعْتَادُو تِلْكَ النَّظْرَةِ السَّطْحِيَّةَ تُجَاهَ أَشْيَاءِ،فكَتِيراً مَا وَجَدْتُ التَّأْنِيبَ لِمُجَرَّدِ أَنَّنِي تَفَوَّهْتُ بِكَلِمَةٍ كُنْتُ أَقْصِدُهَا فِي غَيْرِ مَحَلْ، فأَقْبَحُ أَنْ تُوَاجِهِ بِطَابَعِكَ العَمِيقِ شَخْصًا سَطْحِيًا ،فَحَتْمًا لَنْ يُصَابَكَ مِنْهُ سِوَى غَبـاءُ سَطْحِيَتِهِ.

فَقَدَ السُّؤَالَ نَفْسَهُ عِنْدَمَا أُصِيبْ ،فَفَضّـلَ الْصَّمْتَ بَدَلَ إجَابَةِ ،وهَنَا يَسْتَعِيدُ نَـفْسَهُ لِيَكُونَ هُو ِإجَابَـةِ ،لدا لا نكُفُّ عَنِ الصَّمْتِ لأَلاَ نُخَرِّبَ جَمِيعَ الحَفَلاتِ بطَبْعِنَا العَمَلِي الْجَادْ نُجِيدُ بُكُلّ إحْتِرَافِ إبْطَالَ كُلّ المُتَعِ ،كَيْ لَا نُصَدِّقْ هاتِهِ الحِيلَةْ فِي تَـأْجِيلِ الـيأْسِ والشَّقَاءِ.

بَدَتْ ولاَدَتِي مُسْرِعَةً فِي الزَّوالَ،وقَدْ أَبْقَتْنِي مَشْغُولاً بِبَعْضِ الذِّكْرَيَاتِ البَاهِتَةِ التِي مَرَّتْ عَلَى شَبَابِي،أَيَفْتِدُ الإنْسَانُ ذَاكِرَتَهُ عِنْدَمَا يُصْبِحُ نَـاضِجًا أَمْ أَنَّنِي مُصَابٌ بِفُقْدَانِ الذَاكِرَةِ، فلَطَالَمَا إعْتَمَدَتْ ذَاكِرَتُنَـا عَلَى أَسْوَءِ اللَّحَظَاتِ فَقَطْ لِتُذَكِّرُنَا بِمَدَى كُنَّا نَسْتَحِقُّ كُلَّ ذَلِكَ العِقَـابُ ،مَلِلْتُ مِنْ تَمْثِيلِ دَوْرِ أَسْوَءِ طَوَالَ الوَقْتِ ،لِأَنَّنِي لاَ أُجِيدُ تَقَبُّلَ مَنْ يَمْدَحُنِي،ولاَ أُصَدِّقُهُ أَصْلاً ،فكُلَّ دَرْسٍ لِلْحَيَاةِ حَفَرَتْهُ لِي داَخِلَ نَفْسِي.فَحَتَّى وإنْ كَانَ الصَّادِقُ صَادِقًا أَعْجَزُ عَنْ تَصْدِيقِهِ بِطَبْعِي الشَرِسْ ،عَلَّمَتْنِي الحَيَاةُ أَنْ أُعْطِي جُلَّ إهْتِمَامِي لِمَبادِئَ تَرْقَى بِنَفْسِي علَى أَنْ أُضِيعَهُ علَى الحَمْقَى البَشَرْ..

ومِنْ بَيْنِ مُقْتَنَيَاتِي النَبِيلَةِ هِيَ أنْ أَبْتَعِدَ عَنْ كُلِّ البَشَرْ ،حتَّى وإنْ كاَنَ عَسيراً علَى الجَسَدِ ،فَلَيْسَ صَعْبًا عَلى القِكْرِ ،فأَخَذْتُ أَبْحَثُ عَنِ المُتَنَفَّسِ الْدِي يَلِيقُ بِي وبِفِكْرِي ،فَمَا وَجَدْتُ رُكْنًا أَفْضَلَ مِنَ النَّفْسِ حَيْثُ تَنْطَوِي علي ذاَتِهَا.

فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ إعْتَزَلَ شيئًا أخَافَهُ وأَرْعَبَهُ ،فهنُاكَ مَنْ يَعْتزِلُ كَيْ لاَ يُفْسِدَ قَالَباً لِلْحَلْوَى فِي جَنَازَتِه .

علَى إنْسَانَ أَنْ يَعْتَزِلَ مَرَّةً فِي حَيَاتِهِ ،كُلْ مَا يَجِدُهُ مُهِمًا ،بَلَ كُلَّ مَا يُعْطِيهِ قِيمَةٌ ،فقَطْ الأَشْيَاءُ الصَّالِحَةَ هِيَ مَا تَسْتَمِرُّ فِي الوُجُودِ،أَمَّا أُخْرىَ البَائِسَةُ فَتَنْقَرِضُ فيِ الطَّرِيقِ.

إنَّ أَسْوءُ شَيْءٍ أَنْ تَقَعَ فِي إنْزِوَاءِ الْحَيَاةِ وَمَلذَّاتِهَا،لِتَحْيَا وَأَنْتَ تُحَاوِلُ نيْلَها بِكِلُّ حَمَاسَةٍ مُفْرِطَةٍ ،فَالدِي لَا يَنْتَظِرُ شَيْئًا مِنَ الحَيَاةِ لا يَشْقَى طَويلاً،وَلاَ تُصِيبُهُ خَيْبَاتُ الأَمَلِ جَرَاءَ إنْتِظَارِ،وَهَداَ مَا تَعَلَّمْنَاهُ مِنْ طُولِ الشَّقَاءِ،فَقَدْ عَزِمْتُ عَلىَ المَشْيِ فَوْقَ أَشْوَاكِ ،تَارِكاً دِمَائِي خَلْفِي ،وَمَا لأَرْضٍ قَافِرَةٍ لِتَحْيَا بَعْد شُرْبِ تِلْكَ الدِّماءِ،فَلَا أَنَا أُجِيدُ إلْتِفَاتَ وَلاَ المَنْظَرُ خَلْفِي يَسْتَحِقُّ كُلِّ دَلِكَ الإِنتِبَاهِ ،فَكُلَّمَا أُصِبْتُ فِي فَضِيلَتِي ،غَادَرْتُ الْبَحَيْرَةَ ،بِصَمْتٍ يُخْفِي تَعَكُّرَ نَفْسِيَّتِي ،فَلاَ أَعُودُ إلَيْهَا إلاَّ وأَنَا مُتَأَكِّدُ مِنْ صَفَاءِهَا ،حَامِلاً فَضِيلَتِي خَلْفِي ،كَوَلُودٍ حَديثٍ ،إعْتَادَ البقَاءَ فَوْقَ ظَهْرِ وَالِدَتِهِ ،فَالخَوْفُ علَى الفَضِيلَةِ هوَ الفَضِيلَةِ نَفْسُها،كُلُّ مَنْ أَبْصَرَنِي وَحِيدًا ،نَادىَ بِتَعَقُّدِي وَهُوَ نَفْسُهُ قَدْ فَقَدَ نَفْسَهُ ،بَدَوْتُ أَجُوبُ كَلَّ مَوْطِنٍ فَقَطْ لِيَشْهَدُوُ بِنَصْرِي الْمُلَفَّقِ ،وأَنَا الْدِي خَرَجْتُ مِنَ الحَرْبِ حَدِيثًا أَرْتَطِمُ بِجُثَّتِي فَقَطْ لِأظْهِرَ أَنَّهَا عَدُوَّتِي فلاَ أَقْرَبُها حَتَّى مِنْ جَانِبِ الإِنْسَانِيَةِ.أَهْدَرْتَ الكَثِيرَ مِنَ الأَنْفَاسِ ،فِي رَكْضِي وَرَاءَ نَفْسِي فِي وَقْتٍ كَانَتْ الكِلاَبِ "الذكور" تَرْكُضُ وَراءَ غَرِيزتِهِمْ الطَّائِشَة.فَأَيَّ شَيْءٍ تَنْتَظِرُهَ مِنْ هَكَداَ جيلْ ؟

**

سُئِلْتُ كَيْفَ تَخْلُو بِنَفْسِكَ!وهل الخُلْوَةُ رَاحَةٌ وَشِفَاءٌ أَمْ شَقَاءُ وَرِثَـاءْ
"فأجَبْتُهمْ قَائِلاً:

كَيْفَ لِـسَهْمٍ أَنْ يَخْتَرِقَ هَذَا الجَسَدِ ،وَ الْرُّوحُ تَطَبَّعَتْ فِيهَا الثَّغَرَاتِ ،كَيْفَ لِلْعَيْشِ أَنْ يَحْلُو وَ العَقْلُ قِيَامَةٌ ،وكَيْفَ للرُّوح أَنْ تَهْدَأَ والحَرْبُ طَاحِنَةٌ ،لا تَسْتَفِزُّونني بالهُدُوءِ فَمَا ورَاءَ الحَرْبِ جثَّةٌ وَدِماءْ.

فَلَا خُلَوَةً تَكْسُو هَكَذَا أَعْمَاقْ،ولاَ هِيَ قَـادِرَةٌ عَلىَ البقَـاء دوُنَ إنْزِلَاقٍ،أن تَخْلُو هِيَ أنْ يَكُوُنَ لَكَ إسْتِعْدَادٌ بالْنَّوْمِ والْبَقَـاءِ مُتسَطِّحًا دُونَ أَنْ تقوُمَ فيكَ مُؤَامَرَةٌ فتَنْتَهكُ حُرْمَةَ سَكِينَتِكَ وهنَاءِكَ .

كُنْتُ تَعِسًا أنَذَاكَ ،لاَ أَعْلَمُ سَبَبَ كلِّ هَذَا الأَلَمْ الْديِ يَبَاغِتُنِي فِي كُلِّ حينْ ،فَتَرَكْتُ الأَمْرَ لِقَدَمَيَّ لِتُوَجِّهَانِنِي الِى مَصِيرِي التَّعِيسِ ،وَأغْمَضْتُ عَيْنَايَ وَسِرْتُ وَسَطَ الْغَابَةِ، فَمَرَّةً أَتَعثَّرُ فأَكَادُ أَسْقُطُ،

ثُمَّ أَسْقُطُ ،وأنهَضُ مُتَأَلِّمًا مُسْتَمِرًا فِي المَشْيِ الِي أَنْ أَجِدَ مكَانًا يَصْلُحُ لخَلْوَتِي ،فأقول :

على المَرءِ أَنْ يُـقَاسِي ألاَفَ أَمْيَالِ كَيْ يَنعَم بِخَلوَتِـهِ حَتَّى لِـتَانِيَتَيْنِ"

فكلماَ سَقَطْتُ أُرْغِمْتُ على فتح عَيْنايَ ،وَبدَت متَرَنِّحًا في مكاني أَفْحَصُهُ هَلْ هُوَ الْمَكَانُ المُخْـتَارُ ،فلا اجده يَقْرَبُنِي فانْهضُ منه مباغةً لمَسِيرِي ، فَوَصَلْتُ لهَـضَبةٍ تَقْطُنُهَا شَجَـرَةٌ عِمْلاَقَةٌ ، وَقدْ إصْطَدَمتُ بِهَا ،واَصَلْتُ الصُّعُودَ بكُلِّ لهْفَـةٍ وعِنْـدَمَا وَصَلْتُ سَقطْتُ كَـعَجُوزٍ مَا بقيَّ مِنْهُ سِوَي الرِّثَاءُ .إنَّهَا الرَّاحَةُ الأَبَدِيَةُ تَسْرِي فَوْقَ جَسَدِي فَنَخْتَلِطُ سَوِيًا مَعَ المَكَانِ فَلاَ أَشْعُرُ سِوَى الغَفْوَةِ تَسْحَبُنِي إلَيْهَا ،فَأَنَـامُ كَأَنَّنِي لَمْ أَنَمْ لِأَشْهُرٍ،فَكَمْ هُوَ

جَمِيلٌ أَنْ نَعثُرَ علَىَ حُضْنٍ يَحْتَوِيكَ بِدُونِ مُقَابِلْ،بِبَأْسِكَ وَشَقَاءِكَ، حَتَّى تنَـام بَيْنَ ضُلُوعَـه فَلـا مَكَـانَ غَيْرَهُ قَدْ يَصْلَحُ لِغَفْوَتِكَ.

إنَّ أعْـظَمُ خَطَإٍ يَـقْتَـرفُـهُ إنْسَانُ هُوَ السَّمَاحُ بِهَدِهِ الخُلْوَةِ فِـي سَبِيلِ المُشَـارَكَةِ فِي التَهْرِيج إجْتِمَاعيِ بِإسْـمِ الإنْفِتَـاحِ ،فَدَائِمًا مَا يَعْتَزِلُ المَرْؤُ فَقَطْ لِيَنْعَمَ بِخَلْوَتِهِ مَعَ ذَاتِهِ،بَعِيدًا عَنْ ضَجِيجِ المُزْدَحـمَاتِ.

نَعَمْ كُنْتُ أَسْمَعُهاَ وأَنَا مُمَدَّدٌ تَحْتَ ظِلِّ تِلْكَ الشَّجَرَةِ ،مَقْطُوعَةً مُوسِيقِيَّةٌ عَذْبَاءَ صَافِيَةَ ،مَعَ رُوحِ النَّسِيمِ وظِلِّ بَارِدٍ يُمْطِرُكَ زَهْواً ،إنَّهُ خَلِيطٌ عَجِيبٌ مِنَ السِحْرِ يَفُوحُ فيِ الجَّوِّ لِيُخَدِّرَ الجَمِيعَ فَيَنَامُونَ عِنْدَ سَمَاعِهَا .

فَـلَمْ أَكُـنْ بَـرِيئًا كِفَايَـةً لأمْتَنِعَ عَنِ إسْتِمَاعِ دُونَ أنْ أحِنَّ لِغِنَاءٍ شَجِيٍّ يَخَفِّفُ ثِقْلَ الشَّقَاءِ فِينَا.

عَـادتْنِي نفْسي واللَّوْمُ قَاهِرُهَـا تسْأَلُنِي نذَمًا عَنْ يَوْمِ ُخلُودها فتقول "

الي أيْنَ يَا سَيِّدِي ،هَلِ اليَّوْمُ قَرِيبْ ،أَم أَن الصَّبْرَ سَيَطُـول "

يُوجَدُ فِي العالم طبَائعَ ناذرة ،حتى وإن خلت بنفسها ما وجِدَتْ لتُريحَ ذاتَها إنهم دَوي أَرْواح المحترقة التي لا تزال محافظة على نارها دون أَن تنطفِئَ،فلا تقرُبَّنَّهَا كَيْ لاَ تُحْرَقَ بِوَهُجِهَا

فمِثْلُ هَدِه أرْواحِ لا تَرْضَى بالإسْتِسْلامِ وَ الخُضُوعِ بَلْ تُنَصِّبُ نَفْسَهَا عَلَىَ رَأْسِ كُلِّ سُلالَةٍ..

أَلِهَذَا وُجِدْتُمْ " قَالَهَا الحَكِيمُ،لِبعْضِ الأَطْفَالِ وهُمْ يَلعَبُونَ ،فَضَحِكَ أطفال وقَالُو فِي إسْتِهْزاَءٍ "ُوجِدْنَا لنَلْعَبَ مَادا عَنْكَ؟

قال لرُبَّمَا وُجِدْتُ لأجِدَ خَلْوَتِي فيِ مَكَـانٍ تَنْعَدِمُونَ فِيه ،فَإيَـاكُم والسَّيْرَ وَرَائِي كَـي لَا تُهَاجِمُكمْ سَرِيرَتـي وذَهَائي. فَقَالَ أَحَدُهُمْ : لو أَنَّنَا لا نُجِيدُ فَنَّ المُطَارَدَةِ لَمَاعَثَرْنـَا عَلَيْكَ ،إنَّهَا لُعْبتُنَا ونَحْنُ مُحْتَرِفُوهَا .

فَضَحِكَ الحَـكِيمُ وأخَذَ يمْشِي وهُوَ يلْتَفِتُ لِيَرَى إنْ كَانَ الأطْفَالُ يَـتْبَعُونَهُ كَمَا قيلَ.

فَمَا وَجَدَ أَحَداً وَرَاءَهُ ،فقال في نفسه "

بَعِيداً عَنِ الـضَّجِيجِ تُوُلَـدُ الخَلْـوَةُ"

فَـتابَعَ المَسيرَ الِى وَقْتٍ أَحَسَّ فيهِ بالتعبِ فجلس ليستريح ،وادا بنبضٍ يسْتَغيثُهُ قَبْلَ ان يرجع نفسه اول الى داته حينما قفز طفل صغير من بين الأشجار يرعب الحكيم و يقول :

ها قد عثرنا عليك ! كانت قفزته مرعبةً كوحْشٍ إستعدَّ لسِنين لكي يصطاد فريسَتَه البشرية .فعندها إنعدمت الخلوة ،وبقي الحكيم ممداً على ارضٍ كجثةٍ ميّتَةٍ ،فتفاجأة الأطفال بهدا الرد الفضيع على مقْلبِهم البشع ،فأخدو يفحصونهم ولكنهم لم يفقهو شيئا فيه ،بَيْنَمَا هوَ يُفْلحُ في إسْتمَاع لما سَيُبْدُوُنَ في تلك اللَّحْظَة ،فقال أحدهم :

هيا نهرب ونتركه هنا ،وقال تاني : دعونا نرميه في الوادي.

وقال التالت : لنُنْجِدَه و نوُصل أحَداً الِـى مَكَـانِهِ لِيُعَالِجَهُ .وأَخَذَ الأطْفَال يَرْكُـضُونَ بإتِّجَاهِ القَرْيَة تَـارِكينَ الحَكيمَ ورَاءَهُمْ فاقداً لوَعْيِهِ...

وعِنْدَمَا تَغَاشَوْ عَنِ الْنَّظَرِ،نَهَضَ الحَكيمُ مِنْ مَرْقَضِهِ بِكُلِّ إرْتِيَـاحٍ كَأَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ غَفْوةً وقَالَ:

يَا لهَذَا الجِـيلْ ،الخُلُوَّةُ فِي وُجُودِهِ عِقَـابٌ .

وَوَاصَلَ الـسَيْرَ الـىَ مَصَبِّهِ.

الخُلْوَةُ هِيَ إسْتِعَادَةُ لنَّفْسِ ،وَإنْ عُكِّر صَفْوُهَـا لَنْ تَسْتَعِيدَ مِنْهَا سِوَى الأَلَمِ

**

تَخَلَّصْ منْ كُل ثقْلٍ ،وإنْعمْ بنَحَـافتِك أخلَاقيَـةِ،لا أَحَـد يُحِبُّ الـذُهوُنَ خُصُوصاً عِنْدَماَ يُـتْخَمُ الـجَـميع. إنهَـا أَوَلُ دَرَجَةِ مَنْ دَرجـاتِ الـخَلْوُةِ.

**

لاَ تَدَّخِرْ جُهْدًا فِي سَبِيلِ إيجَـادِ خُلْوَتِكَ ،فَـأَيْنَمَا تُـوجَدُ الخـلْوَةُ ،تُـوجَدُ النَّفْسُ.

**

الخُلْوَةُ هِيَ المُتَنَفَّسُ الدِي يَنْبَغِي عـلى كُلِّ أحَدٍ الفَوْزَ بِهْ ،لأَنَّهُ لا يُقَدَّرُ بِثَمَنْ

الُـمتَنَفسْ

❋

❋ ❋ ❋

كان الوقت سهوا ،وكانت الظلمة لتكون حالكة في تلك الزاوية لا تسمح بنفاذ البصيرة إليها ،لكنها أخدت تنذر بالزوال بدعوى إشراق ،كانت أشبه بفأر داوم على حماية جبنته ،وفي لحظة سمم الفأر لِسُؤْمِ حالته،وتُرِكَتْ الجُبنة لتَتَعَفَّنْ،فقد غادرها المعْشوق،في تنايا الفراق،بعدما إنجلت الحلكة التي تثمله وتغويه .

فما عاد يرى في المكان سوى حضيرة قد عفنتها آثار أقدام ، فلن تصلح لتكون مأوىً ولا حتى حضن مبيت !

إن أسوء لحظة نمر بها نكون قد إنجلينا من تلك الحلكة في إستطلاع تام ،وربما رَمْشَة واحدة في قلب الوجود ،لنرى مدى إستمرار الوجود بذوننا نحن الذين لا نمتلك شيْئًا ،ولا الشيء يمتلكناً .

فنعود بغثة ،هاربين من مسترقي النظر ،تلك الطبائع القبيحة التي تسمم الواقع بوساوسها ،فنرتمي في حضن زاويتنا ،وحلكتنا معا،كأن لقاءنا لم يتجدد إلا بعد إنهيار قرون ،جثة منكبة في الزاوية قد إنهزمت في معركتها مع القذر فراكمها في الزاوية خوفا من أن يترسب عفنها فتنتقل العدوى لدوي النفوس المهترئة ...

مَنْ يُجيدُ النظر في الحلكة لن تقهره العزلة أبدا ؛ فقد ألفت بصراه معاندة العجز نفسه ، والظلمة ذاتها...

هذا المأوى المُفَضَّلِ ،بل الوكر المُخَلِّصْ الدي ينفث أشاعيرا متلبدة فوق النفوس ،فينثر عليها سحره ،لتغط في حبه وعشقه .إننا لنبدو لا شيء تماما ونحن نتماهى مع زاويتنا ،دلك الركن المفضل الدي يرهب الجميع ما عداك .

اليوم هو البارحة والزاوية نفسها ،والمكان نفسه ،الظلمة كذلك ،الكآبة تزورني لتلقي السلام و تنتزع مني ظلمتي لتَصِّب شؤمها فوق أجثمتي ، فأغفو كهالك إستنزف كل قواه في الزحف فوق الرمال لمجرد رؤيته الســراب ،نعم كوليد في أشهره أولى قد إنفلت بصعوبة الى هذا العالم ....

كانت الرؤية لتنعدم ،وكنتُ لأنعدم فيها ،حتى تقيأتني الظلمات بدعوى نفاذ صلاحيتي وإنهداد حيلتي وحلكتي ومقدرتي على مزاولة وحدتي ،فأمطت يداي على خدي ،فوجدت أن لا ظلمة تأويني ،وما تصلح لي سوى زاويتي وركني ! فأخدت أنعثها بأشاعيري ،فما وجدت مكانها سوى بعض آثات ،وكراسي و بعض زجاجات الكحول ،فسألتهم أين زاويتي ؟

فابتسمو وقالو" عندما رأت النور فرت هاربة تاركة إياك ،ولربما إنتقلت الى مكان لتستطيع فيه النجاة منك لم تنساك فقد تركت بيدنا رسالة لمعشوقها المفضل هاك الرسالة؛

يا ويلي ! إنها كآبتي التي إنجلت منذ شهر ،وقد إنتزعتها من نفسيتي وألصقتها في تعابيري ،وها هي ذا تعود قانطة من الإرتكان في زاويتي ،فأين أذهب الآن !

أسوء لحظة يمر بها إنسان لم تأتي بعد ؛ فحثما تلك اللحظة لن تكون سوى من صنع إنسان ،بل من حماقة هذا كائن نفسه .

عندما إرتكنا في تلك الزاوية ،بل فضلنا العيش في الظلمات بعدما أَتْلَفَتْ الأضواء أبصارنا ،إعتكفت الأشاعير لتبقى ذفينة ،ولتنهال على نفسها بضرب المبرح ،فتسقط من فرط آلامها ،فتنكب الى العمق مطمورة مُرتَعِبةً ،في سباتها العلاجي ، ففي لحظة إحتدم العراك ،وإنْقَشَعَتْ النوَايـا ،وإرْتَطَمتْ القوافي ،فنهض الرعاع يصرخون ،تلك زاويتنَا ،ونحن أحق بها ،أنتم أيها "المُعْتَزِلَةً " المُعقّدون ،لا تملكون غير أنفسكم ؛ لماذا التبجح بإمتلاك زاويتنا من هذا العالم ؟ !

هذا الغزو العنيف الذي يبدو كلَعْنَةٍ فُقِذَتْ السيطرة عليها ،فصاح فسادها معلنا بداية كرمه ،بل عجزه عن الوجود نفسه .ما هو إلا الضعف نفسه ،والخوف ذاته

أكتر من هم في حاجة ليصطحبو أنفسهم الى تلك الزاوية من الوجود ،نعم زاويتنا ،هم هؤلاء ،

إنهم في حاجة ماسة ليعاد تركيبهم معنويا ،حتى يبلغو من المقام ما بلغه المُعْتزِلَة ،إنهم أفْقَر من أن يتواجدو في زاويتنا ،فبقدر ما تُرْهِبُهمْ ،بِقَدْرِما لا يستطيعون تَقـبُّلها ،وضرب في إخلاصها.

إن إنسان مهما بدت له الأشياء مخلصة ،وإن تأتت له من أعماق ألوهية ،وبدت ضاربة في حياءه و نفسيته ،حتى ينكر وجودها ،ويعارض صحتها ،

فأيُّ مَنْ لا قُدْرَة له على الوحدة ،فيصرخ في أعماقه "إنهم مجرد معقدين " بل خلاصة تجارب مأساوية

لتلك العلاقات الغرامية التافهة ، حتى أنهم ليبلغو من إنحطاط من يحني رأسه في أرض كنعامة أرعبها مفترسها فما وَجَدَتْ مأوى يأويها من الغَرقِ بين فكَيْ الذئاب سوى ذلك الشُّقْ الضَّيّقِ من أرض...

رُكنٌ في أعلى المنزل ، بل في قبَّتِه ، يبدو مقفرا ومهترئا لا تصله أبصار ولا أقدام ،تلك هي زاويتنا ،

نحن الذين لا نستحمل البقاء خارجا في مواجهة عظمة الشمس نفسها ، إننا لا نرتعب إلا ِمن أن تُفْقدَ فينا تلك الظلمة فنبدو تائهين عديمي أنفسهم ،فنرى في أجثمتنا متاهة مغلقة ،السبيل معدوم و الطعم نفسه كذلك ، فأكتر من ولدو حتى الآن يتهربون من عظمة السفوح ، بل حتى عظمة الزوايا ،فلا يجيدون غير العيش منْبطِحين تحت أقدام الرُّهْبانِ ،آلِفِينَ وساَخَةَ أنْفسهِم وقَذارة حضيرتهم"المجتمع".

كنت أغفو على زجاج نافذتي ،التي لا تكاد تسمح لي باللعب والرسم وجهي البائس عليها ببقايا لعابي النثن ،حتى تختفي ملامحي بفضل الجو الحار الذي يذيب عواطفي ،فأنهض مسرعا وأمسح نافذتي كي لا يراها أحد فيشتمني بدعوى رسمي البائس الفضيع ،

لا أجيد إختيار ،فاليوم أعيش في الزاوية وغدا في ركن صغير ،وبعدها في مكعب ،وأنتهي بخطوة ،

فلا يمكن للإنسان أن يكون غير نفسه ،مهما بلغ من إيجاب القمم ،سيظل يلعن أعماق التي ولد فيها ..

أعلم أن الزاوية ستبدو ،مجرد مكان قبيح ،خصوصا لتلك الفئة القذرة من هدا العالم التي ترى في نفسها المكان المتاح لجميع الجميع ، الحانات و "مكبات النفايات"* و الحضيرة نفسها.... إني لا أصلح لهؤلاء ،حتى أن زيارتي لإحدى الحانات لم تكتمل قط ،عندما دخلت بالخطأ وخرجت بالخطأ ، دخلت فارغ الجيوب و خرجت ممتلئ النفس لحد التقيؤ بتلك القباحة التي وجدتها منبطحة فوق المسرح ترقص للمشاهدين ،

الأمر أشبه بدجاجة تمارس الرقص لتشبع غريزة ديك لعين، محاولة إرضاء الذئاب ، فكلما حضر الكتير إزداد أجرك أيتها الراقصة الرخيصة!

إن أي أنتى لم تقصد قط الملاهي والحانات ،بل ولدت في الملاهي نفسها ولكن بقدر بسيط من إختلاف ،فقد تراها ماطلة تحاول إصطيادك في الشارع بدعوى الجمال و الحياء والعفة المنمقة ، أكترهن حياءا ،أكترهن عهرا ....

إن الفهم المعقول ،ليس صعْباً ،الصَّعْبُ هو في إسِتِصْعاَبِهِ فقط ، فَدَلْوي لن يُرَى ولن يُفْهَمْ ما يحْتويهِ إلا من َذاقَ ما فيه ،إن كان ماءا أو كحول..أو لاشيء تلك...أنا لست ممن يثملون لمجرد أنني قلت الحقيقة ، فهدا العالم لا يستحق أن يولد فيه من لا قدرة لهم على الوقوف بأنفسهم ...حتى ركننا وزاويتنا المألوفة لن ترضى بغير الطرد و إلقاء بسقة مهينة على أمثالهم.

مهما بدوتُ قاسِيًا ولكنها الحقيقة التي ستخيف البعض وسيضحك آخرون عليها بدعوى أنها باطلة في لحظة ولِدَتْ لتُقْشِل مخططا وجوديا في الولادة ،طبيعة إنسان تتنكر في إخفاء نفسها ،فالكاذب يسرع في إلقاء الُتهَمِ على الضحية خوفا من إحراج ،ولا يحرج أتناء إسراعه في الكذب ..والخاَئن يسرع في تبْريِر ِخيانَتهِ بدعوى أنَّه هُومن تم خِيانَتُهُ...

***

بعدما نام الكل ،أخد بسام الشاب أعزل ،يستعيد نفسه وراء نافذته التي تطل على الشارع ،الحافل بأضواء بينما غرفته تفتقر لها ،معججة بالظلمات حتى هو لم يكن وقته يكفي للخوف من البقاء وحيداً في ذلك

الركن من الغرفة ،فتجتاحه نوبة من القلق فيجلس في ركنه الكئيب ،وعندما يسمع ضجيجاً ينبعث من قلب الخارج يسرع في النظر اليه ،كأنه ينتظر أحداً يجبره على الخروج من ركنه المألوف ،ويا للغرابة لم يأتي أحد ،كانت مجرد قطط تلعب بالحاويات ،تبحث فيها عن بقايا الأسماك و النفايات لإسكات جوعها ،في كل مرة ينفلت من ركنه آملا أن يجد احداً أمام نافذته يصرخ في وجهه قائلا: كفاك إرتكانا ،تعال معي؛ لاأحد ،ظل الفتى ينام على بصيص من الأمل في قدوم أحد ،فأتى شخص ما ،مهلا إنها والدته وضعت له طعام العشاء تم دهبت ،كأنه قط أزعج بوجوده صاحب المنزل فلا يدعوه للمائدة بقدر ما يترك له الطعام في أرض ، بعد أشهر من العيش السحيق وسط تلك العثمة القاتلة ،تقهقهر الفتى وأصابه العياء ،وما عاد به السير يسير ،أصبح منطرحا لا حيلة له بالوقوف على قدميه ،حتى أن ملامحه قد غادرته بغتة فتلون جلده بالأحمر و تحت عينيه بالأسود، يأتي الزوار ليروه تم يقولون " بالصحة والعافية" ،ويذهبو ليأتي آخرون ! كان يعيش في زاويته كأنه جحره الأبدي الدي سيفنى فيه وقد حدت ما توقعه ،لقد توفي الفتى في صباح لم يشرق عليه، وسبب وفاة ضائع ولإسكات السؤال ،قالو انه مات مسموما

!وقد ترك رسالة قبل وفاته بأيام تقول :

إن الجحر جحري ،فلا أرضى لغيري بسكناه مادامت قد تنفست بداخله ،وتنفس هو ايضا بداخلي ،وإن غزاه القساة فلن ارحم أحدا لأقوم من قبري فلا اترك سوى الجثة منكبة ورائي ،فقد ألفت العيش وسط الظلمات وما لي مكان غير جحري ولاشيء من ذون عزلتي...

الجميل في بعض أحيان ،أننا لا نفارق معظم أماكننا فقط لنشعر بتلك الأحاسيس المنفلتة من فم القطيع ،المتعة في ولادة الفضيلة ،فحتى تلك الأماكن المحجوزة بجردانها و قنافدها نعتبرها متنفساً لغرورنا نحن المعتزلة ،فهدا العالم لم يَعدْ فيه رُكن لم يغزهُ إنسان أخرق ،مع دلك نجيد البحث عن آخر ،فنحن محترفون في التنقيب أكتر من آخرين أنفسهم..

دائما ما يرى الناس تلك الكتلة من التجارب النفسية القاسية تبتسم لألا تبين عن ضعفها فتحرج ،لدى لا أحد يهتم إن بكيت ،حتى وإن كنت تتقطع من الألم .

فعلى المرئ أن ينعزل مرة في حياته فقط لينعم بصفاءه الداخلي ويستعيد نفسه الضائعة مرة أخرى.

الصداقة"

***

الحياة مَفْخَخَةٌ ، وهل ظننْتموها حانةً تُشْبع ثمالتكم ،بل تَهْظِمُ مَآسِيكُم ،فتُنْسِيكم فَضَاعَة ذِكريَاتكم ؟ !

إني لم أرى قط من حاول إسْتِرجَاع عَافِيَتِهِ دون أن ينقلب الى حانَتِه الوَفِيةِ ,أو الى كُتُبِهِ الهَزلِيَة ،أوقُرْصِه الصَّلب الذي يكْسِبُه منَاعَة تَحْفِيزية.

فكل يرى الوسيلة في العلاج ،تكون ملائمة مع شخصيته !

فالضُّعَفاء لمْ يُولدُو إلا وهم يَعْتَكِزُون على عَصَاهُم الحَيَّةِ ،"نَعم علَى صَديقهم أو أصدقاءهم "

ليسو قَادرين على العيْشِ الوحيد ذون إذْنٍ من سَاعِدهِم ،بل عصَاهُم نفسها ،فهؤلاء لا يصْلحُون لشَيْء سِوى ليكُونو قَطِيعا يُسَاقُ الى الهاَويَة.
الصداقة مجرد حفار قبور تنتهي مهمته عند دفن

صاحبه تحت أثربته الباردة فلا يعيد له تأره إلا عند ملاقاته في الجحيم ...

إن أكتر المُتبَجّحين بإسم الصَّدَاقةُ لا يَنْفكُو ليَكونُو مجرد عَبِيدٍ بل أَتبَاع ،تُثْقِل كَواهِلهُم تلك التَّبَعِيَة الجبارة لأحدهم ، فالزعيم لا ُيصَادق الزعيم ، و اللئِيمْ لا يُصَادِقُ اللئِيمْ ، و الصَّادِق لا يُصَادقُ الّصَـادِقْ ،الأمر أشْبهُ بمُنَازلَةً دْرَامِيةٍ ، فلإلتقاء صَّادقِين يُوَلِّدُ الحَّسَد ْ.

كنْت في أعالي أمتطي سَهو الرياح ،تحت شجرة البلوط على هظبة مرتفعة ،تهزني النسائم من كلا أطراف فَتَغمُرني بلَطافتها حتى أَبلُغ من الرقاء السحب ،فأنكب ساقطا لصوت مهترئ قد غادره نشاطه في الصِّياَحِ ،إنه عجوز في التمانينيات ماسكا عصاه المعوجة ،شعره الأشقَر المشِيبْ لم يترك له الزمن فيه ولو خصلة سوداء ،ووجهه المكمش ،الذي خُطَّتْ به آثار العُصُور جميعها فقال وهو يُحَرك عصاه مرتعشا ،

يا بني ماذا تفعل وحدك في هذا المكان؟ أوليس لك أصدقاء يؤنسون وحدتك ؟

فأجبته : إني أشك في وحدتي مادَمْتَ تُشَاركنِي هذا المكان، فمهما كانت الوحدة قاسية،على إنسان مجاراتها فإنسان الوحيد ،قادر على لمس ناطحة سحاب ذون أن تحمله أصابع الحتالى ،

فالحاجة للإنسِ كحاجتك أنت لتلك العصى ،الفرق أن البعض يشِيخ في صِغَرِه حتى قَبْل كِبَره .

فضحك العجوز وسقط ميتا ،سكتة ذماغية أَنْهَتْ فترته في اليقظة، فدخل في سباته الأبدي،ولنرى من يؤنسه هناك !

فأَخذْتُ أطْمِرهُ تحت الشجرة،وأنام بجانب قبره كلما شَعرت بالنسيم العليل يغفو فوق جثماني ،فأخاطبه كالمجنون ،وأعود بنفس النفس لأسَائِلَهُ ،

كيف أتاك جو الوحدة في القبر يا عزيزي !

لا يجيب ! عندما تصاحب الصواب يصمت الخاطئ؛ إنه الإحراج يا سادة ".

حيت يولد الضفاذع يولد السمك !

فـأول يـوجه نفسه والتاني يوجهه السرب !

سينط حكيم من بين الكهنة ليسترق غبار ألفاظي و يرى أن الضفادع قذرة وأن النبالة تكتسي السمك ،

فهل رأيتم سربا من الضفاذع تساق وراق زعيمها ؟

إني أرى في هؤلاء مجرد كهنَة ملعونين يقدسون " الصداقة " كتقديسهم للمال والشهرة فالقصيرة تصاحب الطويلة ،لتخفي قصرها ،و البشعة تصاحب الجميلة لتقلل من فضاعة وجودها وحفاوته،

في الغالب يبدون متناسبين ومتجانسين خليط بشع،مع القليل من النوايا الكاذبة ،والمثالية المنمقة المصطنعة ...

حينما يحضر الحسد تنفك الحفاوة ليتولد فيما بعد ما يسمى بالكره ...

إننا نحن الذين إعتزلنا كل شيء ،قد أضعنا هده اللحظة البشعة ،فما تَوَّلَدَ شيء،لا يغْرِيَنا أن نَمْتَثِلَ لأحَد،ولا حتى أن نُرَى في رُؤْيَاهُ حتى !

وقَّـرْناَ على أنفسنا عنَاء أن نُبررللحثالى ما نحن قادرين على فعله،حتى أنه لم يعد في مقدروننا كره أو حقد على أحد ما دمنا لا نرى أحداً.

الفّضِيلة ستبقى سليمة ،معافاة مادامت لم يُسْتَرَقْ إليها السَّمْعُ ولا البَّصَرُ ...

سُؤِلْت مرة بمادا تشْعُرْ ؟

كان الْضَبَابُ حَالِكاً ،والرؤيَة مَعدوُمَةُ ،حتى إِحْسَاسِ بدَى كَفيفاً ، فأجَبت َقائلا ؛

أشعر أنني دَلو فارغ ،يحمل في أعماقه سِنْجابًا مرحًا لم يَصِلهُ فساد هذا العالم بعد .

فضَحِك العَالمْ وقال :

لم يَشْعُرْ أحد بدلك قَبْلَك ؟

فتَى خَرفٌ..

الصَّداَقَة وسيلة إخْتَرَعهَا أبْكَمْ ليُسَاعِدَ نَفسَهُ على الكلام ،وما عداهُ مجرد أكاديب ، فَأَغْلَبُ من طُعِنوُ في كَبِدِ كِذْبَتهم نَطُو مَرِحِين"ْ نحن أوفياء ،والصداقة أَنْبَل من أن تكون مجرد عَصَى نَتَعَكزُ عَلَيْهَا.

إن أي إفْتِراء لا يَنْصَبُّ كإفتِرَاءْ حتى وإن كان هو الحقيقة ذاتها فإنسان ِبطبْعِه يَكْرَه أن يُحْرَجْ

والحَرَج ينْشَأُ عن تضَارُبْ الحقيقة مع الواقع...

متى ستبدو الحقيقة مُكَلِّفَة !

عندما تتَراكَم أكاذيب ، وتصبح أنْتَ بِحَوزتهاَ،

ويكون لديك شيء يستحق الزوال بل الضَّياَعُ و السَّلْبْ، هذا الذِي يُمَيِّزُنَا !

نحن الذين لا نَمتَلِكُ شَيْئاً لنَخْسَره،بل اللاَشَيْء تلك هي من لا تَمْتلِكُنَا .

الأفْضلِية لنا نحن الذين ليس بمقدورنا الكَذِبُ ولا حتى الخيانة مادمنا قد حُرِّرْنَا من تَفاهةِ هذه العَلاقات .

إن أبشع لحظة قد مرت على ناظري هي تلك التي يَسْتَصْعِبُ فيهَا شخص إحداَثْ شيء ما إلا بحضور الوَاشِي ،هو وسيلته إعلامية وفخره لنفسه ...

إني أفتَخِرُ بِنفْسي على طول سقوطها ومعاودة إرتقاء خارج مستنقعنا إجتماعي ، دون الحاجة لعصى حية ولا كتب هزلية ولا حتى دمى تحركها قدرة شرائية (فديوهات)....

الإفتخار الذات بنفسها أعظم من إفتخارك بإنتماء الى ذلك القطيع من الغربان السامة ، فأول يُعَوِّدُها على خدمة نفسها وإرتقاء بها والتانية تُعَوِّدُهَا على إمتتال لرغبات القطيع والسَّيرِ على خُطــاه ...

إنَّ الضُعَفـاءُ مَنْ يُجِيدُونَ المُصَاحَبَةِ ،وَلَطَالـمَا تـسـاءَلتْ:

لِمَـاداَ يُصَاحِبُ إنْسَانُ إنْسَانْ! هَلْ لِضَعْفِهِ أَمْ لِقُوَّتِهِ !

لِمَـادَا لاَ تُشَكِّلُ الفَرَاشاتُ سِرْبًا ،فَيُحـلِّقْنَ فِي جَوٍّ مُتَّسِمٍ بالسِّحْرِ.

لِنَقُولَ فِي إنْبِهَارٍ ،أووووهٍ إنَّهُ سْرْبٌ جَمِيلٌ مِنَ الفَرَاشاَتِ،فَلطَالَمـا أبْصَرْنَا كُلَّ فَرَاشَةٍ تَذْهَبُ فِي إتِّجـاهٍ ،فَعَنْ مَادَا تَفْرِقُ هِي عَنِ إنْسَانِ،أَنَّ نَقْصِ كَمَـالَ إنْسَانِ وَشُعُورُهُ بِالفُخْرِ بَعْدَ كُلِّ مَسْرَحِيَّةٍ تَقْدِيرِيَّةٍ ،بَالَغَ فِيهَا النَّاسْ لِمُجَرَّدِ فِعْلٍ وَقِحٍ أَثَـارَ إعْجـابَهمْ ،هُوَ حَتْمًا مِقْدَارُ الشُّعُورْ بالْحِرْمَـانِ والنَّقْصِ الفَضِيعِ،إنَّ حَاجَةَ إنْسَـانِ لِرَفِيقٍ يُخَفِّفُ مِنْ شُعُورِهِ بالْفَرَفِ مِنْ هَذَ العَالَمْ، كَحَـاجَتِهِ لِعَصَى عَوْجَـاءَ تَحْمِلُ ثِقْلَ جُثَّتِهِ عِنْدَمَـا يَشِيبُ عُمْرُه.

نَحْنُ مُحْتَرِفُونَ فِي إبْهَارِ النُّفُوسِ الخَاضِعَةِ لِوَطْأَتِ الوُجُودِ،وَيَوْمًا قَطْ لَمْ نَسْتَمِعْ الى نَقْصِنَا ،لِنُرَاهِنَ عَلى قِيمَةِ وُجُودِنَا ،بِإِسْتِدْخَالِ الغُرَبَـاءِ إلَيْهِ ،فَنُعْطِيهِمْ تِلْكَ الْقِيمَةِ المَشْبُوهَةِ التِي يَرْغَبُونهَا.

الصَدَاقَةُ مُزْحَةٌ كَبَاقِي القَوالِبْ المُزْعِجَةِ التي أَصْبَغُو عَلَيْهـا مَلامِحَ السُّمُوّ،والرَّقَاءِ،إِنَّهَا مُخَدِّرٌ تَافِهٍ لِعُقُولٍ تَرْفُضُ بالمُطْلَقِ أَنْ تَعِيشَ بِمُفْرَدِهَا لِيَوْمٍ واَحِدٍ دُونَ أَنْ تَرَى أحَدًا .إِنَّهَا تِلْكَ الْذَواتُ التِي سَتَلْعَنُ قَبْرَهَا إِنْ إِسْتَعَادَتْ نَفْسَهَا بِدَاخِلِه،فَلاَهِيَ تَصْلُحُ لِتَكُونَ سَاعِدًا وَلاَ حَتَّى عَصًا.

إِنَّنَا نَرْفُضُ الْبَقَاءَ مُطَوَّلِينَ أَمَامَ أَيِّ عَلاَقَةٍ ،فَبِطَبْعِنَا نُغَيِّرُ المَكَانَ ،لِنَتَوَجَّهَ الى آخَرْ،فِعِنْدَمَا كُنْتُ أُجِيدُ سَرْدَ الحِكَايَاتِ ،وأُغَنِّي أَعَذَبَ أَغَانِي الصَّمْتِ ،أَنْجَبَتِ الأَنْقَاضُ ضِفْدَعًا وَقِحًا يَنْتَزِعُ مِنِّي أَعْذَبَ أَلْحَانِ برَقْرَقَتِهِ المُزْعِجَةِ،ولَنْ أُنَافِقَكُمْ أَنَّنِي أنَا هوَ التِّمْسَاحُ ،فَقَدْ سَمَحْتُ لِذَلِكَ الضِفْدِعِ الَوَقِحِ بالنُّزُولِ الى بِرْكَتِي لِيَسْتَحِمَّ مِنْ طِينِهِ ،فَأَرَادَ المَزِيدَ ،وَطَمِعَ فِي سَمَكَتِي التِي رَفَضَتْهُ ،فَرَاحَ يُغَنِّي لَهـا أَلْحَانِي ، فَكَمْ منْ ضِفْدِعٍ تَجَرَّأَ عَلى الغَطْسِ فِي الوَقَاحَة لِمُجَرَّدِ أَنَّ أَحَدَهمْ سَمَحَ لهُ بِإِنْتِزَاعِ طِينَتِهِ.

فإِيَاكَ وُمُصَاحَبَةَ أَحدْ فالطَّيبُونَ دائمًا مَا يَدْفَعُونَ ثَّمَنَ إِخْلاَصِهِم لِهَكَدا مُزْحَةٍ غبِيَّةٍ.

خَلْفَ كُلِّ كَائِنٍ أَخْلاقِي ،وَحْشٌ مُنْحَرِفٌ يَخْتَبِئُ فِي كَهْفُهِ المِثَالِيِ المسَمَّى " إنسانية ".

العُزْلَـة والتَّمَرُّدُ "

❋ ❋ ❋

حينما لا يبقى أحد،عند إحساس بالضياع ،بل بإنفلات من هدا العالم الوقح،لن يكون جديرا بك سوى أن تَهرَعَ الى تلك الزاوية من الوجود حَيْثُ تقبع الوحدة ،لتنهال عليك بالضرب المُبَرّح ،حتى تَفقِدَ ما تبقى فيك من القطيع ،تم لا تلبت لتعطيك نَفَسًا جديدا ،رُوحٌ لا يليق بها سوى الجبال،وذوق لا يسهل هظمه ،و لا إبطاله ....

إن أكتر من يُحِبُّ الوحدة هو من مَلَّتْ أنفاسه من مخالطة القطيع ،بل السباحة في الحضيرة نفسها ...

عند أول محاولة في إرضاء الأذواق،إياك وفقذان ذوقك،عندما تبحر سفينتك فإنها لا ترى في البحر سوى من يشاركها في الغرق ،بل من يجيد السباحة أيضا ..

عند الرُّكْنِ المخيف ،في هامش المنزل الضخم توجد ،الوحدة و العزلة تَسْتأْجِرانِ الزاَوِيَة ِ،كان الفتى منبطحا ،كَميّتٍ إسْتَعاَدَ أنْفاَسَهُ بعدما تَقيَّأهُ العَدَمْ ، فلم يرضى بالعودة الى هذا العالم ،بدى يائسا الى درجة أنه إختلط مع كحلة الزاوية ،ونام فيها الى الآبد ؛

كان مرحا ،وفكَاهِي لا تقتصر عليه المسارح ،حتى النيام يقف في كوابيسهم بمنظره المضحك فيرغمهم على إبتسام ،والتصفيق معا ،وفي لحظة إنْكَبَّ كل المرح الى القَعْر ،بل إنْسَاقَ الى الحاويات وإتَّخَذَ زاويتهُ التي كانت في أنظَـارِه رُكْنٌ بَشِعٌ من منزله الفَخْمْ ،في تانية إستعادت النفس وجودها،وراح الكل يطاردها ،كآبة ويأس و الوحدة نفسها ، فعندما نَطَّ في زاويته المنعزلة ،كان مملوءا الى حد إنْكبَابْ من فوْق السَّدْ ،نعم مملوءا بالمشاعر ،و الفكاهة، و التفاهة ،ولا أعلم ماذا آخر ، يرتكن مُجبراً ،كقاتل ألزمه على ألا يتحرك ،وربما قنبلة تسكن أعماقه وفي أي خُطْوةٍ ينفجِر فينثر صخبه ،فما ينام إلا والأعماق تتقيأ قرحة إستفراغه ، حتى وإن بدى للعلن ، سيقف الجميع مستغربا ،لمنظره ، فتى يَتَرنحِ وهو نائم ،لربما يزاوله أحد الكوابيس البشعة ؛ لربما أنتم كابوسه الواقعي،

إنه يحاول بكل جهد إبطال ألم ،النوايات البشعة تحاول إنقضاض على جثمانه ،بينما الكحلة تحاول إنتزاعها وإلقاءها خارجا،إنه يجاهد لألا يشعر بالألم ،ولكن لا مفر،إن عيناه لتدمع باكية لكنه لا يوفر قدرة في إبطال كل هذا ...

إن القدرة على مزاولة الوحدة ،هي القدرة على التَّخَلي،وكَبِّ كل شيء في حَاوِيَاتِ القمَامَة ،مشاعر وعلاقات و التفاهة الوجودية نفسها.

هؤلاء الذين لا يشعرون بفخامة أنفسهم ،قد أَلْقَى عليْهِم القطيع عُشبَه الطَّري فما عاد به سوى تَقدِيسِ أرْجُلِ الرَّاعي،هؤلاء يَصْعُب عليهم التَّخَلِي عن فسادهم القطيعي بل عن الفخر الذي يكسبونه من وراء لَعْقِ أقدام .

في أي لغة يجد أنذال،وفي أي ركن من هذا العالم يوجد الحثالى، فمنهم من لاقى الوحدة ففقذ نفسه ،وتيابه معا ،وعاد بذونهما ،فصرخ في شارعه القفر ،" لقد سرقني المُعَقدون (المعتزلة)

الوحدة قاسية ،لا تليق بمن يمتلك الكتير ،ويرغب في إمتلاك !

ما عاد الفتى ليفارق القطيع ،بدت الوحدة كجلاد يجيد إستخدام سوطه ، أمام بشرته الناعمة ..

عندما لا تقدر على شيء إياك و وصْفه بالسوء ،فمن لا قدرة له على إمتطاء سرج عَوْدهِ ،يلعَنُ الخَيْلَ و راكِبِي الخَّيْلِ أنفسهم.

الإنسان مفطور على أن َيطْعَنَ في الأشياء التي يجدها صعبة المَنالَ ،بل ُقدْرَتهُ لا تسمح له بفعلها ،فيدَنِّسُها بألفاظه في لحظة عجزه !

في حالتنا نحن الفاقذين الإحساس كما لُقِّبْنَا من قِبَلِ الضُّعفاء الدين لا يستطيعون الجلوس لوحدهم لتانيتين ،نحن الذين نجيد العيش في القمم بين السحب الماطرة دون أن تفسد منظرنا ولا قصة شعرنا ،نحن الذين إكتفينا بالجبال معشِقاً ،وَنهَبْنَا منه شغفا و له لنا مرفقا

نبدو سيئين الى درجة أن أخلاقهم إستحت عندما رأتنا نرتكن في زوايانا فعادت مسرعة مختبئة في جلباب صاحبها ، إنها وإن بدت لنا في العزلة منجلية ،ومنتزعة القوام ،فإنها في الحضيرة يقام لها طقوس المجد ،والتقديس ،إنها فوق الإبل و البقر !

لماذا نبدو سَيِّئِينْ ؟

لأننا لم نأكل العشب مع القطيع !

لأننا ولدنا في حفاوة الوجود فلم تُغْرِنا المستنقعات ،وأخدنا السفوح مرْتعاً للإستمرار !

لأننا لا نشارك طعامنا مع أحد..

ولأننا لا نجيد مخالطة أحد ، نحن الذين إعتزلا الوجود ، حتى أننا نبذو أسوء في هذا العالم في نظر ذلك الوقح اللعين الذي لم يَقْدِر على الوحدة والعزلة ،

حتى أصابه الحسد منا ،ولوتمنى شيئا ،لأراد الزوال بنا .

أتعلمُ أننا لا نكُف عن صنع أنفسنا ،وترك أنفسنا الماضية ،فنرتقي ،كأفعوانٍ تَمَلَّصَ من جلذه القديم وبدى براقًا في لحظة خروجه ِمن كينونته !

سَيُكَلِّف هذا ِبضْع كَركَرات ِلِلَدي لا يُجيدُ النَّظر سوى في تفاهته و أخلاقه العشبية ، إنه أشبه بسِحْلِيةٍ التي تَسْتَرقُ النظرالى الوجود لتعود مسرعة الى غارها خوفا من أن تُدعَس من قِبَلِنَا ،محافظة على غشاءها الزَّلِق الدي تموت وهو ملتصق بظهرها..

من ظَنَّ أن العزلة مجانية ؛

فَلْيُعِدْ الحساب !

إن الدي يفقذ الكتير ،بل يفقذ كل شيء هو أولى بإنعزال ، فالوحدة تزيل كل القشور التي تكون ملتصقة بصَاحِبِهَا ، فعندما تستهويك الوحدة فَإِنَّها تذِيقُكَ من كأسين ، كأس الكآبة و اليأس ،وكأس اللاشيء ،نعم إبطال الشعور و الأحاسيس معا...

متى تصبح الوحدة مؤلمة ؟ عندما يصعب على إنسان ترك بقاياه ،و أشلاءه ،

إن كل خطوة يُقْدِم عليها الإنسان نحو الوحدة ، بمتابة يد عملاقة تقطف من الجثمان ما يضعفه ،ويؤلمه، فَتَخْلُصُ الى الصَّفاء و الراحة أبدية .

ما يُسَبِّبُ الشَّقاء هو إفراط في الهروب من الوحدة بدعوى القساة ،أشبه بالوحش الفتَّاك الذي لا يترك في الجسد سوى غبار يتناثر في أرجاء...

أكترُ من وُجدوُ حَتَّى الآن ،يجِيدُون وصْفِ هذا الوحْش ،ولا يمَيزون بينَ الوحْشِ الحقيقِي العُزْلَة أم القطيع !

هَلْ يحْتَاجُ المَروُ لكُلِّ هـَادِه التَعَاسَةُ ليَنْعَزِلَ؟

طَبعًا علَى قَدْرِ إخْلاَصِ تُرْزَقُ منَ الكَرَمِ،فالْبَخِيلُ مَهمَا أَحْسَنَ التَّخْزِينَ فَلاَ يُوَفِّرُ شَيْئًا غيْر بُخْلِهِ لِنَفْسِه،فالعُزْلَةُ أَسْوءُ من أنْ تَنْجَرِفَ عَائِداً مِنْ أعْلِى نَاطِحَةِ سَحَابِ.فقدْ تَعَيشُ بَعْده وَقدْ تَمُوتُ ،ولكن العزلة مهما قدمتْ لك فلن تموت ،بل يوماً عن يوم ستتجَرع كُل خَيبَات الأَمَلِ تلك التي حفرت في أعماقك ،ستكره نفسك. سَتحَاول العوْدة نَحْوَ برْكَتِكَ المُوحِلَةِ لِتَلْتَفِتَ مُتلَهفاً لرُؤيَتهاَا فلا تَجِدُ شيئاً ،حَتَّى الخَنَازِيرُ ماَ عَادُو يسْتَحِقُّونَ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِمْ منْ قِبَلِكَ،ففَائِدَةُ الْعُزْلَةِ تَظْهَرُ عِنْدَ أَوَّلِ خُطْوَةٍ بَعْدَ وُلُوجِهَا.

إنَّ أوَّل فُرصَة تأتِيكَ ،عندماَ تتَطَفَّحُ فِيك ثغَراتِ ،هِي أَولُ أَلمٍ يصِيبُكَ بَل تقَعُ فيهِ بِكُلِّ بَلاَدَةِ طَبْعِ ،فالْنَّدَم أحَدها ،والإشْتيَاقُ مَرْتَعُهَا،فعِنْدَمَا تَغْتَشِي على نفسك ،لتوقظها من غفوتها الأبدية ،تسرع في إيقاظ غريماتها ،لتغزوك أماني بشكْل خيبَاث أمل مُتوَقِّقةٍ ،تلْك التي أبْطَلْتَهاَ يومًا،وحتى الذكريات ستأتيك في أسراب تجتمع فوق رأسك فقط لتحاول إرجاعك لسلالتك المنحطَّة..

العزْلةُ أَشْبَه بِالدَّواء المُرْ الدِي قَدْ تكْرَهُهُ عنْدَما يلاَمِس حَلقَك إجتمَاعي ،فلَا تحبه إلا بعد ان يوُقِفَ الوَجَعْ.

لَن يَتَعَلَّم الّمرْؤ مَا لمْ يتَأَلْمْ ،إنهُ الدرس الدي تحاول الحياة أن تُريه للكل حتى أولائك الفارين من الألم،أحِبَّ أَلَمَكْ ليُحبَّكَ أيضاً.

في يَوْمٍ لمْ يكنْ بِبَعيد ،إسْتَأجَر النَّهَار غفْوَةً تَقيِه من طُوُل السَّهَر ،وبدى الليْل مُعْجَباً بِفتْرة نقَاَهَتهُ ،وإرتَضَى النَّهارَأنْ يبَاغِثُ الليْل في عقر غاره مطالباً إياه بالعودة ،فلا هو يرضى ،ولا الَسَّمَاء

تَحْتَضِنُ أحداً،فيا لَيْلُ أثمِر وإنْعَمْ بعظَمَتكَ ،فأنْتَ مَأوَى والمدْفَأُ لكل شَخْصٍ أُفتُطِرَ قَلبُه عَلَى الحُلْكَةِ..كان ليسْتَوي الليالِي مع بعْضِها لتشْهَد وِلادة العَظَمة َداخلَ هدا الكِيانِ الأعْزَلْ ،فلتسألُوُ كلَّ رُكْنٍ فِي هَذَا العَالَمْ عَنْ مَنْ ألفُوهُ وأَخَذُو مِنْهُ مَسكَنًا يَقِيهُمْ مِنْ فَضَاعَةْ هذا الوجود.

❋ ❋ ❋

لنْ أحْضُرَ أَمَامكُم بقُبعَتي الشَّقيَة ورَبْطَةَ عُنُقي الخانقة ،سَأَتِيكُمْ كَمتَشَرّدٍ بغيضٍ يَجوُبُ الشَوارِع يبْحثُ عنْ حُضْنِ مَبيتٍ، َفقطْ لِيَحْلُو لكُم سَمَاعي وتَتَأنَّقَ آذانِكُمْ فِي قُبوُل ألْحَانِي ،فأكْثر المُسْتَمْتِعينَ بالوقاحَة أولاَئِكَ الدين يُضْهرُون دَاخِل كُل حَضِيرَة كَأَنهُم حُكمَاءُ القَبيلَة ،ليُبْدُو حِكْمَتَهُمْ الزَائفة وَراء تَسَمُّم فَضِيع إثْرَ مَضْهَرِي ،فالوسَامَةَ وأنَاقَةُ فِي بَحْرٍ يَعِجُّ بالبَشَاعَةِ تَدْعُو لِلْفِتَنِ،فَهَا أنَا أُخْبِرُكُمْ عَنّي ،كَيْ تَجِدُو السَّمَّ الائِقَ لِإنْهَائِي ،فَرُؤْيَتُكُمْ تَبْحَثُونَ ،تَجْعَلُنِي مُنْزَعِجًا ،فَأبْدُلُ كُلَّ شُعُورٍ فِيَّ ، تُجَاهَكُمْ

كَسَمَكَةٍ غَبِيَّةٍ تُحَاوِلُ بِدَسَامَتِهَا العَوْدَةَ لِإِنَاءِهَا المَمْلُوءَ بالمـاءْ بَعْدَمَـا ظَنَـتْ أَنَّ بِخَارِجِ إنَـاءِ تُوجَدُ الحُرِّيَةِ .إنَّ إعْتِلاَءَ أَحْضَـانِ لَأَمْرٌ مُزْعِجٌ خُصُوصًا دلِكَ التَّعَوُّدُ الفَضِيعِ ،فَحَتَّى وإنْ بَدَى لَكَ مُؤْلِمًـا تَشَقُّكَ أَشْـواكُهُ فَسَتَظَلُّ تَابِعًا لَهُ ،فَتَعُودُ إِلَيْهِ كُلَّمَا أَحْسَسْتَ بالبَرْدِ وَرُبَّمـا إِرْهَاقُ ،فَإِيَـاكَ وَهَاتِهِ الخَطِيئَةِ

فَكُلَّمَا تَعَوَّدْتَ عَلَىَ شَيْءٍ وَاصَلْتَ التَشَبَّتَ بِهِ ،ووَاصَلَ هُو زَحْفَهُ بَعِيدًا عـنْكـ.

ماذا يَعْنِي أنْ تَكُونَ مُتَمَرِّدًا ؟

لاَيَعْنِي شَيْئًا ،إِنْ كَانَ مَعْنَاهُ لَدَيْكَ الدِفَاعَ عَنْ وَجْبَتِكَ دُونَ أَنْ تَلْمِسَهـا أَيُّ يَدٍ مَهْمَا بَدَتْ صُلْبَةً فِي إِنْتُزَاعِ.

كَمْ مِنَ الأَلَمِ يَجِبُ لِيَسْتَفْرِغَ إِنْسَـانُ كُلَّ إِحْبَـاطِهِ ،وَيَسْتَعِيدَ عِزَّةَ نَفْسِهِ!

❋ ❋ ❋

كيف واجهت كآبتك ؟

جَلَسْتُ وحْـدِي فِي رُكْنِـي المأْلُـوفْ وإنتظـرتُ حتَّى جَـاءَتْ إليَّ مَـع كُـل سِرْبِـها ،فقَد أَرَادُو مِنِي الهُرُوبُ ولكِنِّي وقَفْتُ فِي وجْـهِهِمْ ،أزِيدُ مِن كآبَتِي كَـآبَـةً و شُعُورًا بالسُوءِ والمَزِيدَ من الكآبَـةِ حتَّى أَجْهَـضْتُهَا بنَـفْسِـي.إِنَّهَا صَلاَبَةِ الإِرَادَةِ..وَهَذَا هُو التَّمَرُّدُ عُلى المَشـاعِرِ،الدَّافِعِ لِتَمَرُّدِ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ نَبِيلاً ،لَا أَنْ يَبْدُو كَذَلِكَ ،فَعِنْدَمَا يَسْتَحْوِذُ الغُرُورُ وَ المَكْرُ

عَلى الدَافِعِ يُصْبِحَ التَمَرُّدُ عَلى الوَاجِهَةِ وَ الخُبْثُ و إسْتِغْلالْ يَتَغَلْغَلُ فِي أَعْمـاقِ،فَلَيْسَ عَلى التَّمَرُّدِ أَنْ يَنْصَبَّ عَلى الحُبِّ ،بَلْ أنْ يَفُوقَ كُلَّ السُدُودِ.

يُولَـدُ التَمَرُّدُ مِنْ ذَاتٍ مُحْتَرِقَةٍ ،لَمْ تُخَلِّفْ وَرَاءَهَا سِوى ضَبَابٍ مُلَبَّدٍ ،يَمْلَأُ المَكَانَ لِيَنْقَلِبَ رَأْسُهُ تَحْتَ رِجْلَيْهِ.

العُزْلَةُ أَحَدِ أَوجُهِ التَّمَرُّدِ ،الأَمْرُ يَبْتَدِئُ بِـهَا وَيَنْتَهِي بِهَا.

يَنْبَغِي عَلَىَ المَرْئِ أَنْ يَبْذُلَ كُلَّ مَا لَدَيْهِ فِي سَبِيلِ الْدِّفَاعِ عَنْ قَضِيَّتِهِ فالأَشْيَاءُ العَظِيمَةُ لاَ تُقَدَّرُ بِثَمَنْ .

إنّي لَمْ أَعْثُرْ قَطْ عَلَى أَحَدٍ يَنْتَصِبُ فِي أَعَالِي ،فَيَئْثُرَ حِكْمَتَهُ دُونَ أَنْ يُصِيبَهُ الغُرُورُ ،لِيَنْهَبَ مِنْهُ كُلَّ حِكْمَتِهِ ،كَمَا لَمْ أَرَى مَنْ قَدْ يُحَافِظُ علَيْهَا دُونَ أَنْ يُسْقِطُهَا مِنْ أَعْلَى المُنْحَدَرِ.

التَّمَرُّدُ كَشُعْلَةٍ حَارِقَةٍ تَنْصَهِرُ داخِلَ الرُّوحِ ،فَتُوقِظُهَا مِنْ عَدَمِهَا فَقَطْ لِتَرِثَهَا رُوحَ الشُعْلَةِ التِي لا تَنْطَفِئُ.

***

إنَّ كُلَّ تِلْكَ أَخْـلاَقِ وَالقِيَمِ التِي تَطْـفُـو فَـوْقَ الحَـضِيرَةِ ،لا تعنِـي لنا شَـيئًـا مَـادُمْنَا نَعْتَزِلُ كُلَّ شَـيءٍ ،وَنَتَمَردُ عَلى كُلِّ أَوضَاعِ ،إننَـا لاَ يُـرْضِينَـا الهُدوُءُ ولا يُقْنِعُـنا بِضَرَافَتِه حَتَّى ،فَالواَقِعُ مَـاكِرْ والْبَشَرُ قَدْ تَجَاوَزوُهُ فِي هَذَا المَكْرِ،

آفول العلاقات"

"

❋ ❋ ❋

بينما كنا نُجيدُ إرتكان في تلك الهوامِشِ الفَضِيعة ،كانت العلاقات تبدو مُقدَّسَة على نحو يجعلها الثمرة الأخيرة المعلقة في قمة شجرة الحياة .

فلا أيادٍ تصلها ولا حتى أنظار ..

إن ولادة اللحظة والفقر في ذماء الحياء،لا يلقي بالمعنى في هذا العالم ، مهما بدى مقنعاً .

العلاقات ،سلاسل صدِئة ،وُجِدَتْ في هذه الزنزانة الأبدية "الحياة" ، فعِند موت سجيننا ،وتَفْقِدُ السَّلَاسِلُ محْبوُبَهَا ،فيُزَجُّ بالسَّجِينٍ آخر مكاَنه لتسْتعِيد أرملة (السلاسل) نَشَاطَهَا المُعْتاَد،وهكدا الى أبد الآبدين.

إن الفِكْرَةُ حَتى وإنْ بدَتْ مُستَحيلةً ،لا غنى عن أن تتحقق في يوم ما ،وفي لحظة ترغب بها في التحقق ،فما إن تنتهك الذوات ،يصبح الخطأ مسموحا به وجائزا ،فالخطأ يبقى خطأ وعقابه يكون ضمن درجة سوء

ذلك الفعل الخاطئ ، فما معنى أن يخطئ المرئ، ويعاد تقييم فعله بصواب أو الخطأ ،وعلى أي معيار يتم التمييز بينهما ؟

الحضيرة من تستوعب العلاقات بين الخراف والخراف ،بين البقر وأنفسهم ،و بين المواشي و العشب والتقاليد وعادات التي أنشأها الراعي لتستمر الحضيرة في الوجود !

كلما كانت العلاقات قوية كلما سهل تحطيمها ،

إن إيجاد تلك التغرة في حائطنا علائقي ،لهو نفسه البحث عن ذرة هدروجين في قطرة مياه ..

فالإنسان عَبْدٌ لعلاقاته ،فمهما إدعى إنفلات من بين قبضتها ،فإنها تَخُطُّ جسده بأضافرها ،بل تحفر نفقا لا ينتهي في ذاكرته ،فيعجز عن قتلها وتكون هي سبب موته...

عندما إتخد المرئ من العلاقات مكسبا لرزق ،لم يتبقى من العواطف سوى أن تبتاع ذاخل الأسواق ,فترمى العفنة منها وتبقى الصالحة ليبتاعها أحد الضعفاء لإسكات عطشه اللعين،وجوع ذاته الدي لا يكاد يلتهم أحشاءه...

عندما ستنعزل مثلي ،سيحبك الجميع ،

وعندما تحاول الوقوع في الحب ستنتشلك أيادي بدعوى العفة ،ليسكتو شراهة حسدهم ،سيعكرون خطى حبك ، ويصنعون لك قالبا فكاهيا بدعوى الحب الحرام ، سيقنعونك أنها عاهرة وأنها لا تستحق كل هذا الحب ،وعندما تتركها ،سينقضون عليها كالذئاب الجائعة ليكسبو قلبها وينهبو شرفها ، إن قباحتهم الفطرية أشد فتكا من أخلاقهم المصطنعة ، في الوقت الدي لن يجدوك متاحا ،سينكبون بسفههم وراءك ليطعنو في

عزلتك ،ويلصقو فيك أسوء الصفات ،ما دمت لم تفتح لهم الباب ، ولكنهم سيرتمون لك من النوافذ كشرارات مشتعلة تحرق جتمانك من الخلف فتتعبك وتنتهى بك رمادا منثورا فوق تجاميلهم....

إن ولادة العلاقة هي إعلان عن الهروب ،بل هو إقتفاء أثر النقص الفضيغ في الذوات المنهكة،

أسوء أشخاص أولائك المتعففون الدين يحاولون بكل جهد نيل الفخر الوجودي ،بل إستتناء نفسه ،بالقليل من الأخلاق و القيم القطيع،وعندما تنصب شراهة غريزتهم تراهم ككلاب مقرفة ،تلاحق قطعة دسمة !

كنتُ وحيدا الى درجة أنني فَقدْت الشعور ،بل ما عُدت أرى غير نفسي، وفجأة وُلدَ من أعماق الكآبة كيان يشبهني ،فاستولى على نفسي وما أخد منها ما تبقى من الرماد، فأخد يخطني بشباكه العنكبوتية ،ولست أدري ما كان يثبتني فوق شباكه ،فدخل السنجاب على الخط ،وأخد ينثر الفساد و يقنعني أن الفاكهة لا تصلح للأكل ،بل لترمى على رؤوس الحمقى ،فأخد الكيان ورزق بأخلاق الغربان التي لا تقصد الحقل مباشرة بل تأخد ما تجده متاحا وتجلس فوق الفزاعة حتى تنهيه لتدب راحلة ،

كان ليحافظ على وفاءه ،وعلى ماء وجهه ولكن غريزته الطائشة أغرقته في المجاري فما عاد سوى أن يكون مجرد جرذ حقير ،لا تصلح له سوى حاويات .

إن أسوء البشر على إطلاق ليس من يمتلك ألف وجه بل من يمتلك وجها واحدا يختزن فيه جميع نواقصه وفساده الوجودي ،فلا يجد مكانا ليفرغ فيه كبوته ،فيصنع لنفسه أخلاقا ،وسلوكات تسمح له بإصطياد أيّ أنتى...

سيقفز في العلن من يخافون أن أحطم أحلامهم في تحقيق شهوتهم ،راغبا في إفراغ تلك الحقيقة من جيوبي، خصوصا من يمتلكون حضنا يبيتون فيه ،فيخافون أن أرعبهم و ينزلقون تاركيه ،

العلاقات أشبه بالرمح الدي لا ينطلق سوى ليصيب الهذف ولا يعود أبدا..

إنها كسجن ملعون مهما إدعيت إمتلاكها ،ستكون هي من تمتلكك ؛

فالإنسان مهما بدى لك محيطا بسرب من العلاقات ،فإنه يخلص إلى الوحدة ،بشكل يجعله أسيرا ،مذلول الشأن في حضور الآخرين !

الذي يمشي وحيدا ،لا يخاف من الآتي ،والذي يمشي مع السرب ،يخاف من كل خطوة يخطوها معهم.

أي تفاهة هده التي تسمى العلاقات ،لن تكون غير تلك الكوميدية بدون ملح ، إنها قيد لا يمكن لأيَّ يَكُنْ تكسيره،و يا للأسف أيُّ أحد قد رأى من كسره ،لينهض الجشع في أعماقه قائلا : إنهم منحرفون ،لا قدرة لهم على علاقات (إجتماعيون)...

يمكن لأي أحد صنع علاقات وتكوينها ،ولكن ليس بمقدور أحد أن يكف عن ذلك سوى المعتزلة أنفسهم !

إنها الأفضلية لنا نحن ، فقد تقول النخبة (اجتماعيون) ان إكتساب أصدقاء....(علاقات)لهو أمر طبيعي ،وحداثي جدا ،فالرغبة في إمتثال لعادات القطيع و سلوكاته الهجينة ،لتكون على رأسهم ، لربما فتاه المطيع ،أو عبده نفسه !

لهو أمر سخيف مقارنة مع إرتكاننا في جميع الزوايا ،وَنيْلناَ من جميع الظلمات !

لطالما حَسِبْتُ أن الإجتماعيون مجرد ضعفاء في أزيائهم الخشنة ، لا يقدرون على العيش بمفردهم ،لمجرد إنهم إدعو الرقاء الوجودي ، فلو أخدنا واحدا وتركناه في الجبل ليوم واحد ،فلن تعيش الطيورولا أشجار بعده ،إن صراخهم السام لا يقضي على الأسماع فقط بل حتى على الأنوف ،

ستراه يجن في كل تانية دون عصاه ،كسكير نفذت كحوله في هذا العالم فلم يجد في حانته ولو زجاجة فارغة لِيَتخَيَّلِهَا مملوءة ..فلو إستطعت شيئا لفعله له لما كففت عن إشفاق لمنظهره!

الحياة لا تتطلب أن تساير القطيع أو أن تقف في وجهه ،بل ان تكون أنت القطيع ،وربما الراعي !

سينفطر قلب الدي لا ينفك عن مصاحبة أصدقاءه بدعوى الوفاء وقضاء الوقت الممتع معهم ،فلو أخدت نظرة الى أعماق بنفس العمى الذي تحتاجه لذلك ،ستبهر بل ستصيبك أقسى خيبة أمل في العالم ،

تلك التي تواكب إنهيار النفس، خدلان الذات لنفسها ؛ عندما ستحتاج ستخطو بإتجاههم ليكملو نقصك الفضيع ،ستبتسم بكل خبث رغم ما تدركه في نفسك من قذارة ،ولكنك تواصل دكها في أعماقك .

نحن المعتزلة لا نكف عن تحطيم هده العلاقات التي تكون كالبالونات الُمنْتَفِخَة لتَفْقدَ فيما بعد هواءها المسموم..لا نصلح لنكون متنكرين ،لسنا أصدقاء جيدين نحن من نضغط على الجرح قبل أن نضمده فَيَيْأَسُ المريض ولا يعاود الزيارة ..بالفعل نصلح لكل شيء ما عدا العلاقات ،نجدها مسمومة وتافهة كتلك الجرعات المتواصلة من اليأس الذي يسبق الكآبة ،فلا هو يَمَلُّ منا ولا نحن نريده أن يغادر ..

مهما كُنْتَ ستَجد أعذاء أمامك يشاهدونك بكل يأس ،إن كنت وحيدا سيسهل عليك إكتشافهم والنيل منهم أو إبتعاد عنهم ، ولو كنت ذليلا وإجتماعي لعين ،ستجدهم خلفك متنكرين في حياءهم ووفاءهم المصطنع بإسم الصداقة و الحب و ما شابه!

حتى وإن لم تفعل في حياتك ما قد يجعلك عدوهم ستجدهم أعداءك لمجرد أنك إعتزلت كل شيء ما دامو هم يبجلون نقصهم تحت أقدام العلاقات.

إنهم ليحسدوك حتى على قبرك الضيق الدي ستعاقب فيه ،فكيف لك الظن أنك لا تملك عدوا !

إن فقذان العقاب ،بل إبطاله ،لهو نفس الباب الذي تتولد فيه القاذورات ،حتى أن النفائس غَرَّهَا منظرهم فالتَّخَذَتْ منهمُ قدوة فماتلتهم في العيش الذنيئ ،

إن التفكير في الحداثة ليس هو أن تسمح لنفسك بالتعري وإبانة المفاتن الزاخرة بالقذارة ،ولا حتى في أن تسمح لأولادك بفعل دلك!

أكتر العلاقات تأتيرا في بعضها تلك التي تداوم على إستمرار في كنف العائلة !

إن سُؤِلتْ إحداهن لماذا هدا التبرج ؟

ستجيبك بسرعة خاطفة " حرية شخصية "

هذا المبرر السخيف ليس ذا أهمية أمام الضغط الممارس عليها في بيئتها إجتماعية ،

فبرؤيتها صديقتها المتبرجة ترتدي ملابس كاشفة ويتحرش بها كل الكلاب ،سترغب أيضا في نفس المصير أوه لا نفس الشهرة ، وهنا ينشأ الحسد.و التنافس على اللباس ،ليس لباس الأنيق بل اللباس الشفاف ،المتبرج لإبانة المفاتن !

فإن أغلقنا أعيننا لن نستطيع أن نفعل بالمثل مع آذاننا !

العلاقات تصبح أشد فسادا عندما تكون منفلتة من العقاب ،تكون شخصية كما قالت المتبرجة "

إن التفكير العصري أو الحداثي ليس في إبانة المفاتن و تشهير بمثاليتك العفنة بل في ولادة الرقاء في نفسيتك ،فلا تجذبك سوى العقول الفخمة و الذوات النبيلة ، عصرنا أصبح منحطا بقدرما من أن العقول التي تفكر وجهو أنظارها للإقتصاد و الأموال وذوي الدخل المادي ، إنهم ولو إستطاعو من العزلة شيئا لأجبرو دوي إرادة الهشة على إقتناءها بأرخص أثمان ! هؤلاء من لا يصلحون للوجود و ينبغي القضاء عليهم في كل زمان ، فطبعا هده أصناف تولد في كل زمان لتنهب أصوله وفصوله..

***

كأس كآبة وفطيرة يأس "

/

* * *

لم يحضر من َيسْقِني كآبتي ؛ فأَيُّ كأس ليتَحملَ مشَاقَّ السَّكْبِ لي ؟

إن الدي لا يموت من فرط كآبته ،لينعدم فور إخلاصه لتفاؤله؛عندما لم نكن لنثمل بتلك الكآبة المُحْرجَة التي قد نطمرأنفسنا خجلاعند مُلاقات أنفسنا بها،بَدت رَعنَاء لتَقفِزالى السريرلتُمَارِس َ

طقوس العذاب والوجع الدي لا ينتهي ..

عندما لم نتفهم سوءنا،بَدونا أشرارننازع أنفسنا فوق السرير،لا في زاويتنا نفسها !

كنا لنحتاج لرجفة واحدة من تلك الكأس المملوءة

فقط قضمة من فطيرة اليأس،ولا حتى الفطيرة بأكملها ،لنغفو في ركننا الشائب ،في تلاوت يائسة لحفاوة الحياة .

إن من يساق وسط القطيع ينعدم وحيدا بنفس الخيبة التي أغفلته عند الإحتضار، عند قدوم الموت ،

في كل زمان يولد من لا حق لهم في الحياة سوى ليكونو سواعد .

إنهم ولدو لذلك ،كجسر تواجد ليتم تخطيه ،مساعدة على التجاوز ..

بعدما إستنْفَذْنا كؤوس الخمرة بل كؤوس الوجع المُرْهقْ ،إستحوذنا على عزلتنا حقا لا نعلم من إستحوذ على آخر ،زاويتنا المحبوبة ذلك الميلاذ الدي يبدو وقحا عند أول نظرة ،فنواصل نظر اليه ،فتزول الوقاحة تدريجيا ، حتى ينقشع الستار وينطمر البياض فتنجلي الحقيقة كاسية لأجواء فليختبئ من لا قدرة له على النظر في عيني الحقيقة ، الكل إختبأ تحت الحجارة خوفا من أن يخسرو عاداتهم وتقاليدهم الموتوقة ، إن الصعب هو تحطيم تلك الأوهام المألوفة ،حتى أنها لتبدو مرتدية لباس الحقيقة ،راغبة في إقناعنا أن الذئب هو الضحية !

لم تحمر خدودنا ،ولم نظطر حتى أن نلمس وجوهنا لنبدو رائعين ، نحن و الظلمة حب أبدي ،مهما بدى منتشيا في هدا الوجود ،ليعود لنفس الهمة في أخدنا وإحتواءنا ،إننا مهما تجرعنا أكبر قدر من الكآبة المميتة لا نكف عن الرغبة في مواصلة اللعب مع الألم ، نحن تلك الغيوم الملبدة التي تتفكك لتضيع تم تتجمع لتواصل الضياع ، أتعلمون أن أسوء إجتماعيون ينتظر من ساعده أن يشعر بألمه ،بل ينتظر أن يتعاطف معه الكل، ليبدو دليلا ،تلك الضحية التي إختتم القدر مصيرها في مجرد كوميدية مهزلية ،لمهرج سقط من أعلى حبله فواصل النوم منبطحا ينتظر التصفيق ..

أتعلمون أنه مهما بلغ منا اليأس القمم ،وزادت جرعات الكآبة ،لنظل أوفياء لزاويتنا إنها مأوانا و ملهمنا ، بفضلها نستغني عن الوجود نفسه

،حتى لتبدو في لحظات منفلتين من أنفسنا كسجناء فضلو المقابر بدل السجون ،إن أضعف في رأينا من يلقي بكآبته في الطريق لمجرد أنه شاهد عرضا تحفيزيا ،او قرأ كتابا هزليا لأحد المرتزقة ،سؤال يؤرقني :

من أنت ؟ أأنت ذليلا إلى هذا الحد لتطلب النجدة ؟

إني أحب من يصاحب ألمه الى القعر فيعود بدونه مرفوع الرأس ،إنه أرقى ما قد تصل إليه إنسانية!

عندما بدونا نتجرع آلامنا ،فأي آلام أسوء من أن نحتضر ونحن نختنق من هذا العالم البائس،كنا للننتحر بنفس اليأس لكننا أعدلنا عن الفعل ،بدى إنتحار مجرد إستسلام ،بل خاتمة فارغة ؛حتى أننا لم نكن ثملين ولا مستغرقين في بذل الجهد لزوال ،حتى بفرط رغبتنا في إزالة تلك الآلام البشعة ،كنا لنفضل غابة شائكة ،مضببة لا رؤية فيها ،و لا حتى بصيص أمل ، فقط كوخ صغير وسط أشجار متمعشقة في أحضانها الود يسير واقفا ، كنا لنبطل أي أمنية مهما كانت ،لمجرد أننا إعتزلنا كل شيء ،إن الأفضلية في كل هذا أننا نبدو بائسين لمن لا يعرف معنى العزلة ، إن قلوبهم لتنفطر عندما يسمعون باقترابنا ،

لمادا كل هدا التفضيل للعزلة ،

حتى وإن كانت مؤلمة الى حد اليأس ؟

إن من يُفَضِّل العُزلة ،ينبغي قَبْلاً أن يفقد كل ما لديه،

فأكتر من دخلو الى زاويتنا ،حاملين لأشياءهم طُرِدوُ منها بأبشع إهانة قد تَشهدُها الأعماق ،حتى أنهم ما عادو يستطيعون سوى أن َيرْو من بعيد ...حاملين جثتهم الفارغة ،متصدرين قائمة الهواة !

لو إستطاع القوام أن يُهَدَّ لمجرد تذوقه لفطيرته، لما توانى في فعل ذلك ، إن المشاعر لتولد داخل الحضيرة وتموت داخل الحضيرة نفسها ..

هدا الإبطال البشع لولادة الكوميديا الشعورية ،هو ما يجلعنا نحن المعتزلة ،نحن من لا نشعر بأحد ،كبالون مُنتَفِخ ينتقل في أجواء دون أن يحمل شيئا ،والسيء فينا أنه لو قابلنا من الأراء الشائكة ما يفجرنا لنستمر في اللحاق بها لنقنعها أنها ليست حادة لتفعل دلك..

الأمر الدي تتطلبه هده الحياة البائسة ،العيش أعزلا ،فاقذا تلك الرغبة في إبراز نفسك كبطل ومخلص أبدي ، أن تستحوذ على نفسك في غابتك المضببة، التي تُصَوِّبُ سَهْمَها لأي يَكُن فَتَرُدَّهُ مقتولا من فرط ضعفه وقلة حيلته....

أتعلمين يا من ودَدْتُ أن تعلمي!

أنني ورغم كل هدا اليأس الطاغي وتلك البحور الجَاتيةُ من الكآبة ،لا أزال مُسْتَنْجِرًا لعينًا لهده الحياة ،

فور إنتزاعها مني مفاتيح شِقَّتِي لأبدو هيكلا شوهه الزمن فلم يتبقى منه سوى الغبار،لن ترضى به الرياح لتحمله فوق أكتافها ،ليظل المنتزع الملعون ،المتشرد المنعدم ..

إن الدي لم يتدور جوعا ،لن يعلم بألم الجوع ،ومن لم

يتذوق فطيرة الكآبة ولم يسقى من كأس اليأس ، لن ينعدم إلا وفي يده رايته البيضاء لاعنا بها إجابيته المزيفة..

إن إبطالنا للمشاعر ،هي أفضلية التي بها نغتني ،فنتحاشى أن نمسك أطراف الخيط ،بل ندعه ليتم إمساكه ..

المذلة تبنى على المشاعر ،فأي إجهاض لها ،هو إنعدام للمذلة !

***

عند أول لحظة ستُجْبَرُ للخُضُوعِ لدلك أشْعوُر القبيح ،في تانية أدرت ظهرك له ،وطمرته خلفك مع بقايا تلك الخرداوات النفسية ،فكتير من يعاني الآن،لمجرد أنه تسَرَّعَ في إجْهاَضِ فتاَهُ العزيزْ عندماَ أفْرَطَ في تصْديقِ دَوافعِهِ الجِنسية.كأس من الكآبة لا يفْلحُ ليسكت رمق الموت بل لا يصلح ليكون تحلية قبل إعادة الولادة .

فلو إنْتصَبنَـا على رأس ِالقمم صَارخين بمدى صلاحيتنا لهدا الوجوُد ،لنَكُون مُفْرطِينَ في الحكم على أنفُسنا مادامَت كل المعرفة نِسْبِيةٌ،على المرئ ألا يصرخ إلا عندما يتيقن من فوزه لا أن يتبحَ بين أشواط ،لسنا جيدين في البوح ولكننا نرسو فوق كل شاطئ فقط لنظهر سوءنا بلياقته المألوفة ،كي لا يتجرأ أمثالكم على مجاورتنا حتى ونحن داخل القبور.

لست سكيراً ،ولا الخمر يليق بي ،فنحن لا ننتمي لشيء غير انفسنا ،ولا نتبعُ أحداً ،حتى يَأْسُنَاَ الشَريفْ يخجلُ عند مزاولتنا فما بألْـكُ بالكآبَة،لطالما إغتشينا داخل انفسنا عندما لا نجيد إفصاح لأحد ،عنْدما لا يُوجد أحد،تهاجمنا الكآبة من الأمام ،لأنها تدرك أَي عدوٍ نحنْ ،لا نتهربُ من الحربْ بل نحاربُ حتى تنتهي الذماء داخل تلك الجثة المنكبة بعد سقوطها ،حتمًا سيكون امر مرعباً إن تمازجتْ العزْلةُ مع اليأس والكآبة ،ليِنْعَدِمَ البريئ ،ولكننا نحن بإحترافنا فن المواجهة ،بل صلابة إرادة لم نترك للكآبة موضعاً تجلس فيه داخل دواتنا ،حتى عداوتها لم تكن سوى نسيم يزهو بأعماقنا،فلا نجتهد سوى في البقاء

صامتين طوال الوقت ،فأكتر من يجدنا صامتين ،يتهيؤون للغارات علينا بكلامهم السافه ،ونحن الدين نختصر الحرب في الصمت ،حتى وإن أخرجنا كلمة واحدة لظلت أعينهم تدرف الذموع لسنين ،هاؤلاء هم نحن ،نحن دوي آراء القاتلة ،تلك الشرسة في عقول الساذجون ،فكم يمكن أن يكون في هدا العالم من أمثالنا ،لا اجيد العدْ ولكني اجيد عدَّ الخراف جيداً ،جميعنا إرتدنا مدرسة الحياة وكلمنا أخذَ دروساً تليقُ بِهْ ،ومن فصلوُ منهَا عادوُ يبكونَ الى قطيعهمْ بدعوى اننا متوحشون .

مادمت لم تقدر على هضمِ نبالتنا و أفكارنا ،لا تتجرأ على محاولة إفساد ذوقنا ،بثرثرتك البكماء ،فنحن ومع كل هده إنسانية التي تتغلغل في داخلنا ،لا نرحم من يخطئ ولوعن غيرقصد.

**

لا أْنْصَحُ بِأَنْ نبْتَلِـى لأحَد،فَنحْنُ قُسَاةٌ،وطَابَعُـناَ الْواَقِعِي لا يُخْطِئُ التَصْوِيبِ مَهْمَا كُنْتَ جَـيِّدًا في إخْتِبَاءِ.

فَنَحْنُ تـلامِيذُ الحَيَاةِ ،وَكُلُّ دَرْسٍ تَعَلَّمْنَاهُ ،يَبْقَى مَحْفُورًا فِي أَعْمَاقِنَا ،تِلْكَ اللَّحَظَاتِ التِي يَصْعُبُ عَلىَ واَقِعِكُمْ تَدْرِيسُهَا.

الحَيَاةُ لَيْسَتْ قَبِيحَةٌ بَلْ نَحْنُ السَّيِّؤونْ ،الحَيَاةُ كَحَائِطٍ لاَمُتَناهِي منَ الخَيالَ حَيْثُ تَجِدُ نَفْسَكَ تُمْسِكُ الرِّيشَةِ لِتُلَوِّنَ أَحَقِّيَتَكَ مِنْهُ ،بِأَيِّ لَوْنٍ فَضَّلْتَهُ،وكُلُّ إنْسَان يَفْعَلُ ،لِوَقْتٍ يَنْزَعِجُ الرَّسَامِ لِقَبَاحَةِ طِلاَئِهِ لِيَشْقَى فِي إزَالَتِهِ ثُمَّ يُلَوِّنُهُ ثَانِيَةً ،بِلَوْنٍ آخَرْ ،إلى أَنْ يَعْتَكِفَ تَحْتَهُ ،يَنْتَظِرُ نَصِيبَهُ في العَدَمْ.

فَمَهْمَا إدَّعَيْتَ سِحْرَ طِلاَئِكَ ،سَتَعُودُ لِتَغْيِيرِهِ ،عِنْدَمَا سَتَعْتَادُهُ ،الوَقْتِ طَوَالَ الوَقْتِ أَمَامَ نَاظِرَيْك.لِتتَسَاءَلَ: لِمَادا اخْتَرْتُ هدا اللون بذاتْ؟

“

الحُـب نَــزْوة*

***

نحن المعتزلة لا نضمر الحقد للحب ،لمجرد أننا رأينا أحدهم يمارس الجنس بفضله ،ولسنا ممن يبتاعون لأنفسهم الفضل في أن يعيشو بفضل أحدهم.إننا لنحب كما يحب الكل ،ولكن الفصيلة مغايرة ، فالحب الدي يقتصر على إكتمال نقصك ،لا يرقى له حُبنا نحن الدين نعشق تلك الزاوية من الوجود حيت نكتفي ،ونستوفي شغفنا في أن نكون أنفسنا ،الحب هو تبادل الرهائن ليس إلا ،

فما دمنا حبيسو رهائننا ،لن نرغب في أن نشهد مهزلة عاطفية نكون نحن مرتكبيها ، مهما فعلتم ستظلون تحسون بالقرف لمجرد أننا نحن الدين نبطل الحب والمشاعر معا..عندما تحسبونها أنتم أقدس ما أنجبه الوجود .

أسأل الناجين عن أسئلتهم ،هل تبقى لهم منا شيء لنواصل الغرق دون أن يواصلو دكنا بغباءهم ،

إننا برغم إكتفاءنا ذواتا تَحْشِر نفسها في شِقِّها اللعين ،لم تنقلب بنا سفننا لنوجه مدافعنا صوب سُفُنٍ آخرى بدعوى الحسد أو البغضاء ، الأفضلية لنا !

إن الوحدة طوق عجيب يصون فضيلتك ،فمهما كان الطوق ضيقا ،سيعود بالرخاء في لباقته الجمالية و نقائه الطاهر الدي لا تصدأ حلقاته ،هدا بيني وبينكم ، فالدي يشارك الحضيرة في الوجود لن ينفع معه سوى الصدأ ،فمهما حاول تعليق فضيلته في القمة لتنزل أيادي المتسخة فتميطها ، لتسقطها في وحلها القذر ،لتعُمَّ الفوضى ،و القذارة العفنة.

أتعلمون أنني قد أُسْقِط نجما من علوُه،حتى لا أقع في حضنها المشبوه ! إن سوء تقدير لتلك أحضان الذافئة هو ما يجعل أكبر سكير يسهر ليالي ولا تنطفئ عيناه أبدا، الحب في عيني العاشق هبة ،ورقاء ما فوق الروح ،وفي عيني الفاسد دوافع خفية لتنفيس عن غريزته،وفي عيني الدي ليس منهما تفاهة وجودية تخلق صدى بين كيانات الروح المهترئة ،تلك هي رؤيتنا للحب !

عندما بدونا لهم من بعيد ،فطيرة عفنة ،عـفَّتْ عليها أذواق .سئلت " لمادا العزلة أفضل؟

هذا الوغد أمامكم في إمكانه تحطيم كل العلاقات في تانية ،ويمكنه تلخيص بؤسكم في نخب واحد من كحوله ،فإياك ورؤية نفسك فيه ،فالخنازير تكره رؤية وجهها في مياه البحيرة.

فحتى ولو كنت على حق ،سيبحر في كأسي من يجيد تعكيره بكل برودة لأموت وأنا أتجرع فوائد عزلتي مع القليل من الأتار العكرة !

إن العزلة تقيك من آلام الرأس و الصدر معا ،وحتى جهازك العصبي سيبدو سليما معافى لن يشيخ أبدا ،

إن الأمراض كلها من الإنسان وللإنسان لا دخل لطبيعة فيها.

عندما إتخدت من نفسي مأوى لنفسي ،بدوت شديد القسوة حتى على نفسي ،بعدما أجهضت جميع الأمنيات ،تلك الأحلام المزيفة التي تكسو أعماق السماء فتطفو فوق الرؤوس ليتم إنتقاءها و وضعها كشرف للمرئ .

عزيزتي عندما تُبَتُّ الأشواق في أعماقك ، لتضعفك ،بل لتجعلك كفأر أكل سمه بإرادته المنتزعة ، ليسقط مخمورا باد عليه عزوفه عن الحياة ،ينتظر من قطه العزيز أن يبتلعه بدل أن يتجرع كل تلك الآلام القبيحة ، فينحني الشموخ الى القاع ،لينهال على نفسيتك المهترئة بالضرب المبرح ، الكل سيرى صمتك وربما تمالتك ولا أحد سيرى نفسيتك و الخراب الدي يسكنك ، لدى لن يكون باللود الخضوع لتلك المشاعر البليذة ، لربما لا قدرة لك على إجهاضها ،بل يمكنك تخفيف منها فقط...

إن الحب ،زنزانة سحرية ،عندما تحضر إليها كزائر تعجبك ببريقها وعندما تسجن فيها لأعوام ،فيبت فيك الخوف و تمتص منك حريتك ،لتكرهها ،عندما ستبدأ بحبها ستنتهي بكرهها ! الإنسان بطبعه يكره من يحد من حريته !

كانت زنزانتي من النوع الفضيع جدا ،كنت أشعر بالكآبة تخرج ممتطية أنفاسي ،لتعود بنفس الشغف في إبطال هدا الإمتطاء ،إن التنازع الوقح بين الأنفاس ،لربما بين الأنا و نفسي ،هو ما يولد تلك العاهة النفسية التي يسميه الكل تعقيد ، إن في جيوبي آلاف الكرات الشائكة ،فلا أحتمل نفسي دون أن أغرس إحداهن في يدي رغبة في إبطال اليأس الوضيع ، إنها طريقتي في الحياة ، بل في القضاء على اليأس.

الكل يريد الحب ، بل يريدون أزهار الفواحة دون أشواك، جبناء للغاية ، فأنا أكتر من أن أكون مضجرا ليقبل ببدايات السخيفة إني لأفضل الحب بأكمله إنه ورغم سبل الثأر الوضيع في النفس ،لا يقارن بتلك الفترة من إستراحة الوجودية عندما تشاهد مسرحية تراجيدية لنفسك و هي تحاول الموت بأقل جهد و بأكتر كفاءة ممكنة...

عندما إمتطينا خيل الحب !

وعربة الوحدة معا !

ما كنا لنتوقف عن الحب ،ما دمنا لم نشد اللجام بكل قوة ، إن الحب للمعتزلة أشد إخلاصا من غيرهم ، مرهفو إحساس حتى في أن يودو الحب من بعيد ، كلمات متسلسلة بل مرسول مكتوب بخط اليد ،هو أكتر ما يفرحهم ،إنها رسالة من الجنة ، ففيها ينكب العصير على الشكولاطة ليتولد النسيم الساحر الدي يسهل هظمهم ، فأكتر من ولدو الآن يرون في الحب أجسادا مقدسة تحت حجاب الغريزة الطائشة ..

إننا نحن المعتزلة ، بما فينا من سوء ، وهل تعلمون ما أسوء فينا نحن؟

الأسوء ليس سيئا بل رائعا الى حد الدي ينبغي فيه للمرئ أن يحافظ على فضيلته من إنتزاع ،

الى حد مزاولتنا لواقعيتنا القاسية دون أن نفقذ شيئا ،لأننا في أصل لا نمتلك شيئا لنفقذه ...

نحن قساات لدرجة أن الحب في أنظارنا أقبح من أن نحاول نحن إيجاد المنفذ لتبريره .نعم الصداقة حجة غبية ،بل الأغبى هو من ينسب النبل لعلاقة تافهة تنشأ بين الضعفاء ليستكملو نقصهم الفضيع ....

كانت زاويتي في غرفتي بل في قمة منزلنا الصغير ،تبت مشاعرا تشعرك بالقرف من الحياة ،ومع هذا الشعور يجبرك على التكيف معه ،أن تصاحبه في الإقامة ،بدى أمر مشبوها لدرجة أنني أرى نفسي نائمة في الزاوية ،دون حراك ،كأنني ولجْت السكون الأبدي لأقف فوق رأسي، وأنا أَرى نفسي منبطحة ولربما أنا القديم ، فلا رغبة تدفعني لإقاضها من سباتها ، ولا فمقدوري فعل دلك !

ففي لحظة تنسكب الأنظار من نافذتي الضيقة ،فألمح فتاة جميلة ،لربما إبنت جاري العزيز الدي لم أره مند تلات سنوات ، طويلة القامة ، بيضاء كالتلج ، غزيرة الجمال ،شعرها الأسود يلاعب أنفاس النسيم ،فتتراطم خصلات شعرها لتعود لمرقضها ،فتأسرني بجمالها و يا ليتني إنقشعتُ قبل أن أرى أنوثتها .

فأي حبِّ ما هو إلى حبُّ المظاهر ،فأغلب من يفسدون ذوقي أولائك الحمقى الدين يفرطون في المثالية بدعوى أنهم يحبون الفكر والأعماق و الأخلاق القطيعية ، فعندما يحبون ،يجبرون على أن يطيعو من يحبون ! إنهم جرم فضيع لهذا العالم القبيح الدي لا يتسع سوى للأنذال من فصيلتهم...

مر يومان والنافذة مفتوحة وعيناي تطلان مباشرة على باب جاري العزيز ،كأنني أدقها بأنظاري لتفتح لي الجميلة فأنغمس في تفاصيلها دون أن أعود الى يأسي الآسر ... إن الدي يفرط في الحب ، يفرط في اليأس ..

وفي لحظة تلقى الى الخارج ،تلبية لأمنيتي التي لم أتمناها ،فترمقني بنظراتها ،وكلما أبصرتني زادتي خجلا في خجل ،فأغمس رأسي وراء جدران النافذة ،تم أعود لأرى هل ما زالت تنظر إلي !

ففجأة أخذت تحرك شفاهها كأنها تهمس في أدني ،ولا أدري ما قد تقول لي ،إني لا أجيد فن الإشارة ،بل تلك الإيماءات التي تشعرني بالحيرة ،فتهز يدها ماطلة إياها في السماء ،فتحركها يمينا تم شمالا ،كأنها أرزقت من قِبَلِي بالرفض ،الفراق الأبدي ...

ففي لحظة خَجِلتُ و إخْتَبأتُ في زاويتي ،إننا لا نصلح للعلاقات ،وحتى لتلك الأنظار التي تريد أَسْرنا ...

فجأت نطت يدان من النافذة ،تمسكان الزجاج ، لربما مجرد سارق فاشل لم يعلم أن قيمة أشياء في العلية أقل من أن يسرقها ، فأخذت تقفز الى زاويتي كقط لم يتبقى له من دخول المكان سوى النوافذ ،إنه إبنت جارنا العزيز ، وقتئذ أسرعت إلى زاويتي ، وهي واقفة تنظر إليَّ بحيرة فتقول ماذا بك؟

إنها أول من تجرأ على دخول القلب من النوافذ ،فتربعت على الأرض وبدت تحاكي نفسها ، إنها تحاول التنفيس من خوفي ويأسي ،ولكن بلا جدى واصلت التعمق في زاويتي كلما زادت خطواتها بإتجاهي ،ففي لحظة أسمكت بطرف يدي ساحبة إياها خارج عزلتي ، فتشعرني بخفة لم أعهدها يوما ، و بالنفس الخفة ،أدرك انني قد فقدت شيئا ،أو أن شيئا ينقصني ..

فإبتسمت في وجهي و قالت :

لمادا تخفي كل هذا الجمال داخل تلك العتمة القبيحة ؟

فخجلت و أدخلت رأسي بين رجلاي ،ومرة مرة أحمل أنظاري فأرى وجهها الجميل ، فأمسكت بيدي وقالت : لا تخف انا بجانبك !

لربما لم تدرك أنني لا أخاف من شيء ما عدى تلك التخمينات التي تصيب دائما ..

بدوت كمذياع هرم ،يصدر أصواتا متقطعة غير مفهومة ،فكيف سأعبر لها عن ما يخالجني وأصواتي لا تكف عن إزعاجي عندما أسمح لها بالخروج ..

فعندما إستحت نفسي منها ،وجهت ناظري إليها فأراهت ماطلة على شرفة منزلها ،لربما تنتظرني لأنط هرعا إليها ،و ما كل تلك الجلبة سوى الحب!

تفاهة العقول تنذل بمصير قذر لتلك النفس المهترئة.كل تلك الأشواق ،دلك الخجل المميت الدي لا يحتمل ،مجرد نزوة حقيرة لذاكرتي التي تجيد التحايل عليَّ دائما....

في لحظة فارقة من المشاعر البائسة ،وعند تاني نظرة من النافذة بإتجاه شرفة جارنا العزيز ،إنقشع الخبث و مال الفساد حتى النفس ما تبقى منها داع صيته بين الخنازير ليقولو ،إنها أوحل من بركتنا هده!

الفتاة تتمعشق ،بل عندما لم تجد أحدا ،أخدت تحاول إصطيادي بجمالها الناصع ،و ما كل هذا الجمال سوى صبغة تطلى بحديد ،فنظنه الفضة وربما الذهب ، الإنسان عندما لا يجد الفرص يكون وفيا ، وعندما يعثر على فرصة تانية يحاول الخيانة بأقل جهد وأكتر كفاءة ممكنة،لدى حاول أن تكف عن إعطاء الفرص ،ليس لأنني مقتنع بأن البشر جميعا سواء ،منحرفون،و خونة ،ولكنني توقفت عن إعطاء الفرص مما قلل من فرص خيانتي ،بل حتى أن أستمر في تذمير وتخريب ما تبقى في نفسيتي من أغصان ..

كانت الفتاة لتبدو قبيحة لولا مثاليتها المزيفة ،فالتشكر كل أنتى مثاليتها على هذه الخدمة الجليلة التي بدونها ستبدو مجرد فاكهة عفنة تصلح لحلق الأغنام فقط .

بدت في لحظة ما تجيد دور البطولة إلا أن عشيقها أفسد اللحظة بدخوله المفاجئ ،فخرب الرومنسية ،و أخد يماطل في أحضانها ،حتى إنفلتت من بين أخلاقه لاعنة جارها العزيز الدي يطل من أعلى النافذة !

عدت الى وحدتي بل الى زاويتي ،بنفس القدر من اللهفة التي لم تترك لخيبة الأمل مكانا ليحتويها!

إن أيَّ من يريد أن يعتزل كل شيء بل في رغبته أن َيلِج العزلة من النافذة ، فلا يدخلنها وهو متخوم فيصاب بعسر الهظم من ثقل أنفاسها ...

أكتر من سجنو داخل القطيع إلا من أنهكم متل هدا الدخول المفاجئ ،و المتخوم بالسمنة المفرطة ...

الـوحـدة *

***

لطالما غفوت فوق أكتافي ،لأخبر نفسي ،بجدارتها ،بل بعنادها المقبول تجاه الحياة ، فأقول : أن العزلة تتطلب المقدرة على تخلي ! فيقفز القلب بخيبة ألمه ،فيصب في أعماقي مشاعر تافهة ،لتحسسني بالذنب ،بل بقيمة تلك المشاعر السوقية ، فيتدخل العقل طالبا وقتا مستقطعا ، فتنهال عليَّ الذكريات مقنعة إياي بصلاحية العواطف الكاذبة ،عندما ستنال الوحدة ستكون صوب أطماع الجميع ! العقل والقلب ، وحتى جسد نفسه يحاول إفساد حفلة إستقبالك ،بخصائصه البيولوجية ،نعم تلك التي تسمى الحاجة الى إجتماع البشري !

عند أول كذبة ، بل مزحة بيضاء كما يطلق عليها الأغبياء،ستكون هي الراعي الدي يساق خلفه آلاف الرؤوس دون توقف ، وستكون أنت المقصود،انت الحضيرة نفسها التي تستوعب ذلك الكم الهائل من الرؤوس السمينة ،أنت الدي

سيحاول بكل جهد إزاحة تلك الكذبة بأكذوبات أفخم منها بأسا و إمتدادا ، فمن أي فصيلة يولد هذا الشيء ، إن الوحدة أشبه بسيارة مهترئة ،قد توفي صاحِبُها وبقيت صامدة تحت أنظار الشمس إلى حين لا نعلم هل ستتحول الى غبار ام يعاد تدويرها !

الوحدة بما تحمله من ألم وبؤس فضيع ،لن تذهب دون أن تعطي المقابل ؛إنها لا تحتاج لتلد الأكاذيب وتلك العادات الواهية ،بل العيش للعيش فقط أكل وشرب و منام .يولد في كل قطيع من يحاول إجبار سائر الخراف على الظن بأنه الراعي الجبار ،ولحسن الحظ جميع الخراف تملك نفس الهدف ،و بتالي تولد الكذبة بين هؤلاء الخراف ،نوع ما من المتالية المزيفة ،إستتناء قبيح في جزيئات هيكل المجتمع المريض ..يولد الكذب والخيانة .....من كبذ المجتمع بل الحضيرة نفسها ،أتعلم يا من لا أطيق إنتظار لأزف له خبر موتي على مذياعه الصدئ ،ليفرح ويبتسم أنذاك دون أن يتذكر مآسي التي دفنها المجتمع في أطفاله !

إن سوء هظمنا للأحداث ،ليس بفضل حلقنا الضيق ،أو سوء هظمنا له ،بل الطعام الدي لا يصلح سوى للقطط ،لن تُقنِع أرنبا بأكله ...سيبدو امر كانني أهدي ،وأحاول نبش أعماقكم بكلامي ،ولكنني مفعم بقوة لا أقدر على وصفها ،حتى بوصف قريب لا يوجد ،إني أحاول أن أري من يطفو على الشواطئ أن القعر ليس سيئا ،فقط يجدر به أن يتقن فن السباحة إلى الأعماق !

إن الوحدة ليست سيئة ،بقدر ما يثقل المجتمع جناحيك حتى لا تطفو،إلا وتحمل معك آلاف الطيور الضعيفة ، فأنا لا أجيد الطيران إلا وأنا حر ،بل خفيف ،لا يثقله أحد ،حتى طعامه لن يجبره على حمله ...

الدي يمشي ذليلا وسط القطيع لن يمشي عظيما لوحده ، الضعفاء ليسو المتشردين او أولائك الدين لا يملكون المال ،تلك النخبة التي تتجول في الشوارع دون هدف ولا مأوى، حتى البعض يظنهم حمقى مجانين ، إني لأسيء لأيا كان ،ولكنني أؤمن بقوة هؤلاء ، إن الضعف الوحيد هو إجبار نفسك على الطاعة ،على أن تكون خاضعا طوال الوقت ،لصداقة متعبة ،بل منفعة ذاتية ، عندما إحتاج إنسان لصديق ،فَقَدَ نفسه وذاته في ذلك الصديق !

سَيَئُط من أعلى الخيل من لا يصلح لركوب الخيل ،لينهب مني ما أجيد الحفاظ عليه ،إنها وحدتي ، فيقول مترنحا في طابعه إجتماعي الموحل .

الأصدقاء نبلاء، إن الحياة ماء وجليد ،حجرة وطوب ،لدى لا تحكم على أشخاص من علاقة كنت المُدَمَّرَ فيها !

كتيرا ما يحب أمثاله إنتقاذي بدعوى أنني أطيح بأكاديبهم وأوهامهم الصدئة ، مهما بلغت من القول لن يجدي معي شيء ، فأنا صادقت الكتيرين وما كنت أصادق أحدا ، إني أحافظ على فضيلتي من أن تفسدها أيدي أصدقاء ، ولا يخفى عنك أن كل صديق يتحول الى حاسد في وقت يرى فيه أنه مجرد ضعيف نذل ،بل ناقص أمام صديقه !

مهما بدى لك الصديق مُبهِراوعفيفًا و حتى وفياً ،لا تصدقه ،ففي لحظة ينسحب كل هذا لتتعرى الدوافع ، وتكون أنت الخاسر الوحيد ، فأي شخص ممن يجيدون التنكر بأقنعتهم ، ليفعل ما قد يفعل خصوصا عند الكلام إلى الجنس الشيطاني " اللطيف (مزحة أذار).

إن ولادة اليأس في القلوب ليست سوى ولادة متدرجة تبدأ بالوجع الخفيف لتنتهي بالوجع القاصي الدي لا يحتمل ، فإما طرحه خارجا أو طمره في أعماق ...

حثما سيقول أحد ما ؛ أنني اكره أصدقاء لأنهم خونة وما شابه، طبعا لا ،الخيانة تنشأ عندما يرى الخائن لنفسه فرصتين ،فإن أضاع أولى ،لقي التانية ، ولكنني لم أعْطِ في حياتي فرصة تانية لأحد بمثل تلك السداجة المخيفة التي تركب كل خروف إجتماعي.

سأخيفك يا عزيزي ،بل سأحطم ما قد تظنه انت الجيّد ، الصداقة والحب نفس المبدأ ،بل نفس الفخ المشؤوم ،تنشأَن عن نقص وتنتهيان به ،فمهما إدعيت القوة أمام أصدقاءك لتنفرد ضعيفا لا تهزك قَدَمَـاكْ .

سيصيبك الإحباط بدرجة من الكوميدية الوجودية ،فتضحك لتظهر لنفسك أنك مقبول لدى الجميع ،لتلك الفتاة الجميلة التي مدحتك لأنك مهرجها اللعين ، و أولائك الحمقى الدين يلاحقونك بدعوى التهريج والسعادة المزيفة ، إن العودة إلى القطيع أسهل بكتير من أن تعيش وحيدا ،بل أن تنام وحيدا ليوم واحد ،لترى أن للباب وجها مخيفا ،وللظلمة أيادي قاسية قد تمتد لإرعابك ، وربما ليسقط الصقف على رأسك في هجوم للفضائيين أوغاد ،كل هذا لأنك إجتماعي أحمق ،قد أَحَبَّ قذارة العيش مع الآخرين ،ذون أن تَكُون له القدرة على العيش بمُفْرَدِهِ..

فلو إِخْتَصَرْتَ كل هذا ،وإعتزلْتَ لما كان عليك أن تَخْلِقَ آلاف الأكاذيب ،لتقنع حبيبتك بحبك المزيف ،و تَبُتَّ في أصدقاءك تلك كوميدية التهريجية ،ولكان في مقدورك سَحْبَ أقدامك من وحْلِ حَضِيرتك العُشبِية .

كلما كان الوَّحْل ثَقيلاً ،كلما زاد ألمُ والشَقَاَء عند أول محاولة للإنفراد بعزلتك ،سيصيبك إحباط واليأس الفضيع ،لتعود مسرعا الى وحلك العزيزمن فرط ألم ...

لدى ينبغي على من يريد إعتزال ،أن يتخلص من كل ما يثقله ،أن يأتي نحيفا ،فالتخمة والسمنة أقبح اللحظات التي تعصف بجهازنا الهظمي ،فترده متسمما ،لا قدرة له على العيش الوحيد..

جاء الأمَلُ مُحَمَلاً بِنَبَضَاتٍ مُوجِعَةٍ تُكَسِّرُ الحِيلَ ، وتَعْصِفُ بكُل أَرْضٍ ،فلا يحْتَـاجُ الوَقْتُ سِوىَ لِيَنْحَدِرَ الى نفْسه ،فَلَرُبمَا تَهْدأُ الَعَـاصِفَةُ.

أَقْسَى شُعُورٍ يَمُرُّ بهِ المَرْؤُ هُو البَقَـاء وَحـيدًا طَوَالَ الوَقْتِ،فَإِنْ أَفْرَطَ المَرْؤُ فِي الوَحْدَةِ ،لَنْ يَحْتَاجَ لِأَحَدٍ بَعْدَهَا ،حَتَّى أَنَّهُ لْنْ يَسْتَطيعَ إِبْطَالَ كُلِّ تِلْكَ النـوَبَاتْ مِنَ الألمِ والكَآبَةِ،فلاَيَحِقُّ لَهُ سِوَى أَنْ يَتَشَبَّهَ بِنَفْسِهِ حـتَّى تُجْهَضَ آلاَمُهُ طَوَاعِيَةً،فيَعْتَادُ صِيَاحَ النَّفْسِ وآلامِهَا ،فَأغْلَبُ منْ فَضَّلُوُ الوَحْدَةِ ،أَلَفُو أَلامَهَا وَبَواعِثِهَا ..

فَكَمْ سَنَحْتَاجُ لِهَكَدَا إِنْسَانْ ،قَادِمًا مِنْ الأَعَالِي ،مُنْتَشِيًا مِنْ بَيْنِ الانْقَاضِ ،صَارِخًا بِنَجَاتِهِ مِنْ عِقَابِ هَدِهِ الحَيَاةِ،عـائِدًا مِنْ مَكَانٍ تَسَلُّقِهِ ،باعِثًا فِي أُجْوَاءِ رَائِحَةَ زَكِيَّةً ،لِرُوحِ الفَضِيلَةِ الطَّاهِرَةِ،بَعْدَ قُرُونٍ مِنَ الوَحْدَةِ حَيْثُ إِنْتَصَبَ ،وَعَلىَ شَأْنُهُ بِنَفْسِهِ ،فَمَا عَادَتْ رُؤْيَاهُ تُنْصَبُ إِلاَ عَلى المُرْتَفَعَاتِ حَيْثُ تُقِيمُ العُزْلَةُ أَقْدَسَ مَراسِمِهَ وَطُقُوسِهَا ،وَمـا عَادَ يَهْتَمُّ لِبُحَيْرَةِ الوَحَلِ ولاَ الخَنَازِيرُ أَنْفُسَهُمْ ،فَمَنْ إِدَّعَى سُهُولَةَ إِنْعِتَاقِ منْ بَيْنِ القَطِيعِ ،لِيُجَرِّبْ تَسَلُّقَ جُرْفٍ حَادٍ وَطَوِيلْ ،مُنْقَطِعَ النَّفْسِ دُونَ أَنْ يَلْهَتَ اَوْ يُغْمَى عَلَيْهِ.

فَهَكَدَا هِي الَوَحْدَةُ ،بَدْلٌ فِي أَقْصَى الجُهْدِ إِهْتِمـامِ ومَا بَعْدَهـا راَحَةٌ أَبَدِيَّةٌ وَلامُبَالاَة.

***

العَيْشُ الوَحِيدْ أسْوء ُبِكَتيرْ ِمنْ أَيّ شُعوُر يُـزَاولِ الـمَرْؤُ،فعِندَمـا يَـأْلفُـهُ إنسَـانُ يُصْبِحُ سَيّئًـا فِي إِهْتمَـامُ ،والتشَبُّتَ بِالآخَرِينَ مَادامَ وَجَـدَ ميـلاَذَهُ فِـي العزْلَـة..

ذبـول الـنفـوس*

***

إن الأَزهارَ لِتستمر في التَّفَتُّحْ ، لوقت تبدو فيه شَامِخَةً في تفَاخُر القُّدُسِي ِبعَبقِها آلسَّاحر ووجودها العـَجِيبْ ،فتعود بنفس آلشَّغَفْ الديِ جَعَلَها تُمَاطِلُ للْصعود ،فالترْكُدَ وتنْبطِحَ أرضاً من فَرْطِ آلذُّبُولِ ،مهما عَلَتْ وقاَوَمتْ مصيرهَا ،لتَسْتَنْزِفَ كل ِقوَاهاً في البَقَاءَ عَـاطِلة عن الزوال فلِلَحْظَة يَنْهـارُ القَواَمْ ويصبح الذبُول مصيرا مُحـتَّماً ،والإحْتِراَقُ أخر ما تنتهي به أوراقها.

إن تعَاقُبَ الفصول لهو عِقاَبٌ قاَسٍ في حق الزهور ،لربما هو العدل نفسه في القضاء على من لا يصلحون سوى للزَّوال ، إن النفوس ما هي إلا زهور تبدأ في التفتح ،لتنضج تم تعود منهارة من حيث أتت ليصيبها الذبول ،ومن نفس التربة تولد أزهار أخرى لتعيد نسج الرباط الأبدي بين العصور ...

إن التُّرْبَةُ التي َتلدُ من يَصْلُحُونْ للْأُنوفِ الجيدة ، ليَسْحرو الفضاء برائحتهم ،تلد أيضا من يجيدون إفساده وتعكير جونا الدي إعتدنا أن نجعله يليق فقط للروائح العبقة، الفاتنة ، إن إختيار أذواق هو نمط من أنماط الفكر ، فألأوغاد لهم ذوق قبيح ،و الصالحون لا يمتلكون ذوقا ، لأنهم بكل بساطة يفرطون في خيرهم المزيف ،لدى لا يحتاجون إختيار عندما تكون كل أذواق من نفس النوع ...

يا من إعتدْتُ أن أصالحها في عِزّ شَقاَوتيِ ،إني لأخبركِ أن ما للزهور لتذْبل و ما الزهور إلا نفُوسٌ قد إنْجَلَى قوامها بعدما كانت شامخة في أعالي فأصابها رهْبَانُ آلمشِيبِ و إنْفلَتَتْ من النضوج فَسَقَطَتْ نحو التَّشَيُّخ دون مبالاة .عندما تنمو الحياة بداخلنا نحن البذور التي صعدت حديثا الى هذا العالم ،فتغدو نبتة مراهقة في أوجِ عطائها ، لتستمر في النضوج لوقت تبدو فيه مُتْعَبَةً ليس بينها وبين الزوال سوى تانية ، فالمزارع لا يرى النبتة ،بل يرى فقط ما وراء النبتة (إنتاج) ، كيف لكم أن تنسو أننا لسنا مجرد كؤوس مملوءة بالفراغ الأبدي الدي يكسو أعماق الفضاء ، إننا ولو إستطعنا بجل الكلمات إحتقار هدا العالم فلن نحتقر سوى أنفسنا نحن الجزء من هدا الكون ، إني في وقت أرغب في بثر البعض من هدا الوجود ،إنهم يفسدوننا من بعيد لأنهم لا يستطيعون الوصول إلينا ،فيرسلون إلينا سربا من الأحاجي المرهقة و الحقيرة التي لم يخطئو في تصويبها إلينا ، إن هؤلاء يولدون في كل زمان ،في كل عصر ليفسدو ما وجدو ليفسدوه ،إن وجودهم الفعلي هو في إفساد عظمة الآخرين و الضرب في نفسيتهم ،فأغلب الرعاع لم يستطيعو التوقف عن إخراج دلك الحسد المميت الدي به ينكدون و يفسدون الحفلات بدعوى أنهم لا يجيدون الرقص ، ولكنهم في الحقيقة لا يجيدون إحتفال ، إن مثل هدا النذل ليجلس خلف كل المقاعد ، ليُظْهِر في أوقات تَحَسُّرَه ، أنه المثقف المخلص الدي يستنزف كل الكتب ،فقط ليأخد الشهرة المزيفة بدعوى تقافته المشبوهة ، أو المهرج الوفي لتلك النخبة التي تسرف في تضيع ثروة أباءها بدعوى الفصيلة الناذرة ،إن هذا الوقح ليظل مخمورا بالمذلة في وقت يصيبه الموت فلن يجد أمامه سوى حفار القبور و طوب حجارة .

كم ستكون النفوس قبيحة في الوقت الدي سنحتاج فيه لأنفاس تليق بكل عصر ،إن الحكم على صلاحية النفوس بالقبيح أو الصالح لهو ضرب

من الخيال إننا نعجز عن رؤية ما بداخل الزجاجة نبيذ ،ماء أو هواء ،" الجسد" بهذا تظل معرفتنا نسبية مختلطة بتفاعلات الفعلية مع الآخرين ،متى نرى النفوس القبيحة ؟

ليس من الجيد الخوض في هذا الرحم المهترئ لألا نُجْهَضْ ونحن نواصل الزحف نحو الشواطئ .

إن أي نفس ما لها من القباحة شيء ،فقط تحاول أن تكون خيرة ،فتأخذ على رأسها تاجا ،ينصبها كإستثناء بين البشر " المثالية" ،بمعنى القريب ،فأي نفس قبيحة تظهر ما تجيده وهو إخفاء تلك القباحة وراء أحلامها الساحرة ومتاليتها المزيفة ،فدناءة النذل الدي صادقته منذ زمن ،وكنْتَ آملا في مواصلة إستمرار في وفاءه ،لينقلب في غمزة عين لمنحرف لعين في وقت رأى أن الجنس أشبه بالشطيرة فلم يقاوم بطش الجوع و ضخامة الموقف ،فإرتد خائنا يزرع الفتن ليحصد أنتاه العزيزة .

إني أشفق على الذكور جميعهم ،في الوقت الدي يسعون فيه وراء كل أنتى حقيرة ،ليقنعوها بأخلاقهم الحسنة و طبعهم الرجولي المؤقت حتى يفقذو أنفسهم.

إن من النفوس القبيحة ، من ساوم نفسه ورجولته بتصنع قبيح لأنتى لعينة ،

و من فضل غريزته (أنتى) على فضيلته(صداقة)،

والدي قاسَ نبله ليصطاد أحدا (زواج)،

والدي جعل من الحسد فضيلة ،يزرع بها الفتن ،

والدي لا يرى في العالم سوى كعبه الطويل .

إن أكتر المتسولين ينجرفون وراء البغضاء بكل سلاسة ،فيفرحون عند كل عداء و يحزنون عند كل لقاء.إن هذا العصر لم يلد قط سوى النفوس المهترئة و النفوس القبيحة وكلاهما لا يصلحان لتجميل الجو .

فالمهترئة ترى في العالم جحيما تنكب فيه الشقاوة ،والبشر فيه مجرد شياطين منخدعين في أزياءهم اللبقة ، و القبيحة ترى العالم مكبا لتنفيس عن دوافعهم المكبوتة عن غريزتهم الجنسية ..

فما بين القبيحة و المهترئة توجد النفس المصطنعة ، إنها أسوءهم ،وأنذلهم وأقبحهم ذناءة ،فصاحبها يصادق الكل ويخون الكل ،يحب الكل ويكره الكل ،يصنع لنفسه ما عجزت نفسه عن إقامته ،إنه يصلي وبعد الصلاة يخرج ليسرق و يثرثر !

إني أجهل من أي رحم ولد هدا النذل ،لربما أَوْجَدتْه إحدى الجواري في عرضها الراقص ،وربما تلك التي لم تترك في الشارع مكانا إلا وقصدته مع عشاقها..

سيتمتم وسيكره ألفاظي بعدما يجد نفسه المقصود ، فأنا منذ ولادتي أقول الحقيقة ،لا أخاف أحدا ،وبكل بساطة لا رغبة لي فللإحتفاظ بأحد. إن تدورنا بالجوع إنقلب لديك الى الغريزة فلم تقنع نفسك إلا بالصيد القريب ، حتى حبيبة صديقك واصلت التقرب منها كجرذ لعين ، صراحة كنت أؤمن بقدرتك على ان تكون جرذا ،ولكني أخطأت في نوعية الجبنة ،كانت عفنة عكس المقصود...

إن مصاحبة أوغاد ،نعم اقارب (اولاد عم ....الخ) ليس إلا مزحة سافلة تسمى التناسل ،فلا علاقة تربطنا سوى دلك السهم من ذماء الفاسدة التي تمنيت لو إستأصلتها من نفسي ،فلست ممن يجيدون لعب دور الثعلب الماكر في مسرحيتكم الوجودية...

في وقت أعلنت الحرب ،وواصلت ذَكَّ أوغاد في لائحتي التي إمتلأت بالدين لا يصلحون للحياة ،

أعدمت جميع المشاعر و ذفنتها ذون رؤوس في مقبرة أعماق تلك التي لا يعود من بعدها أحد إلى الحياة ، فقد أوليت لكل صنف مكانا يليق به ؛ الأنذال الحمقى ، و الأنذال المخادعون ، النفوس الطيبة المزيفة ،اللانفوس ، وهل تعلم أين آنتَ من كل هذا يا من أفرط في دوافعه الجنسية ،فإرتكابه لتلك الغلطة القبيحة في أن أكون الحكم بينكما ، أنت في المقبرة التانية تلك التي تخص أنذال المخادعين فمهما آدعيت النوايا الحسنة و الوفاء الرخو ، لن يكون بودك أن تجعلني أفرط في تصديقك بدعوى تلك العمومية القذرة التي بثرثها سنينا.

لربما أسرفت في ذكرك بل تناسيت أنك قيمة تحت الصفر ،عندما نالت بصراي من كلامك الجميل ،و جميع من علقو بروعته و إعجابهم بنوعيته،لم يدركو أن الكلام مثله مثل الرقص الجارية ترقص و إبنها يتكلم ، دعك من تصنع تلك القداسة أخلاقية أعرف أنك مجرد كلب لعين ،بل ذئب يقدس مفاتن إنات جميعهن ،وهدا الدي يصلح لزوال بكل بأس وقساوة .

إن أي نفس لتفوح بشيء ما من العطور التي تبدو غير مألوفة لتلك الأنوف التي ألفة عطورا أخرى وأنفسا جديدة ، فالجيد لا يوجد ، فقط ما بين الجيد و القبيح ، فإنسان يستصعب الجيد و يستسهل القبيح ...

فالنفس ما عليها سوى أن تقاوم إغراء المفاتن كي لا تسقط عبدا للدوافع، إن أسوء العصور التي أنجبها المصير الإنساني ،هذا العصر القبيح الذي نرى فيه أن الجنس مقدس أكتر من الذات نفسها ،وأن الأنتى ملاك

في حلته اللبقة بل في مثاليته المزيفة ، فعندما إنعدمت المساواة بين الرجل و المرأة في قديم الزمان ،إنحازت القوة لأيدي الرجال فيقتلون كل أنتى ولدت ويحتفظون بالذكور ،لربما كانو جهلاء بمصيرهم ،وربما كانو أذكياء أكتر من اللازم ، إن فرط في مساوات بين الجنسين ،تولد عنه تقافة مشوهة ،أصبحت أنتى ترى في الحداثة التعري وإبانة المفاتن ، أصبحت مدخولا إقتصاديا لزبائنها الذكور ،فالحياة لم تعد تطاق ،عندما نرى أن الشعب يقدس الماديات " النقوذ " وقد يفعل أسوء أفعال لمجرد الحصول على فلسين رخيصين !

كانت لتبدو إنسانية بدائية متوحشة اكتر من غيرها من العصور ،حتى هدا العصر ليبدو سليما معافاا ،لكنه عاجز ،بل تغلغل فيه المرض الى حد العظام ،فلم يبقي فيه سوى الشفاه لتتحدت ، إن التوحش البدائي الدي إنفلت من بين أيدي في تلك المعارك الشرسة ،إنقلب اليوم إلى عراك وهمي إديولوجي في كل يوم نشهد عراكا ،من الناجي ؟ وأين الضحية ؟

التوحش لم ينتهي أو يُجْهَضْ عندما إستحدثو الثقافة بقدر ما أن التقافة أخفته تحت جلبابها ،فينط في الليل باعثا جلبة أعماق ،ليعود في الفجر تحت الستار . ما على إنسان سوى أن يكون نفسه ،فلحظة إحتقار النفس ،هي لحظة البحث عن الشخوص لتلك الذات أصغورية التي إنطبع فيها النقص فلم تعد تقوبها لتحمل كل دلك الذواء

ما على إنسان سوى أن ينعزل بل أن يعاود نسج ذاته بذاته ،فعندما تصبح خروفا (إجتماعي) ترى فقط العشب (الماديات) و الحضيرة(المجتمع) وأرجل الراعي(الإمبراطور) .

عند تجاوز الذات يصبح أمر سهلا ،وترى كم أن التخلي مجديا ،فترى اشياء التي كانت قبلا دوهبة و قيمة أصبحت الآن تافهة وعديمة القيمة ،هدا هو ما أفضله في العزلة إنها لا تعود بالفضل لأحد بل تجعلني

قادرا على تحطيم أي مُزْحَة فِي أن يجعلني أحد أنام وأنا أتحسر على تركه...

تأْنيب الضَّمير هو أحد المُبْطِلَاتْ التي عَجِزَ هو نفسه عن لَمْسيِ عِنْدَمَا إعْتَزلْتُ كل شيء...

إنَّ أَقْبَحَ إنْتِفاضَةٍ تُشْعِرُكَ بالنَّذَمِ تِلْكَ التِي إمْتَنَعَتْ عَنِ الحُصُولِ بِفَضْلِ قَرَارٍ مُتَسَرّعٍ ،أَوْدِي بِكُلِّ الرَغَبَاتِ النَبِيلَةِ الِى الهَاوِيةِ فَبقيَتْ القَبِيحَةُ مِنْهَا تُحَـاوِلُ نَـيْلَ نَفْسِهَا فِي هَذاَ الوُجُودِ.فَكَمٍ مِنْ أَحَدٍ ظَنَّ الجُرْأَةٍ فَتَاةٍ فَرَاحَ يَتَغَزَّلُ بِهَا ،وكَمْ مِنْ وَرْدَةٍ ظَنَّتْ نَفْسَهـا سَيِّدَة النَّسِيمِ ،فَسَلَّمَتْ ذَاتَهَا لِرِّياَحِ حَتِى بَقِيَ مِنْهَا سِوَى الغُصْنِ.

لـما الـعزلــة *!

* * *

لَمْ نَأْتي من الفضَاء علوة فإخْتَرناَ لأنفسنا أن نعتزل كل شيء ،لم نولد ناضجين ،ولم نُلقَى الى هذا العالم الكفيف بإذْنٍ مِنَا ،بل رُمِينَا بأَسْوءِ سَهْمٍ ونحن تلك السُموُم ْالتي تَرْكَبُهُ نَحوَ هذه الأرض المَريضة التي زِدْنَاها ألَماً وعَجزاً ، عندما بلغ منا مشيب الأعماق حد السُّدودْ ،ما كان المُتَنَفَّسُ سوى أن نَعْتَزِل كل هذا ،بَدَتْ البداية جُرْح حَديثُ الولَادة ،الألم عجيب و الوجع لا ينتهي إلا بمُخدِّرِ الشيرا،ما عادَتْ الحُبوُبْ تَصْلُحُ لنسيان الألم، الجسد يُحَاولُ ألا يُحْدِثَ ضَجَّةَ فيُوقِظَ الفَقيدْ..السرير غارق في الأحزان ،كل أجساد تَحْتَاجُ لِسَرِيرْ ،وبعْضُهاَ لم يَجد سِوى هَامِشِ الطَّرِيقْ..

كَّمْ كلَّفَتْنَا العزلة !، ما يَفوُقُ مليار شُعُورْ ،وتْرِليُونَ صورة من ذاكرتنا المفقوذة ،ستبدو للحظة من حسن حَظِّنَا ،ولكن اَلنسْيَان أسوء من كمن يَنْسَى كل شَيء، ضاَئِعْ وهاَئِمْ لا يَرىَ في ،اَلتذَكُر ًبألاف المَراَت العالم سوى دلك اَلعَدُو اَلمتَنَكِّر في لِباسِه الخير..

الأشياء كلها مَجهوُلةٌ ،ربما كَابُوسْ لعين وربما حلم يأَئِسْ ،من الجيد أن نُجيدَ اَلتَّعَرُّفَ على بعْض أَشْيَاءْ ،فَتَكُونُ مُؤْنِساً لنَا في كُلُّ أوقَاتِ ،فَنَعْلمُ أيَّ الصَّخَرِ من الشَّجَرِ من الجحِيم ..فنحن غُرَباَءٌ في هذا العالم ،إرْتَوَيْناَ مِنْهُ وإرْتَوى منَا ،فَصِرْناَ في دَاكِرَتِه مُجَرَّدَ مَفْقُوذِينَ أوْغَاد لا يُسْمَعُ صَيْتُهُمْ إلاَ فِي المَّقاَبرْ نَحْنُ الأَمْواَتْ ..نَحنُ ذَوِي الجثْمان المهْترِئَةِ ..

إنناَ نُوفِّرُ طاَبَعاً إستتنائيًا ،عندما نُشْعِرُ دَوِي النزعة المُخْتنِقَةُ أننا نُقَدِّرُ إخْتِنَاقهُم بِفَضْلِ عُزلَتنَا و طابعها

الهَّجَرِي ،الدي يجعلهم يقَدِّسُون إخْتناَقهُم ويُسلِّمون بأَحـقيَة عَدَم إنتِزاَعنا منهم ما يجعلهم يختَنقُون..

لمـا العُـزلَـة؟

إنها منْفذُناَ لِلفَراغ الأبدي ، إنها إستراحتنا الأزلية وراء تلك اَلكُثْباَن من القبَاحـَة الوجودية (أفعال ومشاعرالسيئة)، لم نعد نومئ أنفسنا لتلك النفوس المتحنطة ،تلك التي تستعد في كل حين لنعترف بها ،بأنها جليلة، لنبقى ماطلين أعيننا في مفاتنها اللعينة.

نحن من إعتزل كل شيء ،العلاقاَت الكاذبة ،وتهريج إجتماعي (ابتسامات المزيفة)..أَلْغَيْنَا جُلَّ ما يوُقِظُ حَمَاسَتنَاَ ،وفضلنا أن نبتعد ذون أثقال ،نحن ذوي النفوس التي تآبى أن تحمل شيئا الى العدم.

إن الدي ُيتْخَمُ من فَرطِ إحْتِسَاءه لكحوله إجتماعية " علاقات" ،لن يصيبه منهَا سوى عُسْرٌ للهظْم مهما كان عنُقه مَرِنًا ،فسَيَحْتَاج لرَجْفَة من الماء العذب " العزلة" فقط ليُطَهِّرَ أمْعاءه من بقَايَا تلك الشحوم المُترهِّلةِ.

حتى الآن لم يولد من يُجِيدُ شُرْبَ دلك الماءِ من مَنبَعه ، فالْجَمِيع مَاطِلون أعْنَاقَهُم صَوْبَ النهْر حيت يَصْبوُ فلا يَرَوْنَ من المنْبعِ سوى

الشَلَال ْ،ظانين أنه يروي وحْدتَهم ويُلمِّعُ بقايا خَرَابَهم آلنفْسِيَّ ، غَيْر أَنهم َلمْ يَرَوْ من يغْطِسُ في النهر فَيُلَوِّثُ طُهرَهُم وَيزِيد من فَخامَةِ خَرابِهِم وقَسَاوتَهُ.

عندَما تَـتَفَاقَم العَدْوىَ ،يُصْبح أمرُ يتَطلَّبُ مَوضْعًا لْلهرَبْ ،بل للإخْتِبَاء ،فيَهْرَعُون إلَيْنا نَحْن ذَوي الزَّوايَا الضَيِّقَةِ طَالِبينَ إواءَهمْ فلا نَرُدُّ ضَيْفًا ولا َنُبْكِي أحَدًا ، أمثَالَنا أشْقياء مع أنفُسهم و ضُرفاَءٌ مع الأَخرِين ، هدا دَرْسٌ من العزلة نفسها .

فللحظة َينُطُّ الفساد من قلْب الضَّيْف كمُزحـة تركها المهرج لِنهَايَةِ العرض ،فَيبتسِم بضحكته الشريرة ،هنا نعلم أننا في قلب الكوميدية مأساوية ونحن ضحاياها.

لقد فَسُدَ الطعام وما عاد يصلح لنا ،فلْنُبَدِّلْ الوِّجْهةِ بل الموضع نفسه .إن أسوء اللحظات ليس أن َينتَزِعُو منك عُزلتك ،بل أن يفسدوها بذاخلك ،إنهم ليْسُو بشَرًا كائنات غريبة تطالب بالسلام في وقت لم يتركو للشَيْطـَان أيَّ ِفعْل سَيِّءٍ ليَقُومـَ بِهْ.

بينما الحقل يقيم طقوسه، السنابل ترقص و الطيور تغرد ، حتى أشجار تنثر سحرها في أرجاء لا تحملها فرحة ،فيأتي النسيم في عبق الترانيم ليفوح في الجو ،فيزداد الجو جمالا ،فتنفرج المكائد لتتولد من الفرحة قرحة ،و تتحول السعادة الى مأثم يخيم عليه العبوس ،إن في قلب السعادة ليولد من يبطل هده السعادة ، نفس الفَصِيلَة التي نَبَعتْ منها الفَضِيلةِ ،و قد تَلِدَ أيْضًا آلرَّدِيلة ..

كنت لأشعر بالزهاء في نفس الحقل ،بين تلك الألحان الشجية و الرقص السنابل الفتية ،لكنني إختصرت كل هدا في زاوية أبطلت فيها كل شيء ،فقد فقدت رغبة في الرقص ، و التمايل يمينا وشمالا وفضلت الجلوس

صامدا كصخرة من الثَّلجِ التي تُجَاهِدُ لألا ُتذيبَ نفْسهَا فوق غُصْنٍ من الشَّجَر الَميت على حَافةِ الحقل ،أنظاري تنْسَحِب من الحقل " التجمع " بكل سلاسة ،لقد ُقبّحَ المنظر وبدى لي حرب طاحِنة بين السنابل و الغربآن و حتى الطيور المغردة ،فالشجر كف عن إمداد بالسحر .الكل إنسحب الى وكره ،و بقي الحقل فارغا .لا يؤنسه غيري ،ولا يفرحني سوى فراغه ..

إن هدا إنسحاب المفاجئ لا يعدو ليكون سوى إنتصار لذات في إكتفاء نفسها بنفسها ،فأغلب من رَأيْتْ إنسحبو لتوان وعادو اليها مسرعين مشتاقين لتجمعهم.

إن المكافأة الجليلة التي تُهْديهَا لنفسك هو بإِعْتزَالِهَا كل ما يحَطمها و يَحُطُّ من عظَمتِها ،حتى وإنْ بدَتْ

تـتَجَـرَّ ع َآلاَم َوحْدَتَهاَ لتَعوُدَ من فَرط قوتها فَتُكَسِّرَ كلَّ ما تَتَجرَّعُهُ...َ

العزلة لن تليق بمن يحب إمتلاك و السيطرة ،بل تتوالم مع من يجيد الهجر و ترك كل شيء بعيدا عنه ،هدا الفرق بيننا وبين اجتماعيين ،هم بطبعهم يحبون إمتلاك و تفاخر و إعطاك قيمة لتلك التفاهات اجتماعية " علاقات ،أحاديث،اخلاق...." لكننا نحن لا نعطي أي قيمة لأي شيء، لكونه لا يستحق ما يجعلنا نعطيها لها ،إننا نسهل على الخائن سبل أن يخوننا بكل أرتحية ،دون أن يؤنبه ضميره ،فنبادر بالهجر ليس لأننا لا نهتم للحب ،ولكننا لا نتحمل ان نبقى طويلا مبتعدين عن عزلتنا و وحدتنا .

حتى نحن نجيد الحب ،ولكن حبنا لا يرقى له الوجود اجتماعي ،لكونه يبدو مقدسا ما فوق المادة ،عكس الحب المتداول الدي يخضع لتلك التجملات البليدة وأخلاق اجتماعية المزيفة ؛؛لماالعزلة؟

هل العزلة أحسن من أن نتشارك آلامنا مع بشري نوقن أنه أفضل خزان لأسرارنا؟

طبعا الإنسان بجميع طوابعه لا يحتاج ليقول لك انه يجيد الخداع ،فمتى وجد لنفسه دلك النقص الفضيع في أحد كرياته الحمراء ،حتى يتولد الحسد و البغض في قلبه ،لينقلب المخزون على خزانه ،فتنتشر الفضيحة بإسم الوفاء و ربما الضغينة نفسها .

مهما بلغ إنسان من الوفاء القمم ليعود ،بنفس علوه نحو القعر بانحطاطه وبغضه وحسده ،فإنسان يعجز عن إستمرار في إظهار خيره وإبطال شره لوقت يبدو فيه مجرد حيوان تقوده غريزته نحو الهاوية ،فمن يجيد إنكار طبيعته الغدارة ،فتنفلت قدماه عند كل إنزلاق فيبُتُّ في إنزلاقه مزحة لإظهار مدى خبرته في التزلج من أعالى المرتفعات ،إن أمتاله كتيرون ،يظهرون كم هم أوفياء و خيرون فينشرون صورا مضحكة و كلاما مضحكا و ربما سورة من قرآن الكريم ،وبعض أقوال ،فقط ليظهرو لأحدهم أنهم أوفياء و أخلاقيون و رجال يعتمد عليهم ،ولكن في الحقيقة كل هدا من العبث الخيالي ،فنميط عنه اللتام ليظهر بكل بشاعته الوجودية ،خائن بكل إحتراف ،وقح في وجوده ،ولا يمد للإنسانية سوى بجسده اللعين ،إن أشباهه يجيدون طمر أسوء ما فيهم بمجرد كلام عسلي و أخلاق مصطنعة ،فإياك ونعث أحد بخَزَانِكِ العَزِيز ْ،لأن الخزان وإن إمتلأ ليفيض فيجرف كل شيء ،الإنسان عندما يجد فرصة واحدة أمامه يلتزم بوفاءه ويجبر على أن يكون وفيا ،ولكن عندما

تحضر الفرصة التانية يصبح من المحثم أن يخون ،لأنه وجد فرصة تانية قد تكون أكتر إمتيازا من أولى وربما أجمل منها وأوفر حظا..

في أول فرصة له ،سيطعنك في ظهرك ،وسيتقرب من حبيبتك و سيديع لدى آخرين صفاتك التي ليست لك ،لدى كن وفيا لنفسك فأمثاله يستحقون إبادة بكل قسوة ،ويعاد إبادته آلاف المرات...

لدى أنا بطبعي لا أعطي الفرص لأحد لأتجنب خيانتهم ،إنها أفضلية ان تكون أعزلا ،مفعما بالفضيلة بدل أن تغتشي وسط حشد من الرذيلة بإسم العادات والقيم القطيعية ...

عش لنفسك ،فالبشر يحتاجون للأحاديت وربما قد تكون الضحية القادمة في أحاديثهم المشبوهة.

إِحتضـَار إنْسانـــي*ة

***

عند أول ذكرى لنا في تلك العقول الميتة ، نعم عقول الوشاة أولائك الدين يتمتمون في أعماقهم فقط ليخففو من وطأت وجودنا نحن. صورة بشعة لوجودنا تسكن أدمغتهم ،لم نفعل ما يقلقهم ولكنهم حساسون يفرطون في التحسس من عزلتنا.

إن تكاثر هذه الفصيلة اللعين لن يقودنا سوى لنشوب أسوء المعارك التي لا تنتهي ،سيكون المنتصر فيها لاأحد والكل خاسر ، هؤلاء يجيدون التلصص بكل إحترافية ،والتجسس على تمتماتنا وراء تلك الجدراء السميكة التي لا تخترق .

يولَد في كل سُلالة كبش يَصْلُحُ لتدْميرها ،مهما إبتلت بإصلاح لينهض من أعماقْ الرُّكام من يجيد إعادتها الى الركام.هده إنسانية التي بلغت من إنحطاط ما قد يهد ضخامة الجبال ، قد إنكب صيتها وما عاد أحد ينْسَجِرُ في سماع سنفونيتها العذباء ،إن الجيل السابق مِن العظماء لم يُبقِي منها شيئا لهدا الجيل ،فقد إنحلت النفوس ليولد جيل من المظطهدين المنحطين ،جيل يَفْتقِدُ لإنسانية إنسان ، ولا غبارا على أن الجيل اللاحق لن يكون من سلالة هدا الجيل فالعبيد يلد سربا من مثله و الغني يلد نذلا يرثه كل فساده ، إد أن الخروف يوصي الخراف بالخضوع لأرجل الراعي ،و إتباع أهواء القطيع و عشبهم القذر ، حيتما يوجد المجمع يوجد الفساد

حتى وإن بدى دئيلا متنكرا في دوافعه التقافية المزيفة..وتلك المثالية الرعناء في إمتطاء كرسي النبالة داخل الحضيرة" المجتمع".

عندما إنجلت قيمة الوجود في أعين إنسان ، وإندحر وجوده العلوي" قداسته" ،حيت إرتضت أنفاسه أن تخالط الجرذان في مجاريهم ،و القطط في حاوياتهم و الكلاب في تشردهم ،لم يعد للإنسان سوى أن ينتزع منه إنسانيته ! عند أول فرصة له ،لن يرضى سوى ببيعنا هدا الوجود ، بل إقتنائنا منه بعض الأنفاس لنستمر في الموت . الأمر لا يقتصر على أنه أراد أن يُثْمِنَ كل شيء ليحصل على الفائدة ،ولكنه ما عاد يقدس سوى النقوذ " الماديات"،في يوم ما قد يبيع شرفه ببضع دنارات وربما ليحتسب علينا دلك الجزء من الحرية الدي به نخرح لتنزه .

سيبدو أمر قبيحا الى درجة أن البعض سَيفْتَعِلُ مشكلة ليَخْتَتِمَ مَشهَدي ،ولكنني فقذت أمل في إنسانية هدا ما يجعلني أصمد في وجهه ،فيما مضى كان الكل يخيط توب الشرف بكل إحتراس فيحرسه بأنيابه ومخالبه حتى ما عاد لأحد التجرأعلى إنتهاكه ، حتى هدا الوقت عندما إنقلب إنسان من علاءه الى إنحطاطه ،وبدت له الحداثة و التحضر ،أشبه بعرض للأزياء ،الأجساد مكشوفة و الأنوثة منتهكة ، الأعين لم تحاول قط أن تكف عن النظر ،بدعوى الحرية الشخصية ، من هدا الجيل سينهض من يقضي على إنسانية بل على أنسان نفسه ، فحينما عجزت السلالات عن إحتفاظ بقداستها الوجودية في محاولة بائسة لتلقين قيم مقلدة أتناء محاكاتها لحركات الغرب و رعونتهم الأخلاقية تَوَلَّدَ من رحمهم نفس الرعونة بإسم الحداثة و التحضر ،وههنا فقذو أنفسهم وأقلودتهم التي لم تكن سوى قلادة تحرس فضيلتهم ،أخفق إنسان العصري عندما إتخد من الحداثة جانبها الشكلي ،و آتارها المادية ونسي

أنها تجَدد في الفكر قبل الجسد ،وهذه الغفلة المحرجة التي أبانت عن ضعف إنسان أمام فطرته وغريزته ...

إن إنسانيتنا نحن المعتزلة لا تزال مصونة من الفساد الطاغي في هدا العالم ،وهذا ما يميزنا ،مهما فقد إنسان فضيلة نكون نحن من نحافظ عليها فينا..

هده الفضيلة التي نجبرها على الطهارة لم تكن سوى العزلة نفسها ،التي عجز إجتماعيون أنذال عن مزاولتها .أتعلم أن بعض البطون تستحق أن تخترق بكل بأس لأنها لم تلد سوى المنحطين ومع ذلك تراها فرحة وسعيدة بولاذة هذا النذل البغيض ظانةً أنها لم تلد سوى أنبل الخلق ،إن أي فصيلة لترى نفسها المختارة لتكرس قيم الطهارة و تنجب لنا من ينقذنا من مصيرنا التعيس ، وهدا ما أغفله الطبيب عندما أخرج من الرحم من ينهي إنسانية بل يجرم في حقها...

إن تلقين و تدجين قيم العبودية لدوي إرادة الهشة من أجل الحفاظ على كرسي الرئاسة لم يكن دون جدوى فقد أعجب العبد بخضوعه ،و النذل بتقديسه لمفاتن (سلطة)رئيسه ، سوف تنطمر كل تلك القيم التي كانت تعلو بإنسان تحت أقدام الرجل الرأسمالي الدي سيشتري إنسان بكرامته و روحه !

كنا فيما مضى نسمع بسوق بيع العبيد كواقع مادي ،ولكنه الآن تجاوزه الى واقع عقلي والنفسي ،فالكل أصبح تابعا دون أن يدري ،فالنفسيات أصبحت خاضعة لنسيمات المارة توجهها أينما أحبت !

ينبغي على إنسانية أن تنتشل من قعر إنحطاط بولادة قيم جديدة تليق بهدا العصر ،فالقيم القديمة قد عفى عنها الزمن ، لأنها كانت موجهة

لسلالات دلك العصر ،ولن تبقى على ماهي عليه في هذا العصر الدي يتخد فيه إنسان مكان إله بكل بلاذة طبع

لدى على هذا العصر إنتاج قيم تليق به ،أقلودة تصلح لتجمل عنقه ..إن أسوء سؤال قد خطر ببالي وأنا أمازح نجوم بحضور القمر "من المجرم الدي أنهى اشواط إنسانية وجعلها تهلك في فتراتها أخيرة؟

الجواب عسير ،لا أحد سينهض ليقول أنا " فليشر الكل الى ذلك الوغد في الزاوية الدي لا ينتمي الى هذا العالم ،ليقولو: إنه هو ! هو مفسد البهجة ،و التحضر والترف الدي كدنا أن نعيشه لولا محافظته على فضائله منا !

إنسلاب القيم وربما خفوتها ،ليس سوى هظم لتلك العقوبات التي ينبغي نصبها و تقديرها ،فالسلالة ترى ابناءها متحضرين عندما يلبسون لباس العاهرات ،ظناً منهم أن التحضر هوفي اللباس الضيق ، و منتجة العبيد " المدرسة " فقذت شرفها في محاولتها الوقوف في وجه الظلم التحرش وإغتصاب إلا أنها هي ذاتها قد وقعت بها كل هذه الجرائم وما عداه التستر فإخلال بشرفها يعني فقذانها لأحد قوائمها و يا للأسف ما فائدة الشرف و النفس أهدها العفن ..

فمالدي تبقى للمجرم أن يفعله ،بفعل ذلك الدي كاد أن ينصب نبيا ،عندما سمح لدوافعه الجنسية ان تتمرد على أخلاقه المهنية فإرتضى ان يتحرش بطلابه ويغتصب شرفهن مقابل نقطة نجاح !

إني لا أحاول لفت إنتباه لتلك المتبجحة بإخلاصها وعدالتها المزيفة وأفعالها المقدسة لأنني أؤمن بأن البشر أسوء ما في الوجود والقائل أن إنسان طوب وحجر مجرد كاذب نسي خيانة زوجته له بمجرد أنها سحرته بمفاتنها.

دائما ما ينصب إهتمام إنسان في محاولاته المطاوعة لينال رضى الكل ،ويثير إنتباههم بتلك الميزة التي يفتقذها هو فيه ،فالأنثى تدعي الوفاء دائما لأنها ذات إمكانية كبيرة في الخيانة ،لتظهر لذكر أنها قادمة من أسفل الأرض من بين الحمم المنصهرة، تلك التي لم تلمسها أيدي أحد ،إنها تجيد إقناع ذوي أرجل المنزلقة (الدي تتحكم فيه غريزته) بمثاليتها القذرة ومع ذلك يقع النذل في الفخ مع إدراكه به ،لأن الغريزة عمياء !

و الذكر لا يدعي سوى الصلاح وأخلاق النبيلة ،وأنه من سلالة ثرية تصلح لحكم أجيال ،ليصطاد أنثاه العزيزة ولكنه يفشل عندما يحاول التفضيل بين أنثاه وصديقه المقرب.

هذا التجمهر العنيف الذي يصاحب إنهيار القيم بإسم الحداثة لن ينتهي سوى بأبشع جريمة ترتكب في حق إنسانية تلك الجريمة التي تفوق قباحتها الجرائم الأخرى (دبح إبن لأمه)..إن السؤال الدي يفوح في عقلي بأسوء ما قد يجعلني يائسا ! هل إنسان يحق له الحياة؟ وما معنى ان نعاقب بالعيش ونحن نجيد الغرق و الموت بكل سهولة !

عندما نصاب بخيبات الأمل تصبح النفس قذرة بل نتمنى لو ننتزع تلك النفوس لنلقيها خارجا...

إن أسوء النفوس من تجيد أن تكون أسوء ، تلك التي تُوجَدُ داخِل الحَضِيرة " المجتمع" ، إن هذه المجَاريِ العَكِرةِ تلد العُظَمَاء وقَد تَلدُ الحمقى والمجرمين ، وهدا الوقت لمْ نَرىَ فيهِ عظيما قط بل المجرمين فقط ، في الوقت الدي ينبغي فيه أن يُصَرّحَ بِحُكمِ إعدام ،تدخل دوي القبضة التي تخفف إختناق ليحرر الجاني من تهمته وأي تهمة للقتل لن يكون مقابلها سوى القتل وما عداها مجرد ظلم في حق إنسانية.

عندما ولدت ،وبدأت أستشْعر نفسي في هذا العالم ،كنت محتاجا فقط لتانيتين لأَسْتَرِدَّ عَافِيَتِي ،وأنبش عن فضيلتي ، حتى إنصعق وجودي بأكبر المجازر حتى أنني فَقَدْتُ حينها بعض المشاعر و العواطف ،فما أوقحَ أَن يُقْتَلَ المرئ لقول الحقيقة بَدَلَ أن يُعْدَمْ لقَتْلِ إنسان ، أين العدالَة صديقي الحَاكِم ربما في الجيب أو في العنق تماما المهم أن الجاني تحرر من جرمه لأنه قضى على من لا يصلح له ،

متى كان قول الحقيقة جرما أفضع من قتل ولد لأمه ؟

الآن نحن على حافة إنزلاق نحو الهاوية لنعيد كبرياء التوحش وطبيعة الشرسة ،مرحى سيحكم القوي وسيموت الضعيف ،لا أحد سيبقى حيا لتلك اللحظة ،سيختتم الجيل اللاحق مسيرة إنسانية ، ستنحل القيم ليعوضها المال ،و سيتغلغل العهر بدعوى حرية ذاتية لينفتح الباب لتصريف الدوافع المكبوتة فتصبح القيود صدئة لا تصطاد شيئا ،سيغزونا إنحطاط قيمي وستفتخر أم بولاذة دلك المنحط الجشع ،و ستعود السلالة الى قعر الظلمات ،عندما لم يوجد ما يلبس فقط اوراق الشجر ،بدعوى التحضر الوجودي ..

هكدا تم تعويض إنسانية قيمية بإنسانية أذاتية او النفعية عندما تنحسر جيوب الفقراء وهم على الهاوية ينفذ أكسجين و تتعطل سيارات إسعاف ، وعندما يستشعر النذل ذو الثراء العريض تعبا في إحدى خلاياه يحضر إليه ألاف سيارات وطبيبه الخاص ،عندما نحتاج للإبتسام لنقضي بعض أغراض ،عندما يُصْبِح علَيْنا أن نكون أخلاقيين (مصطنعين)لنحصل على حقوقنا ،وعلى أي حال أي حق لنا نحن ،الحق في الزوال !

إن هذا إجْهاَضُ الدي تتعَرضُ لهُ إنسَانيَّة ،لن يَتَسَبَّبْ سِوىَ في أبْشَعُ جُرْم قد َيشْهَدُهُ هذا الرَحِمْ الدي لَنْ يَعُوُدَ قَادِرًا على ولادَة من جَديد

،سَيَكُونُ علينا تَقْلِيدْ الغَرْب في أَخْلاَقِهِم وقِيَمِهِمْ لأننَا ما عُدْنَا موْجُودين
فاَلأمَّة تُعْرَفُ بأَخْلاَقِهَا و ِقيَمِهاَ لا ِبعُهْرِهَا وإنْتِهَاكٍ أجْسَادِهاَ...

كَيفَ لِلمَـرْئ أَنْ يَعْـتَاد الجَـمآلُ فَيرىَ في الْصَّقيعِ طُيُوراً وهِي تَسْرِقُ
فتـاتُ الـخبزِ لتُطْعِم ِفرَاخَهـا ،وينزَعِجَ المرَّئُ عنْدمَا َيسْرقُ إنْسَان رَغِيفَ
خُبْزٍ لِيسْكِتَ جُوعَه. أَهَداَ هُو إنسَاَن المُتَبَجِّحُ الدي يفْتخِرُ بانسَانيَتِهِ
المُجْهَضَةِ..أولَا إنسَـان هُو أَقرَبُ الَى فَصِيلَتِهِ إنسانية ،فَلَـوْ إرْتَضـى
إنْســانُ انْ يفَضِّل بَيْن أَنْ يُنْجدَ انسانًا مِن إنزِلَاق ِ(تحدير)، وَسَطَ
الحاويات (الهلاك)و فرْخًا جَـمِيلاً سَقَـط حَـديثًا من عُشِّهِ لاَخْـتَارَ
إرْجَـاعَ الطَـائِر لِعشِّهِ بدلَ إنسَـاَن.

الإنْسَـانيَة مَظَـاهِروماَا قِيلَ مُجَرَّدُ َألْـغَـامْ...

الـهَـجْـرْ*

***

إن إبتلاءكم بالشوق ما يجعلكم أنذال بل أنذال محْبَطين وهدا الدي يفْسد ذوق الوجود،فيجعلكم أخطر أنذال على إطلاق ، فالأسوء أن تبتلى بشخص قد عانَى من خَيْبَاتِ أمَلْ ،فيكون ممن يتحَسَّسُون منْ فَرْطِ عاَطِفتِهم ،هده التي تبدو تافِهَةً في نَظَرِناَ نحن المُعْتَزِلَةُ ،ولا نُوَقِّرُ شَيئًا لتَّخَلُّصِ مِنْها ،كَثِيرًا ما يُصاَبُ إجتِمَاعِيُونَ بالجُنُون لِمجرد أنهم حَاوَلُو أَنْ يَعْتَزِلوُ العَلاَقَاتْ مِثْلَنَا فَإِخْتَلَّ تَوازُنُهُمْ العَقْلِي و العاَطِفيُّ ،بَلْ دَخلُوُ مُتْخَمِينْ مَمْلوُئيِ النُّفُوسِ إِلَيْهاَ فَبَاَتُو غَيْرَ قَادِرِينَ حتَى عَلَى النوْم الهَنِيئْ دوُنَ ذُبِّهِمْ الوَرْديّ .فلم يَجِدُو غَيْرَنَا لِيُلْصِقُوبِهِمْ ذَلَكَ الجُنوُنْ

واَصِفينَنَا نَحْنُ بالَمُعَقَدِين ْ لقُدْرَتِنَا علَى القَضَاءِ عَلىَ هَداَ السُّخْفِ الشُعُوريِ" عَوَاطِفْ" . إن سوء هظمكم لنا ليسَ بِطَعْمِناَ المُرُّ ،ولَكْنْ بالرَّقَاءْ ذوَقِناَ الدي جَعَلَكُمْ تَتْوُقوُنَ لِحَدْفِنَا مِنْ هَدا الوُجوُدِ ،فَأَكْتَرَ أَنْذَالِ يَرِونَنَا نُجِيدُ إِظْهَارَهُم على أَنَّهُمْ مُجَرَّد ضَحَايَا لا يَصْلُحُونَ لشَيْء ،بَلْ للحْظَةٍ يَسْتَهْزِؤُونَ بنَا لكوْنهِم لم يَستَطِيعوُ ان يكُونوُ مِثْلَناَ ،يَصِفُونَنَا بالمُعَقذين لأنهم فقذو الْقُدْرَةَ علَىَ إنْعِزَالِ ،على التَّذَوُّقِ،فقد يُصِيبِهُمْ الجُنوُن لمُجَردِ يَوْمٍ لمْ يَتَكلَّمُو فيهِ مَعَ أحَدْ ....إنَّهُ لمَرَضٌ قَاتِل هَذهِ

إجْتِمَاعِيَّة المفْرِطـَة التِي تؤدِي بِمُدْمِنِهَا فلاَ هوُ يَرْقىَ لهَدِهِ الحَيَاةِ ولاَ هِيَ تَرْقىَ لِتُبْقِيهِ فِيهاَ.

بَعْدَماَ إسْتَنْزَفْناَ كُلَّ مَا يَجْعَلُنَا نَبْدُو فُقَراءُ"مُحْبَطِين" ،إهْتَزَّتْ أَنْفاَسُنَا الآتِي أثْقَلَتْهَا تِلْكَ اللَّحَظاَتْ ،فَعَلَوْناَ بِهاَ وماَ عدْنا مُثَقَّلِينَ ،كـَأنَّ أجْنِحَتَناَ وجَدَتْ الخُلُودَ لِمُعَاوَدة الطَّيَرَانِ بِحُرّيَةٍ ، كُناَّ قَبْلاً نَصِفُهَا بالمُهِمَّةِ وقدْ فَقَدَتْ هِمَّتَهاَ ومـَا عَادَتْ تَصْلُحُ لنَا ،ولا نَحْنُ نصْلُحُ لَهَا ،لَقَد تَـرَكنَاهَا واقِفَة علَى الشُّرْفةِ بَينما نحن نتمختر في السير بعيدا عنها محاولين إبتعاد أكثر من اللازم كحبيبة فارقها حبيبها وما عاد له سوى أن يغادر هدا العالم ،إن هدا الهجر الفضيع للعلاقات أسوء بكتير من مُجرد تانية من اليَّأْسِ الدي يصَاحِبُ نوْبة من الغَضَبُ الَقاتِل،هدَا الدي نتَفاَخَر بِه نحن العُزَّلْ ،بل نُجيدهُ بِكلِّ إتقَان ،أحْسُدُنَا على هَدِه الثِّقَة الزَّائِدَةِ التي لم نَمْنَحْهَا قَطْ لأَحدْ أتَعلَمُونَ أنَّنـاَ لا نُجِيدُ الغَّطْسَ يَكْفِيناَ الشَّاطِئْ لِنَنَامَ على تِلك الرِّمَالِ السَّاخِنَةِ رَغْبَةً مِنا فِي أن يَذوُبَ جَلِيدُناَ وَيَنْصَهِرُ ولكنْ بِدوُنِ جَدْوَى، إنَّناَ نُحاَفظ على أسْوءِ ما فينَا لأن العَدَمَ لا يَتَطَلَّبُ أَنْ نَأْخُذَ مَعنَاَ شَيْئاً ولَكِن من حُسْنِ الضِّيَافـةِ أن نَأْخُذَ شَيْئًا فِي أَروَاحِنَا تَستَحِقُّ أَن يُبْذَلَ لهـَا الجُهْدِ.

جَميعُنا غاَرِقُونَ ونأَجيِ الوَّحِيدْ منْ لاَ يُجِيدُ السِّبَاحَةِ،

إن إحتدام الوقوف على الشُّرفَات في شوق قاَتِل لرُؤْية ما قد يُحسِّن الجَوَّ لهُوَ أشْبَه بألعاب الخفة الفرق الوَحيد أَن المُهرّج يمَاطل لألا يقَع من فَوْقِ حبْلِهِ و الشرفة تحاول أن لاُتوقِعَ دلك المُشْتاقِ التَّعيِسِ ،فالمُهرج يَكوُن خوْفهِ من جَرَاءِ السُقوُطِ أما المشْتاَقْ فَيبْذُلُ أَكتَرَ من جُهْدِه لألا يَسْقُطَ فَيفْقِدَ إشْتِياَقَهُ مَعًا.

إننا نبدوُ وَقِحِينَ عندما نهْجُر ،كأَننا ولدنَا سافلين لا نحافظ على أحد ولا نجيده إغراءه بكلامنا الَمعْسُول ،نعم كل هدا لا نجيده حتى أخلاق لا نحملها في إكياَسُناَ"اعماقنا" فقط نُعاَمِلُ كَمِرْآةْ تعيد نفس الضربة و نفْس

القُبْلَة،يروْننَا نُتَمْتِمُ في الحَديثِ ووأمرأصْعَبْ من مُجرَّدِ كَلَام حتى السَّلَام نَعْجَزُ عن إخْراجِهاَ بفضل بُغْضِناَ العَزيزْ،وقبَاَحَةَ أن نتشَارَك مع أحدِهمْ أحَاديثِ ،حقا نبدو لهم أسوء مافي العالم لأننا نهجر العلاقات دون ان نتأتر ولا نعود اليها أبدا ،ليس لأننا لم نحب قط بل القدرة على التمَسُكِ بأيّ علاقة أَصْبَحَتْ ضَرباً من المَذَلَّةِ والقبَاحة النفسية التي تجعل الذات منْحَطَّةٌ أمام نفسها..

إنَّ الهَجْرْهوالقوة ، عندما تحب شخصا ما فتتدر كل ما لديكَ من مشَاعِرْ فِي سبيل مُـخَالَطتِه في حَـيَاتِه بل مشاركته في هوَاءه اَلدي يتنَفسُهُ ،ولكن عندما تهجره من َفرْطِ حُبّكَ له ،فَتطْمُرُ كُل مشَاعرِك و ألاَمكَ تحْت فَراَمِلِ الحَـياَة ِ،لألا يشْعُرَ هو بذلك إرْهَاق و التَّعَبْ ،ومع دلك يُجَاهِدُ في تَقَبُّلِ هَـجْرِكَ لأنهُ يُحِّبُ أنْ يَظْهَر بدَوْر الضَّحِيـَةِ الدِي يَتألَّمُ من الحُبّ ، إنَّ الهَجْرْ الحبِيبٍ أقْوَى من أي فُرَاق ،إن هذا الهَّجْرْ يتطَلَّبُ اكتِر من مجَرد تدْميرٍ للمَشَاعرِ بلْ فُقْدَانِ الذاَت نفْسهُ.

إن َدرَجـة الخَضُوعِ لَأي عَلاَقَةٍ يَجْعَلُ الهَجْرَضَئيلاً وصَعبًا ،كَفأْرٍ لا ُيفَارِقُ جبْنَته آلعفِنَة..

إن إبتداع أي عَلاَقَةٍ تجْعل إنسان خَاضِعٌ لَهاَ عن قَصْد أو بدون قصد ،فنحن فضيعون في مسألة الهجر ،عندما نقطع كل تلك أشْواَطِ بِمفردِنا ،فَكيْف برأيك سنخضع لهاته العلاقة .

حينما غادرتنا الحماسة ،وعندما توقفنا عن إستلام البهجة من تلك المواقف الهزيلة التي لا تطاق ،بدلناَ كل الجهد فقط لننسى أننا متَحَمِّسِين للحظة كَـاذِبة تُوهمُنَـا يوْماً انها تليق لكل تلك الأماني

المُحْبَطَةُ،فلا نحْنُ نَصلُحُ للبقاء مماطلين في علاقة تكون مشتهية لتفوق العاطفيِ ،بل تلك المبطلات السامة لأي علاقة .

إن الدخوُل في أَي عَلاَقةٍ يستلزم وضع نفسك جانباً وإهتمام بالطرف الآخر ،أمر شبيه بسَجِينٍ يعطي طعامه لسجين آخر بدعوى أنه إنسانيٌّ جداً او أنه يريد إظهار تفوقهِ الوجودي " خيْرَهُ"،فما حاجتي لعلاقة مادمت أمتلك نفسي! وما فائدة العلاقة إن طُمِرَتْ النَّفْسُ تَحْتَ أنقَاضِهَا،لست أنانياً بقولي ،ولكنها الحقيقة كما أراهَا ،فالعلاقات تَواجَدَتْ لتَسْتَمِر السُلالات ،لا أن تنتزع من الذات ذاتها فتنزلها تحت أقدام المنحطين.

كُنا لنُرزَقَ بسلالة أرفع من كل السلالات لو أن زهْرتي كانَتْ لتقتنع بأنهُ رحيقِي وبأنها مَوْطِنِي ومَنْفايَ ،لَربَّما إستَحَقَّتْ أَنْ أَبْذُلَ ما فيَّ لهَجْرِهاَ ،فلطالما فكرتُ في دلكَ ولكن القلب يُخْلِفُ الوعدَ دَائِماً،فما كانت تطْمَعُ في شَيْء ،غير أنَّها لاتُجيد إنْتِقاَءَ الرحيق المناسِبْ الدي يصْلح لهاَ ،بدل من لا يَصلح،كانت لتُصَابَ بِأعظَم خيبة لوإسْتَمَرَّتْ في بَذْلِ تلك اللحظات المُجْحِفَة فَقَطْ لتَبدُو بريئَة في نَظري ،ومَع كلِّ دلكَ أجيدُ إنهَاءهَا بِكُلِّ بَأسٍ ،بل حَتىَ أنَّنِي لاَ أنْتظِر حَتَّى يكْتَملَ العَرْضِ كَيْ أدْخُلَ كَمُهَرِجٍ قدْ تَـرَكُوهُ لِلتَّحْلِيَةِ ،إن سُوء الهَّجْرِ كسُوءِ الخِيانَةِ ،وكلاَهُما مُصَاحِبٌ للآخرَ.

كَانَ فِي وقتٍ مَضَى ،ماَ يَبْدُو مُكْتَمًا هُوَ أَجْدَرُ بِالبَقاَءِ ،حَتىَ أَنَّهُ يَليقُ لِيُفاَجِئَ الْجَمِيعَ بِطَابَعِهِ الإيجَابي ،المُفْرِحْ ،فَكُلَّمَا إنْتُزِعَ الصَّمْتُ مِنْ كَنَفِ الذاَتْ كُلَّماَ كَانَتْ صَوْبَ كُلِّ أَطْماَعِ ،فالكِتْمَانُ أَرْحَمُ لِذاتِ مِنْ كُلِّ تلْك السِهَامِ المَسْمُومةٍ.

عِنْدَمَا بَدَى الرَّفْض حَلاَ مؤجِعاً،والفُرَاقُ أَسْهَلُ منْ حَلِّ عُقْدَةِ حَبْلٍ مُتَشَدِّدَةٍ،كاَنَتْ لتنْهِي كلَّ شَيْءِ بكلمةٍ" لا أريدك " لَكِنَّ طَابَعهَا أنثَوي الدي يرفُضُ وَصْفَهُ بالخَائنْ ،بدى ممَاطِلا في القِصَّة وَلمْ يَخْتَتِمْهَا بَعدْ،حَاوَلَتْ أنْ تُظْهِرَ نَبَالَةَ سُلاَلَتهَا بِوَفاَءهَا المُزَيَّفِ،حينَمَا كَانَتْ تُشِيرُ

بِأَحادِيتِهَا الي نِهَايَةِ القصةِ،كَانَتْ تُمَاطِلُ لتُجيبَ عنْ أحَادِيتنَا،كيْ تحسِّسُنِي بفُقْدانِ القِيمَة ،وَلكِنَّهَا أغْفلَتْ طَابعِي العَزَلِي الِدي مُنْذُ أَزَلْ أَفْقَدَ هدَا العَالَم كُلَّ قيمتهِ خصُوصًا عنْدمَا إنْدَحَرَت إنْسَانيَّة أَمامِي،بَدَى الْعَالَمُ مُسْتَعِدَا لِيَكُونَ بَطَلَ القِصَّةِ،وحَامي شرَفِ النّمْلِ،فمَنْ الآنْ سيَرْضى بأَنْ يَكُونَ الشِّرِيرِ فِي هدَا الوُجُودْ،كانت نهايَة الحُبِّ كُومِيدِيَّةٌ للْغَايةَ حَتَّى أنَّهَا أَسْرَعَتْ فِي تَلْقِيبِي "بالخائن" فَقَطْ لأَنَّني إهْتَمَمْتُ بِتَفَاصِيلِهاَ،وحِينَماَ سأَلْتهَا عن سرّ هدا وصفْ أجابَتْ بكُلِّ خَجَلْ"للأنك لا تعطيني قيمة في حياتك "،مزْحَةٌ مِنْ عِيَارْ أَلْفَانْ بأَونْدْ،هَاكَداَ يظْهَرُالمَروُ عَلىَ حَقِيقَتِهِ، ليُفْرِطَ فِي نِسْبِ كُلِّ تلْكَ الصِفَاتْ البَشِعَةِ إليكَ،فأرحَمُ للمَرءِ أنْ يَقُول الحقيقة ،ليأتيك فور إنتهاء صَلاحيتَكَ ويقول"

وَجَدْت البدِيلَ عَنكَ ،مَا عدْتَ تَـصْلُحُ لِلْحُبِّ ".

إن حثْمِيَةُ الفِرَارِ من أَيِّ عَلاقَةَ لا تتَطَلَّبُ إهْتِمامَ كَما يدَّعي الكلُّ،فعنْدما يكُون إهتمَامُ ،والفرْصَةُ التَّانِية أكْترَ إمْتيازاً ،سَتتْرُكُكَ بدَعْوى إهتمَامَكَ الَّناقِصْ ،إنَّ إعْتزَالَ وِفْقَ هدِه اللُّعْبةِ المُحْتَشِمَةِ

" علاقة"يتَطَلَّبُ الْجُرْأَةِ ،فَمَنْ لاَ قُدْرَةَ لهُ عنْ إعْتِزاَلِ ،فَلْيَّكُفَّ عَنْ بذْل كلِّ تِلْك القِيمَة تُجَاهَ العلاَقاتِ ،خُصُوصًا تلْك التِي تبْدُو نَزِيهَةً ،وعَابِرةٍ،إن الأنثى هِي مَا تفْسِد فضَائل الذَكَرِ مَهْمَا بَدىَ مخْلِصًا لِرُفْقَتِهِ.

لم يكُن الأعْزَلِ بدَاخلِي لِيرفُضَ أيَّ سَبيلٍ لِلْهَجرِ مَادامَ إنْسَان يسْتَحِقُ دلك،فالْطَّابَعْ الدِي تألَفُهُ وأنْتَ تَخوُضُ تلْك الحَرْبِ ضِدَّ نَفسِك عَلِي مَسرَحِ العُزلَة ،يُوقِظُكُ من أتْعسِ ظَنْ وهُو أَن هنَاك في هدا الَعَالمِ مَن يَسْتَحِقُّ أَنْ تَبدُلَ حَيَاتِك فِداءاً لمَوْتِهْ ،بل أَنْ تَعِيشَ عَلَىَ خُطَاهُ ،لتَتَعَلَّمَ مِنْ كُلِّ جُرْحٍ قَدْ خَلَّفَتْهَ دَرْسًا قَيِّمًا ،حَتَّى الحَيَاةُ تَعْجَزُ عَنْ شَرْحِهِ،سَتُدْرِكُ أنَّ كُلَّ تِلْكَ العَلاَقاَتْ مُجَرَّدُ أَلْعَابٍ تُسَاعِدُ الْمُهَرِّجَ عَلَى تَهْرِيجِهِ ،بلْ تُوقِعُ الإنْسَانْ في فَخِّ الخُضوُعِ بإسْمِ الوَفاَءِ.

وَلَاذَةٌ فِـيْ الْـعَدَمْ

***

إنّـ أيَّ إنتِكَاسَة في قَلْبِ الذَاتْ لن تُخَلِّفَ سِوىَ الخَرَابْ ،بل إنْشِقاَقٌ فَضِيع ِفي الرُّوح ،الضِمَادَاتُ عاَجِزَة عَنْ لَمِّ الجُرُوح ،أشْلَاءٍ ِمنْ َلاشَيْءْ تَمْلأُ الفَرَاَغ، ولاذةُ فيِ العَدَمْ مِنَ العَدَمِ َنفْسِهِ، إن هَذهِ الوِلاَذَةِ العَسِيرَةِ،هذا إلتِفَاف المُرَوِّعْ الّذِي يُزَعْزِعُ الرُّوحْ فِي كَنَفِ الذاَتْ فَيَرْفَعُهَا لرَّأْسِ ثُمَّ َينْزِلُهَا لأخْمُسِ آلقَدَمَيْنْ فيُثْمِلُهاَ لتَنْتظِرَ الخُرُوج َبِفاَرِغِ الصَّبْر.

وِلاَدَةٌ فيِ اللاَشَيْء فَجْأَة يُولَدُ الضَّجيجْ ،آلصَّخَبُ آلقَاتِلْ الدي ينهي جميع المَقْطُوعَاَتِ الـعَذْبَـاءِ ،فيتفرغ بِنَفْسِه فِـي صَمْتٍ مُعَذِّبٍ يَنْهاَلُ علَى أَجْـواءِ والظُّلْمَة تُحـاَولُ المُسَاعَدَة ولَكِـنَّهَا تَـفْشَلْ لَقَـدْ أَتاَهـا الشُّرُوقُ.

**

ذَلِك أُشْعوُرْ القَبيح الَدِي يُولَدُ فيِ آلـخَفَاءْ لِمُجَرَّدِ أَنَّهُ شَعَرَ بِضَيْقٍ نَفْسِهِ وَإِحْتِياَجِهِ لِمِساَحَةَ أَكْبَرْ ليَجْتَاحَ أعْماقَنَا،إنَّنيِ أعْلَمُ أنَّ شعُورَنَا أسْوءَ عنْدمَا نَكوُنُ وحْدَناَ ،ولَكِنَّهُ يُصبْح ُقوةً تَتَضَاعَفُ عِنْدَمَا نَأْلَـفُ هَذِهِ الوَحْدَةِ ،آلشَّخْصُ يَحْتَاَجُ لِلْحُبّ ،لِلإعْتِرافِ ،أَنْ يَـكُونُ مقدرًا لأحَـدَ مَا ،المُهِمُّ أنْ يَظْهَرَ عَكْسَ تِلْكَ اللاَّشَيْءِ ،فَآلفَرَاَغُ الدِي يَكْتَسِي قلب آلمُنْعَزِلَ لِيعُودَ

بِأَفْضَعِ قُوَّةٍ قدْ تَنْهَارُ عَليه بالْسَّخَطْ الْمُمِيتْ علىَ ذَاتِهْ ،لِدَى فَالْعُزْلَةِ تُجَيِّرُ إرَادَةَ وتَرْتَقِي بالفَضيلةِ مادامَتْ لا تمْلكُ شَيْئاً يُمْكِنُهُ أنْ يَثْأَرَ لَهَا مِنْ بَعْدْ.

إن أسْوءَ يا عزِيزيِ أن تتـولد داخِلَ الْعَدَمْ ،داخِلَ اللاشَيْءْ ،أبَدِيـة الْفرَاغ تلم الفراغ ،وما هو الفراغ الدي فينا نحن البشر ،الكلُّ يخْبِرَكَ بجِهاَزِكَ الهَظْميَّ وأَنْتَ مالكه ،فأعضاءك التَّنَاسُليَةُ ،بقلبك وَرِأَتَيْكَ اللَّتاَنِ دمرتهما من فرط حبك لسيجارتك...الخ ،كل هذا فينا ولكننا نشْعر أنها مجرد مزحة تلك التي تقول أنه يمكننا معرفة إنسان من مجرد ألم في معدته ،إني أشك أن إنسان بداخله أكتر من عالم وكل واحد ينسيك فالتاني ،وجميعهم فارغون كالباوالين المنتفخة تطفو في النفس لتغلق فتحة التنفس ذاخل الذات ،فنتمنى لو نميط دالك إختناق فنبطله ،فقط لنتخفف من ثِـقلِ أثقال التي تجـعلنا عاجزين عن الحياة..

إن أي ولادة لا ينبغي مقابلتها بالفراغ ،وتلك اللاشيء المقفرة،بل االأطعمة الجاهزة الغائبة ،فالمشاعر والعواطف أشبه بدلك الجنين الدي يجب عند التقاءه بفصيلته أن يكون لديه حضن يبيت فيه طوال الوقت ،ومكان يقتات منه ،ومكان يشعر فيه بالراحة...إنه مجرد روتين لإنتظام دورة الشعور ،فالمشاعر المبعثرة يكون مصدرها ليس واحدا،فقط تريد ،أريد ،وعند الغضب تتشابك كلها في مزيج يتعارك مع نفسه ليتولد إضطراب .

كان من الجيد القضاء على كل المشاعر وإنهاء فتراتها الحبسية ،كان إعدامها سهلا دون حاجة لحضور الجماهير ،لأن أغلب الجماهير لا تهتم لوجودها بل لإبادتها حتى ،لدى لم نتركها لتعيش ، لتمارس نشاطها الفضيع في ذواتنا المهترئة ،لم يكن موتها سهلا ،حتى حبسها بدى ضربا من الغفلة حيت مَدَّتْ أيْديهـا تخْدشُ أروَاحناَ فَنَتراجَع الى الْوَرَاءِ خَوفًا من الهَلاَكِ ،إن المَشاعِرَأسْوءَ عَـدُوّ للإنسان مهْما إدَّعَيْتْ أنها

تخْدُمُكَ وتميلان الى التمازج لتظهر أنت بدور المعبوذ ، قُنْدُسٌ َيجرِي في دائِرتهِ بينماَ يظن أنها تسليته ومرحه الأبدي يكون هو مفتاح تحركها أ وإنطلاق حياتها .

ولاذة في العدم ، الأمر غاية في الثعب ،هده الولادة التي مصدرها الغائب ،أنْجَبَتْ آلاف المشَاعِرْ ،وأحاسيس المُرهَفة ،الكل إدعى أنه القلب ،لا أظنه هو ،فقط يضخ الهواء في باقي أعضاء الجسد ليس إلا ،لدى سيبقى المنبع غامضا ،وستظل الولادات غير شرعية الى حين ظهور الجاني ، لم يرقى تفكيرالبشرية لحد يمكنه أن يستغني عن الماديات مقابل المشاعر وأحاسيس ،إن هده التركيبة المرهفة معقدة الى حد يجعلها السبب في أي إضطراب ،غيابها نقص ،ولكنه عندنا قوة و تجاوز ،إنه كنفخة إنتفاخ في ذاتنا حيت نَعْتَلِي عَرْشَ أعَالِي فلا تصلنا سوى أنظار التي تستحق ان تكون بالأعالِ

أتعلمون لمادا نشعُر بالذُّلِّ ،عندَ الكَفِّ عن مُطارَدَةِ الشُّعُور لِنفْسهِ ،عن كَبْحِ شَهِيَّتِهِ وطَمْرِهِ تحْت غياَهِبْ الخوْفِ ، المَذَلَّةِ معاً ....إننا نبحت ذائما عن البديل لتصريف دلك الإحراج عند مقابلة المشاعر بالرفض ،ليس أمر سيئا ،أو الحق ليس على من يعترف بأشاعيره ولكن على من يرفضها كأنه يجيد القمع بكل سهولة ...ونحن الدين نخاف على أن نكسر أعماقا فتدهب جميع المشاعر ضحيتها ،إننا نخاف عليهم أكتر من أنفسنا .

كم سنكون قساة في إنهاء أي مهزلة شعورية دون أن نلتفت إليها ،سيعثرون على بقاياها منتورة في أرجاء القلوب كطفوح جلدية يصعب إزالتها تم يقولون : أولائك هم القساة ؛ حكم جائر لذوي أنفاس المختنقة ، ليسو سوى أنذال يصدرون أحكاما في كل أوقات راغبين في إظهار تقافتهم العوجاء و كلامهم الحكيم الدي دفنه القرن العشرين ،أمثالهم لا

يرون كم من الذل أصابك وكم من التعب أرهقك فأودى بك مرارا الى ركن العالم في مواجهة لكآبتك وفضَاعتها .

لدى فأنا أضع الورود مكان تلك الأرض القافرة المقحلة لألا تتولد فيا مشاعر فتنقلب مرهقة إليَّ بدعوى التأر ،إن الأفكار كالمشاعر وأحاسيس تولد من العدم وفي العدم نفسه تتقوى وتنهال على صاحبها إما بالرقاء أو إنحطاط ،الرفعة او المذلة. .

**

مهما كان إنسان مجْبَرًا على كبْتِ مشاعره لتعود فيما بعد بقوة أضخم فتحطمه إلى أشلاء يصعب على الزمن لَمُّهاَ، فأكتر عدو للإنسان هم مشاعره...

كِدنـَا نتغلب على أنفسنا في محاولة للإنقلاب خارجاً،فأتى الشعور بالزهق ،من النوافذ فلم يترك في جعبتنا أي كرَم لضيافة ،فقد دخل مُـعْلناً الحرب والسلم معاً ،في قالب من الْحِـيَل الفضيعة التي لاُتـُحْتَمَلْ ،كأن تقْتُـلَ ذئْبـًا في الليْل وتقْتنِع َبنهاية القِصَّةِ ،وفي الفَـجْـرِ تجْتمع حولك الذئاب لتفاجئك بمسرحيتها الجدية وتراجيديا المأساويـة التي ستكون وبدون شك الضحية فيها ،بل وليمتهم الدسمة.

فلماذا على المرئ أن يعتاَد على تجهيز نفسه لأي شعوربَلْ أرضيَته نفسها ،فالشعور أشبه بإنسان يدخل لبيت أحدهم فإما أن يخرج برِضـَاه ُأو بدُونِه ،فكل من تهاون في هدا لم يُـصَب سوى بالـنذَمِ الشديد ،و الإحراج ،وكل تلك أحاسيس البالية المجهضة سالفاً ،فلا أحد يموت ،فقط تَمَّ إبطال مفعوله لوقت وجيزْ،فكم من المحتمل أن يتم سجنك بتهمة

تكون البريئ فيها ،وعندما تخرج ستفكر في إنتقام وهدا ما تفعله المشاعر !

**

هَيْهَاتُ، هيْهَات،لَقَدْ وَلَّى فِي العُمُرِ مَا بَعْدَه عُـمُرٌ،ثِمَارٌ نَضِجَتْ فِي بَرَاعِمِ طُفُولَتِهَا ،وطُفُولةٌ أُنْهِكَتْ مِنْ إِسْتِعَادَةِ ذِكْرَيَـاتِهَا ،فـوَيْلٌ لِلْوُجُودِ مَا بَعْدَهُ وُجُودٍ،فَلَوْ غَدَى سَبِيلُ العُمْرِ قَائِمًا فيِ العُلى ،لَنْقَضَى الذَهْرُ فِي تَسَلُّقِهِ وَخَلُصَ الْرِضَى ،وإِنْ كَانَ لِلْإِنْسَانِ مَخْرَجٌ يَفْنِيهِ فِي إِيجَادِ نَفْسِهِ لَمَـا إِحْتَرَفَ فِي البَحْثِ عَنْ مَنْ يَجِدُهُ وَيُغْنِيهِ ،فَكَمْ مِنْ وِلاَدَةٍ أَجْهَضَهَا العُمُرُ ،لِثَغَراتِ أَمَلِ المَنْفُوخَ بِالْخَيْبَاثِ ،إِنَّ الدُّخُولَ لِأَيِّ عَلاَقَةٍ يَسْتَلْزِمُ حَمْلَ كَمٍّ مِنَ إِحْتِمالاَتِ السَافِلَةِ فَقَطْ لِتُخَفِّفَ مِنْ دلِكَ إِرْهـاقِ الْدي سَيُبِاَغِتَكَ فِي كَابُوسٍ وَاقِعيٍّ ،لِتَشْهَدَ مِجْزَرَةً سَتُخَلِّدُها ذَاكِرَتُكَ ،بَلْ سَتَحْتَفِظُ بِهَا كَمَقْلَبٍ مُضْحِكْ لِتَكُونَ أَنْتَ المُهـرّجُ فِيهْ ،حَيْثُ سَتَأْتِيكَ الطَعَنَاتُ مُتَوَالِيَةٌ ،لِيَقُولَ أَحدُهمْ" إنه المُهَرّجُ السَّاذَجُ " ،لِتْخْتَفِي مَعَالِمُكَ فَتَسْأَلُ نَفْسَكْ:

هَلْ أَنـا ،أُنـا ،فَمَنْ تَكُونِينَ يَا نَفْسِي".

بَدَأْتُ حَيَاتِي كَالكُلّ ،مُغَفَّلٌ ،سَاذَجٌ ،وَلَكِنِّي لَمْ أَبْتَلِعَ الطُعْمَ قَطْ،لَرُبَّمـا عُزْلَتِي مَنْ أَفْقَدَتْنِي القُدْرَةَ عَلى تَذَوُّقِ الأَشْيَاءِ والحُكْمِ عَلَيْهَا ،فَكُلَّمَا زَادَ عُمُرِي ،زَادَتْ رَغْبَتِي فِي أَنْ أَتْرُكَ هَذَا العَالمَ لِأَبْنـاءِهِ المُدَلَّعِينَ ،حـتَّى أَنِّي أَنْسَحِبُ مِنْ اَيِّ عَلاَقَةٍ لِيَصْدُرَ السُّؤَالُ مـا سَبَبُ ؟ حَقًّا لا أَعْلَمْ هَاتِهِ طَرِيقَتِي فِي العَيْشِ ،فَحَتَى العَدَمُ سَتَكُونُ لِي طَرِيقَةً تُمَيِّزُنِي عَنْ بَاقِي الأَمْوَاتْ،لِدَى أُفَضِّلَ إِسْتِعـادَةَ كُلِّ نَفَسٍ أَضَعْتُهُ فِي هَذِهِ الحَيَاةِ ،فَلِكَيْ يَكُونَ الحَفْلُ نَـاجِحًا عَلىَ الدِيكُورِ أَنْ يَكُونَ لَبِقًا وَسَاحِرًا،أَغْلَبُ أَشْيَاءِ التِي نَنْدَمُ عَلَيْهَا تُولَدُ مِنَ العَدَمِ،لِتُفَاجِئَ الكُلَّ ،حَيْثُ لاَ تَجِدُ مَنْ يَسْتَقْبِلُهَا لِتُكْبَحْ وَتَعُودَ مِنْ مَكَانِ وِلاَدَتِهَا ،فالـنَّدَمُ و الثَّـأْرُ أَخَوَانِ مِنْ غَيْرِ أُمْ،الأَوَّلُ شَرْعِيٌّ مِلْكُ الذَاتِ ،والثَانِي غَيْرُ شَرْعِي منْ ذَاتٍ أُخْرَى.

الفَضِيلَةُ "*

***

إن سوء تدبيرنا لفضائلنا ،هومن يبعثُ فينا اليأس و الحزن الفضيع ،فالتوازن الدي تفوح به الفضائل يعلي من ضخامة الذات فيجعلهَا تطْفو في كل مكان لا تحملها أقدَامٌ و لا حتَى أَتْرِبَةٌ، فالْمُفْتَقَذُونَ لَهَاَ يُصَابوُنَ بِنَزْلَةِ بَرْدٍ حاَدَةٍ قَدْ تؤُديِ بحَياَتهِمْ ،إنهم حسَّاسُون للغايَة لوقت نَظُنُّ فيهِ أنهمْ لا يمتلكون مناعة تحميهم من نزلات ردائل الآخرين وتشعبها .إن الفضائل لتنحل نفسيتها عندما تضعف إرادة ،فتصبح هشة أمام نزلات سهم من الريح حيت سيصبو فيكسر هبة العلاء ويسقطها دون رجعة ، هدا الفقذان العنيف للفضائل لن يكون بمقدوره إستعادتها كما هي ،بل سيشوبها نوع من التعكروالنزيف الملوث .

في هذا الوقت ،فقذنا عزيزا ،لا طبعا أنتم من فقذتموهُ ،نحن المعتزلة نحافظ عليه بكل ما أوتينا من قوة ،إنها إنسانية " ،عندما بلغ وعي إنسان ما يجعله يسيطر على نفس فصيلته البشرية ،إدعى ما يسمى بالإنسانية ، تلك الروح العليا المشتركة بين جميع البشر ،ودلك رغبة في إظهار مثالية إنسان وإختلافه عن قرينه الحيوان ،بسمو عقله وملكة تفكيره ،وهده المزحة "إنسانية" هي فعلا كبح غمار التوحش الدي قد ينقاد

بدونها البشر نحو العدم ،فعند تصديق لإنسان أنه يشبه في بعض حركاته الحيوان ،لتجده في اليوم التالي يقلد الحيوان في كل شيء ،بل في وقت الدي تحضر النية و الصدق في أمر ما يصبح إنسان تابعا لدلك أمر ،كرؤية الموت أحدهم وإحتضاره ،إنه أسوء موقف قد يحط فيه إنسان في بداية حياته.ودلك التعاطف الدي يبث النذم في قعر النفوس ، فمادام إنسان يتعود على كل شيء لن يصعب عليه العيش دون فضيلة ..

في الوقت الدي كانت فيه إنسانية تبلغ من العلاء حد القمم ،وكان إنسان يمثل القوة و الشجاعة و الفخر وحتى الشهامة ، لم يتمهل إنسان في تفاخره بنفسه ،ظاناً أن دلك العصر سيرثه من يستحق أن يزيد به لما فوق السحب ،ففي قمة العلاء وأقصاه حتىَ إنعدم سير إنسانية الى فَوْقْ ،تَوقَّفَ عند صَيتِ العجز وبدأ بإندحار تدريجيا ، وهدا إنفلات من بين القمم يشكل فشل الحفاظ على الفضائل فعند كل إنزلاق يفقذ إنسان إنسانيته وفضيلته ،ففي وقت سيبدو في القعر حيوانا كإخوته الذئاب والقردة....

فمهمة كل إنسان الحفاظ على إنسانيته ،ونظرا لهذا العصر، فقذ فشل هذا الإنسان في أن يكون نفسه،حتى بالغ بأن يكون مجرد نسخة لتوابع (ماديات،جنس..).

التهرب من إنتزاع الفضيلة هو فضيلة في حد ذاته،فلن يعتبر جبنا مادام يحاول ألا يقع في بركة معدية لدلك الورم القاتل..

إن الفضيلة هي ما تكسب للإنسان إنسانيته ،فَبِنْتِزاَعِهَا منه لن يكون كأخيه الحيَـوَان ،في وقت تَميزَ فيه إنسان على غيره من المخلوقات بملكة التفكير نسي فضائله ، فملكة التفكير ليست الوحيدة التي تسبغ على إنسان وصف إنسان بل الفضيلة نفسها ،فمن السهل إدراج بعض الملكات في حيوانات ومن المستحيل إدراج الفضيلة فيهم.

عندما تبدأ الفضيلة في النزوع الى الزوال ،تغدو الإنسانية في طورإندحار، لنخلص فيما بعد للإنسانية ،أو العالم المتوحش ،في هذا العالم ستعود التقافة من حيت أتت ،و ستسيطر البدائية ، عصر إنحطاط يتجدد من جديد ،ليسيطر أقوى ويموت الضعيف،سيختل توازن بين الخير والشر و بين الأقوياء والضعفاء ،فإنسانية هي كبح لتفوق الهمجي ،لتلك الفصائل التي تطمح لسيطرة و التقاوي بدعوى سلالتها النبيلة ..

متى يولد من يستحق كل هذا ،متى يولد من يعيد التوازن لهذا العالم دون أن يتقيد بسياسته في البقاء على كرسي الرئاسة ،لن يولد طبعا ،فولادته تمتل فكرة مثالية في أعماق الجميع ،فكل جيل ينتظر من جيله أن يلد من يستحق الحياة أكتر من فصيلته، والجيل السابق ينتظر من اللاحق واللاحق ينتظر من بعده وتبقى رغبة أبدية في طور الحسبان ...

**

عندما سنستيقظ دات يوم لنرى أن العالم لم يعد عالما ،بل مجرد صحراء قافرة مهجورة ،سنفرح لتانية من الزمن بقولنا أننا تخلصنا من أولائك الأنذال الدي يفسدون ذوقنا الحلو ،لنكتشف أن ذوقهم الفاسد هو ما جعل ذوقنا حلوا ،فنبحث طولا وعرضا عن بدرة في طور النمو لنقول الحمد لله ،ولكننا لن نعثر على شيء ،صحيح اننا سنكون أحياء ،لغلبة الطبيعة ولكن لانعلم هل نحن أحياء لأننا الطرف أقوى في الحرب أوأننا أضعفهم حيت إرتكنا تحت خراب البيوت خوفا من الموت ،عندما تنتهي إنسانية سينتهي العالم .

أتعلم أننا نحن المعتزلة نصرخ في الليالي كي لا يجتمع الحشد فيتعاطف معنا ،نحن نكره إشفاق و إذلال ولا نرغب في أن نكون الضحية لتلك الثرثرات الغبية.

إننا نتهرب من التجمع ليس خوفا وترهيبا ولكننا نجيد حفاظ على فضائلنا ،فإنتزاع الفضائل لا يكون إلا عندما يكون الآخر ،نعم حضورك داخل القطيع ،فجميع من أنتزعت منه فضائلهم ظلو منغمسين داخله حتى ما عادو يرون فيه سوى الجثة المنهمرة ،تلك التي تسير بدون عقل بل بالعشب نفسه .

فالبقاء في الوحدة أرحم من أن تعتاد التصرف كخروف مدلع ،أو كبقرة تعطي الحليب ولا ترى وجه ماسكه.

إن عظمة إنسان ليس بفكره وحده ،بل بفضائله نفسها ،فأغلب من فقذو فضائلهم لم يكونو ليفكرون أنذاك ،لإن إنتسابهم لبحيرة من الوحل ينتزع منهم فضائلهم ،فلا يفكرون سوى في التشقلب على بطونهم،اللذة التي تخالط طبعهم القبيح مع وحلهم البني .

فلا قيمة للإنسان دون فضائل ،فمهما عَلَوْتَ الى القمم والسُّحب ، ومهما أضْحيْتَ طائراّ حراً يجيد الطيران بمادياته ،لتنتهي بأسوء سقطة يشهدها القرن ،وما أنت سوى إنسان الحداثة ،إنسان العصر الوقح الدي بدل جهداً فتعويض الفضائل بالمال ،وإنسان بالآلة !

***

ولد الفراغ في قلب منتازع بين البقاء صامدا والفرار من الألم ،فتخد طريق يستوي فيه إنحدار مع إنبساط ،فغزت نفسه بركان الشغف لتستقي منها رغيفاً ،فحينما وصل للمنحدر ،بدى له الأمر صعباً بقدر ما يدفعه شغفه ليجري فيه ،تم يكاد يخاف من ان يتدحرج ككرة منتفخة ،لا يوقفها

سوى حارس جبار، لتانية إنفلتت قدماه ونفسيته معاً وأنطلق في الجري بأقصى ما لديه من جهد ،فكان يتعثر تم ينهض بجهد مضاعف ،وفي أخير وصل لقعر المنحدر و العرق يتساقط كحبات بندورة من جسده النحيل ليتوقف من فرط الثعب ويوصل السير نحو الغابة ،في لحظة يبتسم تم يعيد إبتسام من جديد بأكتر حيوية فاز بها انداك.فبإندفاعه و جهده في الجري أسقط ما كان يقلقه وينتزع في أعماقه إنتزاعا ،لقد أخفى معالم العقاب والجريمة معا ،وقد فاز بقلب الفضيلة و ترك خلفه بقايا قشوره الفاسدة ، وبعدما وقف أمام نهر جارً إلتقط بعض أنفاس و إغتسل ،وللحظة صفن في الجو تم سمع صوت ضحك ،ينبع من القريب ،كأنه مهرج وقع في فخه الدي نصبه لغيره ،فترك ملابسه مرمية وأخد يبحث في نفسه عن شيء يضحك أحداً ،فلم يجد سوى سراويله الداخلية التي تحمل رسوما للأرانب وردية ،فإختبأ وسط الشجيرات من فرط الخجل ، ومع دلك لم يكف الضحك عن الضحك و خرج تانية يبحث عن منبع الصوت فوجد بالصدفة مجموعة من البشر متخالطين فيما بينهم ،رجال ونساء واطفال وشباب ،العجائز غائبون عن المسرح لا اظن هنالك دور يصلح لهم هناك..يلعبون بالمياه و الضحك في أجواء يفوح ،فوقف الفتى ليرى ما قد يحدث بعدها ،فقد بدى مهتما لتفاصيل ،وللحظة أمسك شاب عشريني يد فتاة في متل عمره وأداقها بعض الماء فقفزت الفتاة منزعجة ،بالقليل من الابتسام لكي لا تبدو محرجة أمام اصدقاءها ،فعندها سمعت من البعض قولا : يا الاهي انظرو مادا فعل بالمسكينة ،فلو كنت مكانها لأبرحته ضرباً تم تقفز أخرى وتقول : يا له من فتى سافل ،أنظرو اليها كيف تبتسم أعجبها ما فعل بها...

توقفت الفتاة عن إبتسام لسماعها كل هدا ،وأخدت تتقرب من الشاب فللحظة ظن الشاب أنها تريد التقرب منه بدعوى الحب...ولتانية من الضحك وقفت أمامه جنبا الى جنبا ،فلا هو يرى شيئا ولا أحد يبالي بما

يحدث بينهما سوى تلك الجثة التي أشعلت نار في قلبها من وراء كلامهم السافل.فحركت قدمها اليمنى بالتجاهه ،و هو يبطئ في رؤيتها لربما ظن انها تحاول إغازته بأفعالها تم أسقطته أرضاً وسط دلك الواد الجاري ،فإطلع عليه الكل ،والكل يضحك ويسخر منه فلا يعي أمر إلا بعد مرور دقائق من الكارثة ،لقد صدم الفتى بوقاحة الفتاة فلم يكن ليظن أنها قد تفعل دلك ،فقام من مقامه بينما أصوات تعلو من وراءه ،فيستشعر وقاحة المجمع ،بل يصيبه إحراج و يقرر إنتقام منها ،جراء سماعه الهتافات التي تدعو للإهانة ،فيقول أحدهم: هوووهووو ،لقد اسقطته فتاة !

تم يقول آخر: هوووهوو ،فقذ الرجل رجولته بين قدمي أنثى !

خرج الفتى مدعوراً من وسط المجمع ،وغادر الحفلة .

لقد صدم الشاب بما رأى وقال في نفسه " في كل محاولة إرغام النفس على البقاء وحيدا،تكتسب فيها مناعة ضد إحراج ، تم يقول وهو يومئُ رأسه لذهاب الى منزله "

باث أمر وقحا في حضور المجمع ،فأي فضيلة لتبقى مصونة دون هدا الحضور ،فعلى المرئ إبتعاد القدر الكافي من مخالطة أبقار حتى وإن كنا نحتاج فعلا للحليب ...

متى ستهتم بفضيلتك بدل إدخال أنفك في جيوب آخرين ،متى ستكف عن مزاحمة البشر في حياتهم وتهتم بحياتك ،لا اظنك تتمكن حتى من إخفاء فضولك إجتماعي ،لا تمتلكون القدرة حتى على البقاء ملتفتين دون ان تتيركم لحظة مزعجة من الضجيج ،فتسرعون للنظر ،كأنكم تأملون شيئاً ليحصل تم تدهب حماستكم وراء دلك الهراء الفضيع لأحد البرهَاء ،لم تطاوعني نفسي لأنتسب لأي سلالة،فكل سلالات تشهد إنْدِحَارَ إنسانية

ولا أحد منها تدخلَ ليوقفها عن الدهاب ،حتى أنهم يسرعون في تصوير المشاهد الفَضيعة فقط ليوفِّروُ مُتَعهم المادية ،عندما يأس الزَّهر إنتَحر فأسرع إعلام في إلتقاط الصور،وإنتهت القضية بإدانة المنتحر وإخلاء سبيل القدر " المصير"،أغلقت القضية "شاب اجرم في حق نفسه"

إني المدانُ الوحيدُ في كل هدا،لوكنت بريئاً لما رمِيتُ الى هدا العالم فقط لأشهد دَمارهُ.

لم يلتفت أحدٌ الى سبب الوفاة ،فهل تساءلت يوما ايها الإنسان عن سبب الدي جعل صديقنا يقدم على التخلي عن نفسه فقط ليقدمها للقدر ؟ لا احد يهتم ،حسنا لنمر على الموضوع .

أرأيتم الى مادا وصل إنسان بإنحطاطه،لربما تنتظرون ولادة الإنساني لينقدكم من كل هدا االعبثْ،ويا للأسف كم سيطول هدا الأمل الغبي في ولادة الأغبياء الصلحاء .

كنتُ في حماسة مرهقة عندما كدتُ أَنْحَدر الى الأسفل وعندما وجَدت نَفسي مُحَاطاً بدوي الطَبَائع الميتة "الثوابع" ،عُدتُ مُسْرِعاً في لهفتي بنفسٍ إرهاق مشْياً حتى علوت فما عاد بي سوى ان أُمْطر القمم بشقائي فأغْمُرها بلذةِ النسيم على هظبة العلاء ،وبهبةِ الرقاء وخصلةٍ من شعرِ السفوُحِ،فلا ارتضي لنفسي أن تكون تابعًا لأحَدٍ مادامت تملِكُ نَفْسَهاَ ،وتبًا لكلِ تاَبعٍ أضاَعَ هاتهِ النَّفْسَ بين أرجل سيِّدِهِ.عندما سيحلو النهار ويصبح طعمه صالحاً ليتدوقه لساني ،لن أكف عن مطاردته بل مداعبته كقط يلاعب فأره وفي أخير يهرب الفأر لينزعج القط و يبيتُ بجوعه .

لا أتفاخر بطباعنا المزعج المثير ،الدي يحاول إنقضاض على تلك الخراف كَصَقرٍ جارحْ يصطاد في العلن،ليختطف أنظارَ والكل يصيح اللعْنَةُ عليْكَ "

لا نخلو من الكوميدية المأساوية ،طابعنا المزعج الواقعي يصطحب الكل الى مصيرٍ يليق بكل بدل الواحد ،إن أسوء البشر من يهربون من واقعهم بدل ان يواجهوه بكل عزيمة ،يفرون كالفئران ،فننقض عليهم نحن الصقور فلا نرحم أحداً .القوة في كل هدا أننا وببالغ أسى والفرح معا ،نصارح الكل بصفاتهم القبيحة ولا نهتم لشيء غير الحقيقة فطبعاً أمثالنا لا يخسرون شيئاً ،فكيف للمرئ ان يخسر مادام لا يمتلك شيئا ليخسره.فالمرة تانية عزلتنا لا تفقدك فقط تلك السمنة إجتماعية " عادات تافهة و سداجة" بل تجعلك رشيقًا لتدْخِلَكَ المدفَأةُ ،فلا شيء يبقى على حاله ،لأن كل شيء قد دهب مع المجاري وتخلصت منه ،ستكون كتلك الصخرة التي لا تجيد سوى ان تكون نفسها حتى الطبيعة تعجز عن تسريبها ،فلطالما كنت مزعجاً في قول الحقيقة ،حتى حبيبتي السابقة ،إنفصلت عني لأنني اخبرتها " إنك عاهرة " فما العيب في كل هدا ،اكان عليَّ أن أصفقَ لعهرهاَ وكل تلك التمتيليات الفاشلة عليَّ ،طبْعًا لا.فإياك وان تحب اعزلا وخصوصا إن كنتُ انا ،فلست أدري من أكون،والى ايّ مَدى ينبغي عليَّ التَستُّرُ على نفسي،فلطالما جعلتني كوميدياً وقحاً ،فمرةً مات أحد اقاربي من بعيد،ورحت لأتأسف على موته ،كأنني قاتله وربما سبب في دهابه من هدا العالم ،وعندما وصلت أمسكت يدي زوجته وقلت في مهل مؤسف" مبروك "،كانت الحيلة التي وقعت فيه مثيرة لتجعل الكل يضحك من غبائي ولكنهم كتمو الخبر وتستر عليَّ الجو مكسواً بالحزنْ ،فما عادت كلمة لتخرج من فمي أنذاك ،ومررت مسرعاً أتهرب من الحرج فاراً من الجنازة.فكيف برأيكم سيصلح لي هدا العالم ،لا أظن أنني بالغثُ في كل هدا ،

فلسفة الرفض

***

العيش الذنيئ تحت أجنحة دلك الصقر البائس" المجتمع" الدي ينثر بقايا ريشه فنَحُكُّ جِلْدَناَ من فَرْطِ التَّحَسُّسِ ،وربما عقاب آسٍ تحت وطأت تلك أجنحة فبحجبه الشمس القاهرة عنا " الحقيقة" ،لألا نذوب " نتعارك" وننصهر فوق فم الطبيعة ،لنكتسب فخامة الوجود بدواعي السلام و إنسانية ،فتنهمر علينا بقايا قشوُرُه البيْضَاء التي تحفر في أعماقنا ثغرات لا تُجْهَضُ ملامحها ،فهناك من المظطهدين من يوجد تحت أجنحة الصقر وبعض الأنذال يوجد فوقها " أجنحة "

إن أخلاق كما تبدو كأجنحة تطفو بالصقر" المجتمع " فإدا غابت أو تعطلت إنكب ساقطا دون اي حاجة ليبقى حيا ، فالصعب في الحياة ان تفقذ خاصية من بين خواصك ،كأن تفقذ جزءا من جسدك ،يدا كانت او قدماً او ماشابه،لتشعر بالذل أمام نفسك وعجزك على فعل ما كنت تجيد فعله،هذا هو الصقر فإن إضمحلت أجنحته سيكون لقمة سهلة في وجه مفترسه ،ليظهر بالمظهر البشع و الضحية في أعين أصحابه ،هذه

أجنحة التي تمتل الأخلاق والصقر الدي يمثل المجتمع ،فكلاهما يجيد التحليق وكلاهما يتفوق في السقوط .

عندما إحتاج إنسان لحضن يحميه من قساوة الوجود والطبيعة العنيفة ،إختار لنفسه ملاهي ليلية و فتاة تسكب له النبيذ طوال الوقت ،وسط أحلامه الطائشة ،فما كان يريد أن يترك حلمه يضيع سدا دون أن ينعم بالقليل من تلك السعادة المخمورة فلا يتجرع الموت الا عندما يناوله الموت قدراً فينهال عليه بالسكب .

الكرم لا يعني بذْل أوج الخُضُوع ،بل أوج بلوغ العطاء في حدوده ،فكتير مِنْ مَنْ أهدهم الخضوع بإسم اللطافة والكرم والهراء الذي لا ينتهي،على إنسان أن يحافظ على ماء وجهه كما يحافظ على شرفه وغباءه .

الويل لمن إدعى شيئا ليس فيه،الويل لمن سعى لغيره بذل أن ينقلب على نفسه ،عندما ينشغل انسان في أخيه انسان ليس حبا فيه بل في تقديره لقدر من الخسارة ،فمن غيرأكيد أن يعود عليه بالنفع مادام إنسان يولد بحسده ويموت به.

عندما يبدأ إنسان في التوقف عن إمتناع يكون مجبرا على الخضوع طوال الوقت،يصبح ذليلا ويألف مضاجعة هده المذَلَّةِ ،لدى على النبِيل أن يرفض كل ما يأتيه على الجو ذون أن يحمله الى اي مكان فيورثه قذارته و فضاعته البائسة .

من البداهة لنا نحن المعتزلة أنه لم يوجد قط من يرث هده الأرض ذون أن يزرع فيها بطبعه تلك المنابت التي تقضي على نَفسِها بنفسِهَا ،فلا نحتمل أن نقبل تلك النَّعَمْ الخاضعة لإنزواءات الوجود ولا حتى تلك الملقنة عن طيب خمرة ،حثما نجيد الرفض ،نرفض نعثنا بالبلهاء ،بل

نرفض العيش بنعم فنغتني بلاء ،في كل شيء توجد لاء حتى من يحبنا نرفض حبهم لنا ،الامر لا يعني أننا لا نتقن الحب ولكننا مفطرون على الرفض خصوصا عندما يتعلق بالعزلة تلك الكونية التانية لنا نحن المعتزلة ،دلك الوكر الدي يخشاه الجميع ما عدانا،فالكل يظطلع سارق النظرات إليه خائفين من ظلمته و ما تلده من رحمها من أشباح قد تقضي عليهم ،غير أننا نحارب لنغوص في أعماقها حبا في أن نختبئ من تلك الأنوار التي تحرق جلدنا ،فتصيبنا بالحساسية مزعجة لا تتوقف الا بترك جلدنا وراءنا كثعابين.

فلسفة الرفض ،قانون وجودي يحكم ارادة الفرد ،وما إن يختفي ،ينصهر الفرد وسط قطيعه دون حاجة لسؤاله كيف أنت ؟ ليجيبك نحن بخير ! لغة التقبيل هاته لا تقاوم أبدا ،حتى أنبل الذكوريين لن يمانعو قبلة من تلك الشفاه العسلية ،حينما تبدأ في تقبل كل شيء السيء و الجيد ،والخضوع لأراء تخالف نفسيتك وتخربها لن تعتبر مقاوما أو متفهما بقدر ما أعتبرك مجرد تافه ساذج ،خروف في أوج فقذانه لإرادته الحرة ، نحن المعتزلة لا نجيد القبول بل الرفض السريع ،لإنه مقدر لنا أن نرفض ما يخربنا حتى قبل طرح السؤال هل تتزوجني ؟.

أَجِبْهَا فكلا الحالتين ستسقط بكل جرأة دون أن تحملك أصابع قدميك ،إن قبولك بداية الحرب و رفضك بداية الحب ،فقط عندما سيولد من يستطيع بكل فخر بيقظته الحية أن يرفض دون أن يعود باكيا هناك سنعترف بقيام الإنسانية ،فحتى الآن الرفض في جانبه الصحي غائب ،مادام أن انسان لايرفض ما يجني منه أرباح ،فعلى مادا تعتبرون أنفسكم سادة إنسانية ،أعترف بأن الحيوانات أَجَلُّ من إنسان وهي أحق بإنسانيته ،عندما جاء السياسي وقف له الحشد من الناخبين الكل يصرخ و اللَّغَطُ يُهَرْول في أرجاء ،و الرفض وُلِدَ بين البطوُن ،فقال "إنتخبُوني لأسكنكم الجنة ؟

ضحك الحشد و الفكاهة عَارِية القوام ،وأجابه أحدهم"

كذبتك عفى عنها الزمن ،انتم مجرد سارقين ،يذهب سارق ويأتي سارق !

ضحك السياسي وقال في ابتسامة البَغِيضَة:

نعم جئت لأسرقكم ،فهل أترك من يسرقكم غيري ، فأدفع لكم مقابل انتخابكم إياي !

سكت اللغَاَط ،فنهض ِسكِيرٌ من بينهم تفوح منه رائحة كحوله الفاسدة فقال:

لا نريد المال وسَكَتْ ! فوقف الحشد ينظرون اليه و كلهم فَخْرٌ فيما يقوله ،حتى أسرع في إكمال كلامه تم قال:

لا نريد مالك ،ولكننا نريد مشروبا لذيدا ،فهدا المشروب لم يعد يطاق ،حتى أنه لم يستطع إثمالي ،وسقط مغميا عليه !

فضحك الحشد و وعندما أنهى السياسي خُطْبَتَه النبيلة ،توجه مساعده الدي ينتمي لسلالة تلك القرية ،رغبة في إستمالة المواطنين وجدبه لهم لينتخبو سارقنا العزيز ،فلا أحد رفض ،بل فرحو،البعض ابتسم وقال " أين مئة درهم لأذهب الآن لأصوت عليه "

عندما انتهى كل شيء و أخد أهل القرية المال ليصوتو على سارقهم ،توجه السارق لمنصة اعلان النتائج ،فتفاجأ بالنتيجة ،كان الناجح الدي سيسرق جيوب الناس هدا العام هو شخص آخر ،لقد وقع عزيزنا في الفخ ولا يهم ما قد يحدث له مادام أن إنسان يستطيع تقبل أي شيء فقط بتقديم المال ،

هكذا فقدنا إنسانية ،بذأنا بالتركيز على الماديات"المال" و الحذاثة المقنعة بدواعي التحضر الوجوي فنسينا حفاوة الفكروفضائله ،لقد أدخلو في أدمغتنا جواسيس تتشقلب في كل تانية نقضيها مع أنفسنا ،فتتقل تفكيرنا فنحس بالتعب و الضجر الدي لا ينتهي .أُصِبْنَا بِذَاءِ الحداَثة المزيف " التَّحضر " فولدت العاهرات و المتبرجات و دوي إرادة الهشة وما يزاولها من ضِعاَف النفوس و أشباه الرجال والنساء..

عندما ستجيد رفع صوتك بلاَءْ ،لن يصعب عليك أن تعتزل شيء مادمت أقدمت على الرفض ،فالعيش كإنسان مغوار يحتاج لفلسفة رفض يحملها في جيبه كهاتفه الجوال ،الخضوع لضعفاء ،والتَّقَبُّلُ لمُرهَقيِ النفوس ونحن المعْتزلة قد أنهَينا فترة سِجنِنا القدري فلا حاجة لنا بالرفض مادمنا إعتزلنا علَانيةً كل شيء.كنا نُحَادثُ الظلمة فلا نُشْعِرُها بإحْراجِ بل كانت تَنْتَقي فينا أجمل الفضائل فَتَكْتُمُها في أعماقها لألا يُصيبَها العمى من فَرط الأنوار ،بَدَونا َمُنْسَجِمينَ لدرجة أن العشْق دام الى الآبَد آبدِين ، لربما لم يُسَطِّرهُ التاريخ بعد ، نحن والحقيقة متساوون ،لا نخشى قولها ولا حتى نَبْرَةُ خوْف ِمنها ،فقد ألفْنَا ترك كل أشياء وراءنا وما كانت تلك أشياء تُقَدَّرُ ِبثَمَن ،نُجيد بكل إحتِراَف التَّمَلُّصَ من إلْتِصَاقِ بأشياء مهما كانت قيّمَةً ،ففي لحظة إنْغِراءِ البشر بالنقوذ ،نُعْطِيهَا نحْن بالظَّهْرِ فلا تَسوى في وجودها كومة حَطَبٍ مهتَرئ، فعندما يُسْقِطُ إنسان قِيمَة أكبر من قِيمتِه على شيء مادِيّ يصبح تَابعًا له دون أن يَشْعُرْ،فعلى المرئ أن يَنْتقِي ما له قيمة َترفعُه ولا تحُطُّ بسَريرَتِه .

إن التقدير الدي تسْعى له ،لن تكُون فيه أبداً ،فمحاولتك لِتقَبُّلِ ما يجرحُك ويؤديك لا يجعلك خيرًا

أو نبيلا وربما كريما وقوياً، بل تخضع فيه لإستئصال كلي لتلك القيمة إنسانية لتَصِير كغيرك من أشياء دون قيمة ،الجميل في كل هدا أن القيمة وإن فاَضَتْ بها أعماق لتفوح في أجواء بنبالة أرزاق ،وفضائلا تولد في العدم ومن لاشيء نفسها.

كنت لا أزال شابا ومازلت كذلك ،عندما أشرقت العزلة بداخلي وهل الشروق ليكون بالضوء بدل الحلكة ،فاستشراقي لم يكن سوى ظلمة تقصد الصحراء القافرة فتملأها نجوما ولآلئ ،فلا يخيب من تشرق شمسه بحلكتها مادامت قد أشرقت ،فهيا نعثر عليك بين الخراب ولننتشلك من بين الحطام البائس لتلك إرادات المتوفية ،إن إرادة تنعدم في القبول وتتقوى في الرفض ،فعلى ماذا يحصل المرئ؟

البساطة فيما نجيده دوما وما لا نجيده نستصعبه فقط لنكبح قدرتنا على إجادته ،فعندما تتقوى إرادة و تفيض العزيمة يصبح أمر شَـيّقاً،لِـتَفقِذَ آلاف أوزان دون ممـارسـتك لرياضـتك ،ولتتجاوز َضغِينةَ أنذال ذون أن تُثْقِلَ أعماقك بالثأر منهم ،فقذ تصاب بالكآبة و المرض لأيام ولشهور ،فقط لأنك لم تقبل حبَّ إحداهن ! أو أنك رفضت مخالطة أصدقاء في ألعابهم المنحطة ،سيصيبونك بسهام جافة تخترق أعماقك ،لمجرد أنك توقفت عن أن َتكون مثلهم ،سيسعون لتشويهك وجوديًا والحطِّ من قيمتك ،هذا هو إنسان عندما يعجز عن فِـعلٍ فَعَلَـهُ آخر يسعى لإحـْباطِـه و افشـالـه .

مهما بلغت من إنسانية ما يفوق الجبال في ضخامتها لتبقى مُقَيَّداً وسط قطيعك،فالمُتَحـرر من إستطاع نَـيْلَ العزلة ،فإياك والظن أن العزلة مجانية ،فَثَمَنها يعادل ثلاث أجيَـال من الصَبْـر و ثُلُثَهُمْ من العـزيمة .

إن هذا العيش الدي أسميه فلسفة ،لم يولد من العدم بل تـَراكَـم و تـجَمَّع ليولد بين أنْقَـاضِ ،إن الحيـاة التي أجِيدها بل أجيدُ عيْشـها تلك المحفوفة

بالَـقوة بالتخلي بالـهَجْر المأساوي ،مهما بدت أشياء جميلة و متفوقة في مفاتنها فإنني أبْطلُها في لحظة ولادة اليَـأس ،فلطالما تفَوقْتُ في الرفض ولاأكذب عليكم أنه كان مخالطًـا بالقليل من النذم فقط القليل وما بعده إستراحة ،لم أقبل صداقة أحد في وقت بدل فيه الذكور كل ممتلكاتهم ليمتلكو أنثى ،كنت أقطن في الجبل فلا رغبة لعيناي بإنزال أنفسهما الى الأسفل ،إن العيش بفلسفة الرفض يحتاج للقوة والقدرة على البقاء وحيدا ،في حياتي رفضت الحب والصداقة ،رفضت مخالطة أغبياء،رفضت مسايرة أحد في الطريق ،كانت طريقي وكنت فيها لوحدي ،كنا نعرف بعضنا أكتر من الآخرين ،بفضل فلسفة الرفض إستطاعت نفسي إنتزاع فضيلتها وطمرها في مكان لا يجدها فيه المرتزقة ،أعلم أن الحياة تحتاج للحب ولكن الحب هو مزحة تفننت الغريزة في تجميلها ،فإن غدوت به منحطا أو نذلا لا يهم المهم أنه شيء يسعدك لتوانٍ تم يقْصيكَ من السعادة بعدها ،الحب ،عندما تبحث الغريزة عن المنفذ لتحقق ،وتجد الأبواب والنوافذ مغلقة في وجهها تجلس في الوسط ،بتلك اللطافة المشبوهة و النبالة المختارة مقنعة نفسها بتلك المثالية المزيفة ،وفي لحظة تقفز من القعر بإسم الحب ،وما هي إلا غريرة قد قَنَطَتْ من الجلوس في القعر فقصدت القمم .

أيها الغريب ،إن كنت تعجز عن الرفض فلا تستحيي من ذلك أوأن يصيبك الخجل،فهناك من فقذ شرفه ومازال ثائقاً في نفسه،فيظهرها بتلك القدسية المسمومة ،لدى عليك التشبث بنفسك مهما جرى لأن لا أحد يدوم سوى نفسك و عزلتك تلك !

أنا لا أعطي النصائح فقط أزرع البدور لتأتي أنت لتحصدها ،فما أحوجنا لفلسفة الرفض طوال الوقت !

رغبة منا في إبطال كل شيء ، في إنهاء كل تلك الحروب في أعماقنا ،فالذات السليمة تجيد رفض ما يزعجها و البكيمة تراها مليئة بالثغور .

الـَواقـِع خـمرة *

***

الواقع خمرة فمن منكم لم يرغب به ؟

الكَثْرَةُ تجيد إنتِقَـاء الكلـمات ك الكحول و النبيذ فقط لتظْهرَ بإشهار درامي لدلك المدمن اللعين المرهق الدي إستطاع إحتساء ألاف الكؤوس دون حاجة لِـنـَفَسٍ واحد ،إنه بارع في شحن ذاته بالخمر ،حتى ما عاد يتنفس سوى داخل كؤوس النبيذ .

مع كل هذا لم أقصد في حياتي خمرة لأنسى شيئا مؤلما قد يودي بي إليها أويسمح لي بكأس من بين كؤوسها ،فحتما لم يحن دوري لأساق نحوها بنفس الضعف الدي قاد دوي الارادة الهشة نحوها، كنا نستمع للألحان مع مطربنا العزيز ،فحتما كانت الموسيقى هي النبيذ ولكنه نبيذ روحي أجمل من الصنع المحلي ، فقد علمو سر إستحواذ على إفكار بموسيقى إنها مفخخة روحية بإمتياز ،فالكل الآن يريد ان يغني ويرتزق من وراء غناءه فيفقذ غناءه حماسته بعد الجهد اول وربما النفس أول ليعود متخبطا الى معناه الغائب ،فلا حاجة بنا للموسيقى إن لم تكن تقصد الروح فتحملها الى القمم غير أن هذا العصر قلب المعاني فولدت

من أرحام الجاريات موسيقى الشوارع موسيقى غير شرعية ،لها الرغبة في الشهرة و المال ،الروح ضائعة ،أمازلتم تفكرون في ذلك اللحن الدي سيفقذ روحه مالدي سيحدت له؟ بكل بساطة سيجلس في الركن عابسًا ،مكتئباً تنعدم حيويته ،فهل رأيتم إنسانا قط فقذ روحه وبآنتْ عليه معالم الموت وإقتراب الأجل..

إن واقعي ليس سيئاً ولكن من يكونونه أخطأو في وضع الأشياء في مكانها الصحيح ، كادو يفسدون ذوقي بطباعهم التي لا تحتمل فقصدت الزاوية "العزلة" لأبقى محصناً ضد الهوات ،أولائك الدين يسرعون في شرب الحليب دون أن يرو نوع البقرة التي أعطتهم إياه ، فهل الواقع موجود ،أم أن الوجود هو الوجود ذاته ؟

إن إنسان بولاذته الجوفاء في هدا العالم ،وما يرثه من سلالته النبيلة من حقد و كراهية وحسد و بغضاء لن يأتي علوة ليصيح بكل هدا عن نفسه ،فطبعا سيحاول طمر هده الصفات تحت جلبابه ،فلو حاولنا نظر تحته لأصابنا العمى ،حينئذ ولد السارق من كبد الحرمان وولد المسروق في أعماق الرفاهية وما بينهما رباط من الخداع و الحيلة ،فاسبغو لهدا العالم أكتر من وجه و خلفية حتى أننا الآن ضائعون في أنفسنا ،خائفين في أن يأتي دلك اليوم الدي سننهض فيه لنجد كل هدا مجرد كوابيس ،ونحن الكوابيس نفسها ، ولربما نحن أحجار في لعبة شطرنج بين يدي أغنياء ،فيحركوننا تبعا لنوع المصير الدي يريدونه ، فلربما كان العالم قبل ولاذة الأنذال لا يحتمل لغياب المعنى و الصراع الوجودي ولكنه كان واقعا واحدا مطابقا لوجوده ، لا أحد يخشى أحد الحرب تنهي كل شيء.ولاداعي لإلصاق الخلفيات على الواقع ،فكان الحل هو الصراع ،أما الآن ومع تطور التقني ،إزداد إنسان خبثاً حيت أن كل واحد يرسم لنفسه صورة تليق بنفسه ،وتعكس طبيعته المنحطة ،فسياسي يرسم لوحة العدل و ديمقراطية و يخفي دوافعه في خداع الناس وسرقتهم

،وإقتصادي يلون العالم بإشهارات و يدعو الناس ليشترو بالمجان وإن أيقظتو النظر سترون أن المجان نفسه غير مجانٍ و المبدعون أنفسهم عجزو عن إيجاد المنفذ في هدا العالم ،فرسم كل واحد منهم خربشة فإدعى انها فن و أخرجها لسوق لتباع ، فكم هو مضحك أن تقع وسط هؤلاء بسذاجتك الرعناء ، أكتر من هدا أن ذوي أذوقاء العاجزة عن هظم نفسها تقف في المتحف وراء خربشة لتحاول تشويهها وإبتداع الخرافة فيها بدواعي ذوقهم الفخم .

الحياة لا تطاق ،و العيش مناوبة بين التعيس و السعيد فحينما إغتشت نفسي على ذاتها و إنقلب السحر خارج اللعنة،الكل إستغرب وإنهالت عليهم اليقظة المزعجة فعادو للنوم ،وعندما ملو من المكوت فوق السرير وقفو كناطحة سحاب شامخة وبدأو في إفساد أجواء بروائحهم العفنة ،فما كنت أنا ممن يجيدون تنظيف السماء من تلك الروائح ولا حتى إستنشاقها ،فقد كنت أجيد إختباء كالفأر في جحره فلا يخرج الا ليحارب ليعود بالغنائم أو لا يعود أبدا ،فالأنسان الدي يختبئ من فرط حبه لفضائله ليس جباناً ،بل أفضل الناس و أشجعهم .

أين من يجيد الصراخ ؟ وأين من يحق له ذلك ؟

عندما وقعنا في هذا الشراك المُحْكَمْ ُمسمى الحياة ،لم نُظْهرأي إستنفار منه أوقلق ولكننا بدونا متحمسين للخروج إليه حثمًا كنا نظن أنه أجمل من المكان الدي كان يحمينا منه ،فقد رُمِينَـا كَـسِهَام َتجهَـل مكان التصويب ،لم نولد معتزلين منذ البدأ بقدر ما عشعش فينا الواقع فأثار غيضنا ،وأفسد مقطوعاتنا الموسيقية ،فما عدنا نستطيع العيش مع أحد ،حتى وشوشة الصراصير تصيبنا بصداع موجع في أدمغتنا ،لا أظنه وهمًا ولكنني متأكد من أنه ثأرٌلابدَّ لنا من دفعِ ثمنه .

أتعلم أن العيش كمعتزلة أوجع من العيش كوغد لعين يشارك القطيع في طقوسهم المرضية ،وينعم بسعادة مزيفة وفي لحظة الموت يتشاركون الوجع واللغط الدي لا ينتهي و الكل يمثل دوره بإتقان ،أما نحن " المعتزلة" فلا نجيد التمتيل ولا نقصي الواقع من وجودنا فنحن تجسيد للواقع الحقيقي ، وإعتزالنا أكبر دليل ،فمادام هو غير جدير بنا ،لن يكون علينا التمسك به ،فكتير من اللغاط يحلمون و يطمحون لتغيير واقعهم بالغنى و الثروة ، هده الطموحات الغريبة لا تتسع لنا نحن بقدر ما يحتفل بها دوي العقول اليابسة تلك التي أفحمها الفقر يأسها و حلكة .

لهدا لا أطيق إجتماعيين ،ليس لأنهم يجيدون التمتيل بكل وقاحة ،ولكنهم يستصغرون أنفسهم وراء شخصياتهم النبيلة ،فيصنعون لأنفسهم آلاف الصور فقط لينالو بعض المديح و التجمل الكاذب ،فالخائن يظهر وفاءه و الكاذب يتفنن في إبطال كذبه وكل واحد يجيد إخفاء سره لكل فخر واكتر من هدا عندما تظهر الحقيقة يهرعون لينافوقك ويلصقون بك كل تلك الصفات التي فيهم هم،نحن المعتزلة لا نجيد الهروب ولكننا نستمتع بالمشي لوحدنا لأكبر مسافات على إطلاق دون أن يقاطعنا أحدهم ،فلا يصلح لنا أن نجمل الواقع ونلونه بل نتركه كما هو سيء سيء ،حتى أحلامنا تشابه الواقع في الكتير من الملامح ،هؤلاء اجتماعيون عندما يصيبهم ألم يسرعون في إبتسام فقط ليظهرو للآخرين مدى قوتهم لا بل ضعفهم العفن ،فيلصقون ملصقاً تجارياً ملَوناً فقط ليخفو معالم الجريمة ،فيتهربون به من الواقع ،إن الواقع يخيفهم ويحفرالخراب في أعماقهم ،هدا ما يميزنا نحن المعتزلة ،لا نخاف الواقع مهما كان وقحا ومؤلما نجيد تَقَبُّلَهُ ، بكل شقاوته وآلامه ،فلا يهمنا تزين هدا الواقع أو تجميل الوجوه مهما بدت مخربة لا تليق بأنظارنا ،كم هو جميل أن تعتزل كل شيء ،لا يهمك شيء في هذا العالم البشر أنفسهم مجرد أشباح تتراقص

بشغف مميت لتعود الى العدم بنفس القدرة التي بها رُمِيُو الى هدا العالم .

الواقع خمرة ،كيف كان المشروب وهل النبيذ كفيل ليُلوّن حَياة تطبع فيها السواد .

هذا الإدمان البشع لكحولكم الذهنية " الخيال" لن يفضي لشيء،سوى لإندحار فكري كنتيجة حتمية لتراكم خيبات الأمل ،سكتات دماغية وأزمات نفسية تحتفل ذاخل تلك الذات الشاحبة ،وكل هدا ما هو إلا تفضيل الخيال عن الواقع ،فالجميل أن الخيال يغدي الذات قليلا بتلك السعادة الضئيلة في وقت بلغ فيه الواقع أقصى قُسَاهُ ،ولكن يبقى أمر محدودا في توانٍ عندما تتطفل الحقيقة فتكسر زجاج الخيال فتتولد خيبات الأمل ،لتكون شرسة ،متهكمة تقضي على نفسها بنفسها فلا تخلف سوى الخراب في تلك النفس .

على المرئ أن يكف عن إنصياع لمفاتن الخيال مهما بلغت قساوة الواقع ،فأفضل العيش وأنت تُدْرك قساوته على أن تنصدم بها في وقت كانت ثقتك في أوجها .فكم من إنسان إكتأب لمجرد وقوعه في هذا الشراك المحكم !

على مر العصور وفي كل نفس نقضيه في هذا العالم ،كان لابد من ولادة طموح يعلو فوق الواقع ،وهدا ما يفتقر إليه واقعنا ،فالعظماء في ذلك الوقت بذلو اقصى مالديهم لتُكتَب أسماءهم في التاريخ وما كان يميزهم تقبلهم للواقع و جرأتهم على الوقوف في وجهه ،فلم يحتاجو لشيء إسمه الخيال .أما عصرنا فنكتفي بالهرب منه ولعب الغميضة طوال الوقت لا نخاف ان نفشل في اختباء ولكننا نخاف من أن نظل نبحث عنه طول حياتنا فلا نجد له سبيلا.

عندما سيولد دلك الطموح الدي لا يهمه الواقع المادي ،لينهب أعماق السماء ،فيطفو مع سحبها ،ويمطر مع ألغامها فهناك ،ستعلو القمم أكتر من علوها ولن تنتصب على أرجلها بل ستبقى تطفو الى أبد ،فالطموح الدي يطفو فوق لن يندحر مادام يعلو ،ومن يساير الواقع ويمشي معه في طريقه ،لينقلب مغتاالا إياه عند كل إنعطاف ،فعلى المرئ أن يطمح بعيدا عن أرجله بعيداً عن مكان تنفسه .

إياك وأن يغرك الواقع "الحياة "،فأمر أشبه بساكب يشغلك بمجانية النبيذ وعند إحتساءك إياه يقول لك إدفع ثمن مشروبك يا هدا ! المجاني ثغرة قبرك وحتى هي ليست مجانية يجب أن تدفع الثمن لتنام فيها ،لتموت بها .

فحتى تلك الرؤية الواقعية التي ترى بها العالم ،ليست بالثمن الرخيص ،بل أغلى من ذلك بكتير ،فلا أحد أجاد النظر في كل هدا ولم يفقذ شيئا مما لديه.فأجبر عيناك على إتساع لتتسع نظرتك الى هدا العالم ،ولا أريدك ان تخاف من أن تضيع أشياءك فيه بينما أنْت تبحت عن أخرى ...

مَقْبَرَة الـذِّكْرَيـَاتِ

* * *

عند أول لقاء معك ،كانت الحماسة في أوجها ،والسعادة تتخبط في داخلي كالبوالين المنتفخة فإن إستمرت في تخبطها لسمعت إنفجارها ،طناجر ضغط إستهواها طموحها في إرتكان خارجاً ،بدوت مهرجا في زيه اللبق ،فقط يحتاج لكرة ضخمة ليقف عليا تم يتدحرج .فالذات هي مقبرة الذكريات ،موتاها يعاد إحياءهم ليأخدو ثأرهم بكل عدل وإنصاف !

فكم هو جيد أن تباد الذات على يد أصحابها ،فهذا هو العدل ،وكم هو سيء أن تنهض الجثة من تحت الركام متعطشة لنيل منك ؛ إن هذه الجثة السرمدية التي لا تخيف أحداً ،هي أكتر خطراً من تلك الجثة التي تسير في المنام ،فالوقاحة في كل هذا أنه مهما أبطلت شعوراً عاد إليك فيمابعد بقوة مضاعفة تقضي عليك فتنهي راحتك أزلية ،وتنهي خلافة تلك المشاعر التي أبطلت بسببها.

الإشتياق والشوق هو أكبر تجسيد لهده المجزرة التي تخوضها الذات مع قاتلتها (مشاعر) ،فالكتير يجهل من أين يولد إشتياق ،ولربما يظن أنه تحريض على الحب وما هو إلا ثأر للغريزة عند إبطال أحد رغباتها.

عند إقصاء الرغبات يكون على الغريزة الثأر لنفسها وهنا يتولد النذم.

واقعنا نحن المعتزلة حافل بالبطولات وإنتصارات فقد جاز لنا العيش جثة فارغة تصبو لملإ أحشائها فأي فراغ هدا الدي يصحو في أعماقنا كل تانية نقضيها في هذا الوجود.تتطلب منا البحث عن منفذ لملإ هدا الفراغ وكتير من يموت بفراغه ولا أحد قط سدد هذا الخطى الوجودي.

الذات مقبرة وربما سرداب للموتي لم تتعفن جثته بعد ،لأننا لم نشتم رائحة الفعن بعد لذلك التحلل وإنصهار الجثماني ،سيبقى على الذات أن تطمر جميع الذكريات الجميلة والقبيحة، والقبيحة سيعاد تجميلها لتتناسب مع تاريخ اللائق لنفسياتنا المهترئة دع التاريخ يرسم الملامح ،فقط اجلس وشاهد اللوحة ،فالتاريخ يرسم ما يتطبع في الوجوه وليس ما يرسم في أعماقهم ،أكبر عقاب للانسان ليس أنه يعي ما سيصيبه بل أن له ذاكرة تحييه وقتما أصابه الموت ،فتقتله بدل أن تحييه.

إني أحسد نفسي في الوقت التي تنعم بتلك الذكريات فتسرع لإبطالها بل والقضاءعليها،فنحن المعتزلة مهما إدعينا القسوة ونسيان وقدرتنا على الهجر والفراق نبقى حساسين مرهفي الشعور ،نوقضه عند كل صحوة ،فنرغب في العدول عن ذلك لنجد أنفسنا قد أنهينا جميع أشواط ...

عندما كانت الحياة لا تطاق إنسل سهم منوالرياح فأعاد لذات صباها ،فإختفى الضياع والكآبة معاً،فولد من أنقاع الفساد ملاك بنظرة ساذجة يدعي ألوهية فوقف الزمن شاهداً أعجبه ذلك المنظر ،من الغفلة الذهنية عندما يهيم إنسان في آخر بدعوى الحب ولا يكون أمر سوى وهم نشأ

عن نقص فضيع في تصريف المشاعر ويحين وقت ولاذتها ،فما كنت أصبو سوى لرؤيتها بل العيش كنت أعيشه بنظرة منها والعدم ألخصه في دمعة تسقط على جفونها ،بدوت فارساً دون عتاد ينتظر ليضعل الحرب حباً كما ظن معقلي ،بل الدي كان يهدي به أن الليل جميل و النجوم أجمل حتى الحياة أجهضت الملل والضجر وأعيدت لها الحياة .مقبرة الذكريات لا يوجد كفن ،جثة منكبة على بعضها والذماء تسيل منها كالنهر لم يتوقف عن البكاء ،الأسماك ماتت و النافيل أيضا وحتى التماسيح والذئاب لم تسلم من التسمم ،القردة وحدها من إستمرت في العيش بفضل موزها اللديد ،و شجرها العالي الشاهق ،فكل هده أشياء تتولد داخل الدات ولا شيء يولد من عدم ،فهناك من يعايش تماسيحه و ذئابه وهناك من يترك القرار لقردته و سناجيبه .،فأنت من يقرر متى ومنْ يقودك ؟

الذات أشبه بآلة والروح هي المالك والحامي فكلما إنهارت الذات تُفْقَدُ الروح ،وكلما فُقِدَتْ الروح فلا لزوُم َلذات بعدها..

بعض الذكريات يجب إجهاضها لما لها من مساوئ تفضي الى العدم والآخر منها يعيد ولادة من جديد دائرة الأحياء ، وخلاصة الموت هي العدم ،لنتفقذ حال المعتزلة ، وما تضمر ذاته ! وهل ذات مثل هذا إنسان تشبه الذوات أخرى ؟

السيء في كل هدا أن المعتزلة لا يَرْضَى على نفسه بالذل ولا يخشى الموت ولا حتى الألم الدي يلحق بالجرح ، فقد نكون قساة لا نرحم أنفسنا ؛ولكننا مجبرون على ذلك ،لنحتفل بعدها بولادة الفضيلة ،فأفضل لنا العيش ونحن نتألم على أن نخضع لأراء آخرين وإنزواءاتهم .

عندما لم يبدو لنا في العيش ما يهمنا ،إتخدنا الركن

بدل الوسط ،فما كنا نريد سوى التخلص من كل هدا إزعاج ودلك الصدى الدي يحوم في ذواتنا فلا هو يطربنا ولا يكف عن دلك،فالولادة المحفوفة بالمخاطر ،لن تكون بالسهل ،فدائما هناك عقاب مادمت تشرفت بالوجود .

في زمن بلغ فيه الحسد أوج عطاءه ،ولد من قلب المكر طائر سنونو (انسان)يعلو فوقه ،فلا تصيبه سهامٌ ولا تسقطه نفخات الرياح ،فقد بدت له السماء أريح من أرض والجلوس بين الغيوم أعذب من أن يتعكر بصفو الحقول فرآه الطغات وهو يعلو ،و يتشقلب بين نسيمه ،فقال أحدهم " طائر غبي ،لا يجيد الطيران " وقال آخر " هيا ننتظره حتى يستوي فنمطره بحجارتنا ومن يصيبه يكون الفائز !

وفي لحظة من الثعب والعياء قد أنزله من القمم نحو الأسفل

فقال في نفسه " سأستريح قليلا على أرض تم أعاود نيل حريتي في السماء ".

فعندما إنتصب طائر السنونو على صخرة بين الحقول المتمازجة بين القمح و الشعير ،إنهالت عليه الحجارة ،وفي لحظة كاد فيها التحليق خوفاً من الموت ،أصابته حجرة في مرفقه فسقط الطائر سنونو مغميا عليه ،فأسرع إليه الطغات والأنذال معاً فحمله أحدهم وصاح للعلن " لقد أصبته ،أنا الفائز ،فضحك الكل و رُمِيتْ جثةُ الطائِر بين الحقول كالطيور الأخرى التي كانت ضحيةً لنذالة هؤلاء البشر ،فإياك وأن تحلق بجوار أحد ،فتشعره بنقصه الفضيع وعدم قدرته على التحليق مثلك ،فبتأكيد سيتولد من أحشاءه الحسد والبغضاء مهما كنت بالنسبة له.

لطالما رأينا دلك الوغد يفسد كل الحفلات خصوصا،تلك التي تقام عن حب ،فينال بقباحته على تلك أصدوقة النفسية التي لا يأخدها أحد ،ففي

لحظة منه يسرع في نقل الروائح الكريهة بدعوى العفن وما كانت لتوجد تلك الرائحة لولاه.

عندما تقام أول مأذبة للحب على مشارف الحياة ،و يكون هدا أرعن من المذعوين ،لن ينفع معه طبق من اللطافة و لا حتى الإحترام فأمتاله يولدون في كنف الجاريات،يفتقرون للحب ،ويصبون لقضاء حاجتهم بدعوى الحب واخلاص والوفاء ،فينسحبون من سلالتهم القبيحة تم ينغمسون في سلالة أفخم منهم" الجاريات "رفضاً منهم إنصياع لقانون الوجود ،وقد يكون أمرغاية في الإحترام لولا أنه أباد رغبته في إمثثال وإظهار محاسنه بدل تلك التي أورثته إياها جاريته،إنه يصبو لينال حب الأميرة بمظهره البطولي وشجاعته الملفتة وأخلاقه النبيلة حتى أن لقب إبن الجارية قد يَنْزاَح على كتفه ،كما أن سيقانه الهزيلة تعجز عن الكذب ،في إبطال إنتسابه للجواري .

عندما يولد هدا الأرعن الدي لا يستطيع فعل شيء غير إنتسابه لسلالة المتشوهين الدين فقذو شخصياتهم في معركتهم ضد غريزتهم ،فلا يكون هدفهم نبيلا بقدر ما يكون منحطاً ،والخطر أكيد أن ضحايا هدا البغيض ليسو أقل منه سوءاً،فقد يصبغون على الحياة أسوء الصفات لمجرد أنهم فقذو عذرياتهم في لعبة التطاول والخداع ،فعلى إنسان أن يقدرحجم كارتته و يدفع ثمن خطاه، في لحظة ما من هدا التاريخ العريض وبين تنايا هذا العصر البغيض ،إنعمت البصيرة ،في لحظة توفى فيها الأمل ،فأسرع ليفتح النوافذ بدل أبواب ،ليشوبه نسيم من العبث الوجودي .

كان في هدا الوقت ذئب جائع في جحره ،ينتظر الفرصة ليذهب لصيد وعند المساء خرج غفلة ليسكت صراخ بطنه،فوجد في طريقه نعجة وخروف وكلاهما مستأنسان ببعضهما متجاوران يأكلان العشب سوياً ،كحبيبان في بداية حبهما ،فاقترب منهما بمهل مخزي وإدا به يركض

بأقصى جهده ،فالفترق حبيبان عندما رآه الخروف أسرع في الصياح تم الهروب و النعجة لم ترى شيئا سوى صياح حبيبها ،ففرت هاربة لا تعلم لما الهروب !

توقف الذئب لبرهة وقال في نفسه " لنستغل النعجة قليلا"

وإتجه صوبها حيت وجدها خلف الصخورترتعد خوفاً فقال لها في مهلٍ ،" يا أنسة لا تخافي فقد مرت الذئاب ولا يوجد خطر"

فصاحة النعجة تقول " اوه يا ويلي انت ذئب ؟ أرجوك لا تأكلني .

فانحنى رأسه عند قدميه وقال لها في براءة مزيفة" انا لست متلهم ،أنا ذئب يأكل العشب "

فالصدقة النعجزة كلام الذئب وإصطحبها الى مرعى به عشب أخضر وهو يحادثها ويقول:

أين حبيبك ؟ إنه جبانٌ جداً ولا يستحقك أيتها الجميلة !

فضحكت النعجة وقالت :

لقد هرب عندما رآى أحدهم يصبو نحونا ، ربما هو جبان كما قلت !

وفي لحظة من الغفلة نط الخروف بينهما فقال لنعجة "

أهربي أنه يريد أكلك ،أنتي وجبته !

فضحكت النعجة تانية وقالت:

لا تخف إنه يأكل العشب مثلنا !

فقال الخروف و أنظاره متوجهة نحو ملامح دلك الدئب البغيض :

هو من كان يطاردنا ليأكنا ولدلك فررت! أيتها السادجة إنه يريدك أنتي يريد استغلالك لتكوني وجبته لأسبوع كامل .

فقالت في غضب :

توقف عن المزاح أيها الجبان ،لا تسب صديقي إنه أحسن منك جرأة ،ونفساًوكل شيء !

فإبتسم الذئب وقال:

لا يا أخي أنا بريئ من كل هدا ،فقد جئت لأصالحكما و انال صداقتكم !

نحن نعرف صداقة الذئاب كيف هي !

فقالت النعجة :

إذهب الى الجحيم ،أفكارك هاته لن تجلب لي سوى السوء ،فلأول مرة أرى الحياة كما هي !

فذهب الخروف وتركها مع الذئب ،بعدما أصرت على فراقه، وفي العصراليوم التالي ،عاد الخروف لنفس المرعى ليجد بقايا ذماء مطلية على العشب فإنتابه الخوف والكره معاً فتوجه لوكر الذئب لينتقم لنعجته التي طعنته بخرافتها وعندما دخل تفاجأ الخروف ،الذئب يأكل العشب و النعجة جالسة بمحاداته !

فقالت النعجة متفاجأة:

أوه الجبان قد عاد ،لم يصبر على العيش وحيداً ،فغمس الخروف رأسه بين صوفه ونذم على قدومه تم قال :

ظننتكِ

فقاطعته في مسيره وقالت :

ظننتي مادا !

لربما رأيت دماء تفوح في مرعى فظننت أنها دمائي ،لسوء حظك أنا على قيد الحياة !

ها أنذا أحب غيرك ! أحب هذا الذئب !

توقف الخروف للحظة وبدأ يظحك ويسخر منهما .وقال في لهجة لمن تلك الذماء؟

فنط الى الحديث دلك المتطفل " الذئب " وقاال :

إنها لذئب حاول أكل نعجتي و ضحك بسخرية تظهر مدى رغبته في أكلها لوحده .

فأدارت النعجة إليه فعانقته وقالت له :

يا لك من شجاع يا حبيبي !

وقالت :

أيها الجبان عُدْ الى الحضيرة ،وعِشْ حياتك كما لو لم أَكُنْ فيها.فأمثَالُكَ سَيّئُونَ ،خَـوَنَةٌ لا يجيدون الوفاءَ أبداً

ضحك الخـروف وأزاحَ نَفْسه من داك الوَكْرِ عائداً الى حضيرته ،وبعد ساعتين خرج تانية لتناول العشب في مرعاه ،فإدا به يجد نعجته تَحتَضِرْ تُقتَاوِمُ الموت،فأسرع إليها ،فصرخت في وجهه وقالت :

أيها الخائن ،كل هدا بسببك ،لو لم تقل لي الحقيقة لما وصلت الى هنا وقد بَقِيَتْ تُعـَاندُ وتُصِرُّ على أنها الضحية في كل هدا الى أن جاءها

صديقها الذئب لينهي ما بدأه ،وفي تلك أتناء عاد الخروف لحضيرته دون أن يهتم لها ،ومن تم لم يعد يقصد تلك المرعى أبداً...

هكدا إنتاب أحمق جنون في إمتلاك ،في إستغلال ،وكانت الضحية مخدوعة فيه بقدر ما كانت تكره الحقيقة وما قد يكون حجراً بينهما.

عندما يرغب إنسان في أن ينال بعض المدح والرفعة بإسم الضحية لن يهمه شيء سوى رؤية آخرين تجاهه ،وتعاطفهم معه ،إن مثله ينبغي القضاء عليهم بكل بأس ،فالحياة لا تحتاج للضحايا لتعطف عليهم.

قَبْسَة نظَرْة

***

لطالما شعرنا بأن أحداً ما يراقبنا من وراء الغيوم ،فعندما نوجه أنظارنا اليه لا نجد أحداً ،الرياح تراقبنا من وراء الكواليس ،وعلى كل منا الخوف من هده الرياح ،هدا إعصار العنيف الدي لم يترك شيئا في مكانه إلا وحمله الى اللامكان.

إني لا أخاف سوى من بلذاء الطبع ،ليس لأنهم مستضعفون يميلون لإبداء جهلهم الفضيع على أمور تافهة ،ولكنهُم في لحظات يُسَمِّمُونَنا لمجرد أنَّهُمْ رَغِبُو في فَهْمِ أحوالنا ،فلا هم يَفْهَمُون ولا فَهْمُهُمْ يكُون فَهماً معقولاً، فمن الصَّوَاب إبتِعاَدُ عن أمثالهم ليس لأن العدْوَى قاتِلة ولكن الشفاء منها يكون عسير جداً.

عندما بدأنا إنفصال عن تلك اللحوم الهجينة ،كنا نلقب بالشرائح العفنة ،ليس لكوننا فعلا نمثل العفن الوجودي ولكن اللحوم التي بقيت بين فكي الذئاب لم ترضى بإنفصالنا وتحررنا من بين فكيه بينما هي بقيت مسجونة هناك.فالبشر جميعهم يمتلكون شيئا من الحسد وبكم متفاوت ،فمهما إدعى هدا إنسان أنه لم يجاوره الحسد يوما ،ليكون كاذباً فإنسان

بطبعه يميل ليظهر نبالته وفخامة سلالته المرموقة،فعندما مالت الشمس الى المغيب نط الى الحياة من يجيد إفساد أذواق و تعكير الجو ،ليس لثأر او إنتقام مسجون ولكنها الطبيعة البشرية تحتم عليه أن يكون وغداً فعندما فاز متسابق بأولمبيات ركض الجميع دون استثناء ليهنئوه بالنصر و حتى إعلام بدى مترددا في دلك في الوقت شقاءه لم يلتفت إليه أحد وعندما فاز ولد الحساد والمتملقون ودوي العقول المنبطحة.

لا يهمنا أحد ، وحتى أفكارهم وأراءهم لا تسوى لدينا ذرة نفس ،فعندما تصل لهده المرحلة من العيش سأقر بأنك نضجت فعلياً .

أتعلم أننا لانقهرأبداً،ولا أفتخر بهدا الوصف بذات ،فنحن نُحْسِنُ إنْكَارَوجود آخرين و الضرب على نفسياتهم بأعنف معاملة وأقساها ،وعَيبُنا الوحيد أننا نعود لنتعاطف معهم ،فنبدو وقحين لمجرد أننا عدنا لنخفف وطأت وجودنا ،فيتكابر النذل وتتولد في أعماقه شتائل الفخامة المزيفة فيصبغ على نفسه دلك الطلاء القبيح،عزة نفس،فينفت علينا بقايا بغضه بدعوى الكبرياء المزعوم.

إننا نتواجد على الحافة ،على مقربة من إنهيار الوجودي ،فنجلس على الصخر بعيداً نشاهد إنتحار أخلاق والقيم معاً دون أن تجف لها الأعين ،فما عادت تهم مادامت لا توفر نقوذاً لأحد ،في يوم ما سيقيمون مزاداً لبيع القيم وأخلاق وسيعزموننا نحن المعتزلة ضُيُوفًا لشَّرَفْ.

إننا نشهد أكبر مجزرة في تاريخ البشرية ومع هدا لم يحرك أحد ساكناً لأنهم عاجزون حتى عن تحريك رموشهم فما بالك بأفواههم ،إن أولاَئك المدعو بالمجانين هم أسوياء الحقيقيون فنحن نَنْخَدع في أنفسنا فجميعنا مرضى ،ولا أحد معصوب عن المرض.أتعلمون أننا لا نشهد زوراً حتى وإن ذبحونا أحياءً لأننا نقدس شيئا إسمه الفضيلةِ عكس أولائك إجْتمَـاعيُون الدين يقدسون أرجل الراعي والراعي نفسه وعشبهم

الطري.ها قد طمرتم إنسانية تحت أكعابِكُمْ بعدما لم تتركو شيئا دون تقييم ،دون بيْـع ،دون ترخيص ،لقد جعلتم من أنفسكم مجرد مخلوقات تستحق إبادة بكل إحتراف ،فشرف المرئ هو فضيلته فإن فقدت فلاحاجة ليبقى حياً.

كان من الجيد أن تبــادَ بعض الخرافات ،وفي حالتناهاته وعندما إنفصلنا عنها فَقد إنسان نفسه ،الخرافة هي من كانت تكسبه الهبة و الـعظمة و عندما إنتهت إنتهى هو نفسه.

سترى أنني في كل هدا،أشدد على الفضيلة ،إني أرى في المستقبل ما لم يره أحد ،لربما كانت سذاجة مني ،أو هيام يجول في معقلي ولكنه معقول جداً ،إن تلك الرؤية بدت لي نهاية البشرية على يد نفسها ،لابل نهايتها على يد شتائلها ،إني أخاف أن أنجب نذلا ينقلب الى أسوء فلا هو من سلالتي ولا أنا مِنْ أعماقه ، إن هدا الرعب الدي يواكب إصطاحب انسَـانِيَةِ نحو حَدْفِهَـا، هو ما على كل بشري التفكير فيه ،فكفى من ولادة المنحطين ودوي إرادة الهشة و أشباه الرجال والنساء معاً وحتى المنفعيين ،فلكي تصلح البشرية ونستعيد إنسانية لابد من رقابة جبارة تتعالَى على أوضاع العاطفية وتكون فوقهم كسقف يصعب إختراقه،

ولكننا في هدا العصر ،كل سلالة منحطة تريد أن تجعل منابتها أحكم و أقوى من منابت السلالات أخرى ،إنها تسعى لتخلده في التاريخ فقط ليمدحهم جيرانهم بالقول :

" إبن فلان ؛ إبنت فلان "

وفي لحظة من هكدا خدعة طائشة وربما حيلة من الوجود ،كانت السلالة تدعي الحرية واللطافة في معاملة مـلاحِمِها لتظهر للعامة تحَضُّرهَـا المُغْتَـادْ و بأنها كانت ضحية للحداثة المزعومة حتى إنقلب

السحر على الساحر ،فولد في كنف إهمال شباب منحطين لا يرقون لهدا الزمان ولا لآخر ،وولدت العاهرات بدعوى الحرية التي كانت فوق عرش سلالتها ،ولا ننسى ولادة من يجيدون إفساد أذواق و دوي النزعة المختنقة.

إن أي سلالة عندما ترتكب مثل هده الخطى تنسبها لتاريخ بل للوضع الراهن وربما لسلالة قبلها ،فلو كان بيدي لأقمت مأذبة لشيوخ العالم لأصيح في وجههم وأقول:

مادا كنتم تظنون أنكم ستنجبون لهدا العالم ؟

الأمر فارغ من المعنى لن يلتفت أحد ،الكل منبطح على شوكته يحاول إنهاء طبقه ليفر من المأذبة دون أن يسمع لغوي ،فإنسان عندما ستجعله أمام نفسه ،لينكر أنه هو ..

صراحة في القديم كان أمر إجبارياً حتى ان الفضيلة كانت تحت التياب لا ترى سوى في شجاعة المرئ لا في صياحه كالببغاوات،كان الشرف هو الحياة وكان القتل لثأر و الشرف مباحاً ،وحتى السلالة لم تقدر على أن تسفك ولو كلمة واحدة لوجود الجبابرة وعندما تقدم التاريخ والعصر معاً وإنجلت الهبة و عزة النفس بدعوى الحداثة المزيفة ،داعت الحرية وغدى الكل يطالب بها ،فكم هو خسيس أن تطالب بشيء وهمي ،وكم من أحد يتمنى الحرية ،عوض أن يحافظ على فضيلته .

المشاكل كلها من عهر وتشرد و عبدة المال وغيردلك هو نصيب لسلالات الغبية التي تظن أن التحظر هو معاملة الود و السماح لبناتها بإرتداء التنورات وأولادها بالسهر الى الفجر وفعل ما يشاؤون.كفاكم أيتها السلالات لم نعد نحتمل أنفسنا ،في هدا العالم المضجج ببواعثكم التي تطبع فيها الفساد ولم تعد لأرضنا منصباً فارغاً نرتكن فيه سوى

حفرة المجاري ،وقبل أن أميط نفسي عن هده القباحة التي تخجل منها نفسي تجاه نفسها ،لأنبهكم أن على المرئ مراقبة أولاده مهما كان أمر مقلقاً فالشباب قد يضيع في السجون لمجرد إهمال في تربيته ،ولا أخفي عنكم أنني لمحت جزءاً من العجز في تربيتهم عندما تلد شبلا لا يتحمل سوى مسؤولية إتباع غريزته و الجري وراء أنثى بائسة،وواقعي أن أغلب المرئ تفوح عطوره بالمدح و التكبر في الآن نفسه ،فتقول "

إبنتي متعففة ،فقط تذهب لتدرس وتعود"

فهل كنت معها عندما كانت تدرس أم أن جهلك بها جعلك أشد العميان على إطلاق،كان من الجيد أن شخصيتي لم تكتفي بإنعزال كما يفعل البعض ولكنها تمرست على التحليل خصوصاالواقع ،فأي حدت يمر أمامي أحلل تفاصيله فحتى وإن كان تحليلي افتراضيا ولكنه لم يخيب يوما ،ففي أحد المشاهد قرفاً في هدا الوجود ،كانت إحداهن تدرس التانوي بلباس محتشم و لباقة مزهرة متعففة و لا تكلم سوى الفتياة وقليل من الذكور و عندما إجتازت التانوية الى الجامعة ظهرت صفاتها العاهرة وإنتزعت من نفسها صفة الخضوع لتلك أوامر أبوية ،فأبانت عن شعرها و إرتدت ملابساً ضيقةً مع تجميل الوجه و إبانة المفاتن ،للحظة إرتعبت ولكنه لم يطل أبداً بدعوى أنني أصادف الكثير في تحليلي وأعلم أن مثل هذا التصرف طبيعي خصوصا في المجاري ،ولكن ما صدمني وجعل مني كوميديا هو عندما أنهت دراستها وعادت الى منزلها ،لقد عادت العاهرة الى عفتها وإرتدت اللباس الفضفاض ،وغطت شعرها،كانت تتمتع بحريتها ،وعندما عادت أجبرت على أن تخضع لبيئتها ،فلا أظن سلالتها قد أنجبتها عاهرة ،ولا أظنهم قد رأو ما رأيت !

من الجيد أن ترتكب أشد الأخطاء والتي لا يمكن أن يعفو عنها ولكن إياك وأن تكوني عاهرة!

نحن في هدا العالم لا نحتاج لولادة أنذال و المنحطين يكفينا ما لديناحتى الآن .

أتعلم أننا نحن المعتزلة لا تهمنا أجساد مهما كان مفاتنها ظاهرة فإننا نحتقرها ونلعن وجودها ،لأن فضيلتنا في أوجه صوبها وخفتها ،فلا نعطي قيمة لأي أنثى أجبرت نفسها على تحريك جسدها لكسب تعاطف الناس واعجابهم !

الدي يرى الحرية مرة في حياته ،لن يعود الى سجنه مهما فعلت له ،سيظل يحب ما أشعره بالنشوة.

فهل حقاً توجد حرية ؟ الكل يصيبك بالتقيؤ عندما ستسألهم عن دلك ،بل سيضحكون عليك ليصفوك بالمجنون !

إن عقلهم المجن لم يستوعب بعد أننا في أوسع سجن في هدا العالم انه الحياة فقبل أن نولد كنا مسجونين تم ولدنا في سجن وبدأنا نألف سجناً وهكدا نستمرفي التنقل من سجن الى آخر ،عندما قفزنا الى هدا وجود لم يكن أمر مخيراً بل كنا مجبرين ،و الحرية مجرد مزحة إبتكرها بغيض كما أبتكرت السعادة والاخلاق و القيم والخير....الخ .

المهم أن كل هدا ولد ليخفي معالم الضياع و ويعطي للحياة معناها المفقوذ.

الكل يضحك تم سيقول " انه مجنون " فقط لأنني قلت الحقيقة ولا أنتظر من أحد أن يقول انني على خطأ او على صواب ،لأن انسان ينكر حقيقته باستمرار حتى وإن إدعى أنه يحبها. لا أنتقد وجودكم أيها أنذال

،أنا فقط أفكر في حجم الكارثة التي ظن من أوجدكم " أنْجبوكم " أنها ستتحول الى فضيلة بمرور أيام ليصعق بولادة فتاه المشبوه ،نذل بغيض ولد لينتمي لحِلف لقِّب "بلا لزوم لهم "في هدا الوجود !

أيها المُنْجِبُون ،أتشعرون بالمتعة عندما يولد طفلكم ،وأي متعة تليق بولادة المنحطين.

فعندما تريدون إختيار أصناف طعامكم أحسنو إختيار زوجاتكم كي لا تلدو من بعدها راقصات ملهى أو عبدة المال ،ليكون علينا نحن أن نمدحهم بقول " فخر أباءهم ،و نبلاء سلالتهم " فكم هو مقزز أن تلفظ إسم أشباه الرجال أو إحدى بائعات الهوى ...أحسنو تربية أجيالكم كفاكم إهمالا بدعوى أنكم أزليون بغضاء، فأورثو لشتائلكم الفضائل ،فمنذ ولاذتي لم أرى سلالة قد أورثة أبناءها ولو فضيلة ،بقدر ما أورثتهم دماء فاسدة ملوثة تخجل النفس عن نقلها الى الجيل اللاحق ...

الـحُـبُّ فَـضِـيَلـَة

***

لطالما كان الحب فضيلة عليا تطفو فوق أذمغة ،بل تطفو بها وتسحرها ،فعندما يتولد الحب من خزانة مفرغة يصبو ليملأ أحضانه وأعماقه بخزانة أخرى فارغة ،فتتلاحم الخزانتان وكل واحدة تكمل أخرى ، ههنا تصبح الغريزة شيئا تانوياً ،ولكن الحب الفضيلة لا يكون متبادلا بقدر ما يكون أحد أطراف يبدل ما فيه من مشاعر الحب والآخر يصمد فلا يبدل شيئا ،لأنه لا يبادله نفس الشعور ، فالفضيلة تتولد من العلاء ،والحب ينشب في أعماق أحد أطراف ،ولا ينشأ لدى الآخر ، فحب الفضيلة ،دلك الحب إلاهي المقدس الدي يوجد فقط في حالة أن أحد أطراف يحب والطرف آخر يتلاعب،ههنا يولد الحب في كنف الأول بثقة عمياء وسذاجة فخمة ومتخمة بالبراءة والتاني يكون ضحية لغريزته ،فعندما

تنشأ العلاقة كهده فلابد أن يكون الطرف اول بريئا ودو فضائل ،ليس لأن غريزته معطلة ،ولكنه من وقع في الحب ،بثقة عمياء وههنا تحضر الفضيلة ،فحثما قد يكون هدا النبيل إستغلاليا كالطرف التاني المحرك من طرف الغريزة ،عندما لا يحب من أعماقه بمعنى يكون كاذباً محترفاً،فتنعدم الفضيلة ،الحب المقدس يولد في كنف الحرمان ويكون أحد أطراف يعشق بجنون والآخر متلاعب شهم يصلح لكل شيء ما عدا الوفاء والفضيلة.

كانت تعتاد الجلوس عند مدخل الحديقة ،لا بل إرتكان في كل مدخل يبدولها كذلك ،ففي لحظة نراها عند مدخل المنزل وربما مدخل الغرفة وشيئا ما عند مدخل مقبرة،إنها تحب إنتظار أكتر من اللازم فأي صبر هدا الدي يكتم في أعماقها ،وهل فِي نِيَّةِ المنْتَظَرِ القدوم !

في كل يوم تغفو على سجاد ،ولا أحد يعلم لما يحدث كل هدا ،فهل تنتظر حبيباً أم أباً أم لا أحد،فكم هو شاق أن تنتظر لاأحد ،يحدث أن تشعر به دون أن تراه بل أن تراه دون أن تشعر به ،هاهيا دا تقوم من مرقدها من مدخل الباب فتسرع الى غرفتها دون النظر الى أدراج المنزل فلا يهم ما قد يحدث لها مادامت فقدت روحها وأصبح جسدها مجرد بقايا موز ،عادت مسرعة الى مكانها ،تحتمل كتابا و قلم ،إنها تحاول كتابة رسالة وكلما أمسكت القلم تتلعتم في إمساكه فقد عجزت عن لمسه حتى ، وبعد طول محاولة أمسكت به وبدأت تسرف في التعبير إنها رسالة شوق ،في أول جملة لها كتبت بأحرف عريضة"

أياها النذل أتعلم ماذا حصل لي بعد فراقك ؟ إزدادت جمالا و تحفة ولكن أعماقي قد فارقتني لأنهالم تتناسب مع كل هدا الجمال ؛ فإلى متى سأصبر على إنتظارك وهل في نية هدا إنتظار الزوال ".

فوضعت قلمها جانباً وأخذت تدرف الدموع دون توقف،كانت تحس بأنها مجرد جثة والروح مفقوذة ،ويا للعجب ما يصيب المرئ عندما يحب !

بدأ الأمر يوشوش في عقولكم ،لنروي النكتة :

عندما بلغت الزهرة أوج خلاصها والمكان لم يعد مكانها ،حيت أنهت فترتها التانوية ،وعندما كان اليأس والبؤس يحومان في أعماقها،تولد من عمق الإرتباك قبس نور كما سَمَّتْه هي فأنقذها من شقائها وما كانت النجدة سوى حيلة ليسلب مفعولها و رائحتها وههنا تولدت البطولة في قلب الزهرة لدلك الأخرق فالنعمت بصيرتها ،وما عادت تبصر سوى بطلها ،وعندما تطور الوضع وصارحته بحبها وما كان هو يحبها ولكنه سارع في الكذب و إقناعها بحبه ،وعندما مرت شهور على تلك العلاقة التالفة ،إستغلها بكل وحشية ،فما كانت تظن أنه سيتزوجها بعد طول مسيره معها،وما كانت مجرد حيلة لينتزع شرفها ،وقد صدقة كذبته و أصبحت ضحية من بين ضحاياه فتولد البؤس تانية و بكم متزايد ،فتركها بعدما إستغلها وراح يبحت عن أخرى ،وفي هده أتناء عادت الى منزلها مرتعبة من أنظار الناس وخوفاً من والديها ،فرتكنت في زاوية من غرفتها وأخدت تبكي دون أن تتوقف دموعها،ففي لحظة أمسكت سكيناً حاداً وقطعت شراييها ،إنها محاولة إنتحار ، وفي لحظة دخل أبواها بعدما نادو عليها كتيراً للغداء ،فوجودها غارقة في بحر دماءها ،فصرخت الأم وصدم الأب ،فحملها في سيارته الجيب صوب أقرب مستشفى ،فللحظة خرجت طبيبة وقالت : آجركم الله !وحنت رأسها من وطأت الخبر !

فتسارعت النبضات والذموع في أوج إنهمارها،حتى أن الأم فقدت وعيها إثر الخبر ،وعندما أخرجوها من غرفة العمليات وكلهم في شوق محزن لرؤيتها ،إنصدم الكل عندما كشفو وجهها ،إنها ليست إبنتهم ،إنها

لا تزال تقاوم الموت في غرفة العمليات المجاورة ،لقد أخطأت الطبيبة في تشخيص عائلة المريض المقصود.

لقد جمدت أحوالهم،فلم يعلمو ما قد ُيبْدُون تجاه أمر فأسرعو نحو غرفة العمليات التانية وهناك إطمأن قلبهما لرؤية ابنتهما على قيد الحياة،فخرج الطبيب وقال:

الحمد لله ،لقد نجت بأعجوبة !

بعد قليل دخل والديها اليها حزينين وقالت امها:لمادا فعلت دلك ؟،فكتمت السر الى أن أجبرتها على القول ،فحكت لها كل شيء ،وقال والدها :

كان عليك إخبارنا لنتكلف بالأمر !

وبعد مرور ايام خرجت الفتاة من المستشفى وعادت الى منزلها ومن دلك الوقت لم تفارق عتبة الباب ولا عتبة غرفتها.

ذائما حب الفضيلة ما يكون فيه طرف خاسر ،مَحْقُون بالبأس وإستغلال الطرف التاني ،إن إستحالة إستغلال ثمتل سيطرة الحب المقدس ،وهده إستحالة مستحيلة الحصول.

**

الحب الذَّفِينْ يَبقىَ مقدساً،بيْنَما البـاَدي للْعَيَـان يُصَـاَبُ بالتُّخْمةَ ،بل يصعب هظمه ويفسد قبل أن يتمخض في رحم القلب ،لدى التَّكتُم

عليه أفضَل من ان يباغته الحمقَى فيفسِدونه بطِباعهم المكْبُوثَةِ ،

لَمْ أَعُدْ قَـادِرًا عَلَى الحُبِّ ،ولاَ أَظُنُّ أَنَّهَا كَـانَتْ َلدَيَّ المقْدِرة عَلَيْهِ أَصْلًا.

**

الَقَمَرُ يَأَسر الحَـواَسِ ،والجَّوُّ يفوح بالنّسيمِ ،والْجَمَالُ يَرْقُصُ على أَلْحَانِ الربيع ،وسط نهرٍ من النجومِ يَسْقي وِدْيَانَ النفوس ليحلُو نَـغَمَ الحب ،فأنجبتِ الظُّلُماتُ نَجْمَةٍ تَعْلوُ فوْقَ النُجُومِ فتكْسِبُ القفَارَ طَعْماً بِوَهجِهَـا العَظيمِ وَضوْءهَـا السَّاحِرِ الكَثِيمْ ،فَلا هي تَعْلو لِيَقِلَّ خُفُوتُ إلْهَـامِ،ولاَ تقتَرِبَ لِتُمطِرنَـاَ بالينَابِيعِ الأحْلاَمِ ،فتَرَاهَا مُنتَصِبَة على أقصى وَهجٍ تَلتقِطُـهَ كُل أنْظَـارِ ،فيَا تُـرَىَ من أَيُّ سُلالة أنْجِبَتْ هكَدا نُجُـوم ؟

بعْدَمَا تَوَلىَّ الشُعوُرُ القيَادَة ،وعنْدمَـا غَفى العقل في سباته أَزلِي ،تحت شجرة الأماني ،بدأتِ الكوُميدِية المَأْساوية للحب ،تلك الثوانِ المرهقة التي تَجْعَلكَ تَـابِعًا لِمَنْ تُحِبْ،ولَـكِنَنِي تخليْتُ عن هدا الخُضُوعِ ،وإن إحتاج الأمر فإنني سَأَتَخَلىَّ عنْ الحُبّ لألا أُصِيبَ نَـفْسِي بِـدَلَعِ إتّبَاَعِ ،فأعوُدُ إلَيْهَا ثَاَئِـراً وَمُنْتَقِمًا.بَدَوْتُ أَحْمَقًا في صِغَري ،وَلَكِنَّني إزْدَدْتُ غَبَاءاً عِنْدَمَا وَقَعْتُ في الوَحَلِ ،عفواً فيِ الحُبْ،أصَرَّيْتُ على نَفْسِي البَقَاءُ أَعْزَلاً فقدْ أَتْعَبَتني كُلُّ تِلْكَ العَلاقاَتِ ،و المزُحَاتِ الغَبِيَّةِ ،ولكن تلاشى كل هدا عنْدَمَا رأيتُ دلَك الفخْ الأَحْمَقْ ،تلك العُلْبَةِ المثِيرَةُ التيِ تُوقِعُنَا في الحُبّ من أَوَّلِ نَـظْرَةٍ،لرُبَّمَا وَقُعَ الكتيرُونَ إزَاءَ تَصَادُفٌ فيِ النَّظَرِ ،ولَكِنِي وَقْعْتُ بِنَظْرَةٍ مِنَ الشِّفَاهِ ،تلكَ إبْتِسَامَةُ التِي سَجَنَتْني الى الأبدْ ،سُجِنْنَا معًا أنَا وعُزْلَتي ،في دلكَ البِـئْرِ العَذْبِ ،فَلَطَالَمَا بَدَى مَشْهَدُ إبْتِسَامِهَا أَرْعَنًا يُحِبُّ أنْ يُغيِضَنيِ ،كُلَّمَا رَغِبْتُ فيِ نِسْيَانِهَا ،فَيَمُرَّ فُوْقَ ذِهْنِي بِبُطْئٍ شَديدْ

فكُلُّ اللحَظَاتِ تَتَشاركُ في الثَّأْرِ منِي وربَّمَا تَجْعَلني مُهَرِّجًا يَتَرَصَّدُ نَفْسَه لألا يقَعَ مِنْ أَعْلىَ حَبلِه فَيَبْدُو بَـائِساً في نَظَرِ الجَمَاهِير.

لدَى لَا تَتَسَرَّعْ فيِ بَدْلِ تلْكَ الحَركَاتِ التِي لاَ لُـزوُمَ لَهـا فقَط لِتُشْعِرَ الجَوَّ بإسْتِياءِ بَل بالإثَـارَةِ الجَادَّةُ لِرُوحِكَ المَرِحَةِ.

جَمِيعُ أَخْطَاءنَـا تَتَـولَّـدُ عَنْ سُوءِ التَّقْـدِيرِ ،فَالحُبُّ الفَضِيلَةُ ،ينشأ عن نظرة متسرّعة لذَلكَ الـكَيَانِ الدِي يبَبْذُو"كَمَلاكٍ" بَيْنَ عَيْنَيْ مَعْشُوقِهِ،فكلما إبتعد المَلَاك زادَ إشتياق الـعاشِقِ لِحَد يَسْمَحُ لِلْعَاشِقِ بتَرْكِ كل شيء خلْفَهُ فَقَطْ لِيَنْعَمَ بِنَظْرةٍ مَسْرُوقَةٍ منْ أعيُنِ مَلاكِهِ ،وحِينمَا يَصِلُ العَاشِقْ للعَجْزِ أقْصَى يَبْدَأُ العِشْقُ بالإنْدِثَارِ حتَّى وإنْ إبْتَدَأَ بِالحُبِّ ،فكَثِيرٌ مَنْ أخدو يتَجَرَّعوُن مَصَائِبَ الحُبِّ لمجَرَّدِ أنهُم أخْطَأُو فِي تحْديد سُلالَته " اعجاب أو نظرة عابرة ..."

لَمَا كَانَ الحُبُّ مُقَدَّسًا ،وَ كَانَتِ النَوايَا عَـذْبَاءٌ ،صَافِيَةٌ لا تُلَوِّثُهَا أيَـادي الْطَمَاعَةُ أَوالمَاكِرةُ،كَانَ الحُبُّ هو النَّسِيمُ نُفْسُهُ الذِي يَتْلُو جُلَّ القِمَمِ ،لِتَجِدَ ذاَتَ يَومٍ كُلَّ قِصَّةِ حُبِّ مَصْفُوفَةٌ علىَ أَذَانِ القِمَمِ ،فَعِنْدَمَا تُنَادِي بِهَا ،يَبْدوُ لَكَ الوادي مُشْتاقًا لِيَحْكِيهَا لَكَ بِكُلِّ تَفْصِيلٍ ،فَيُسْمِعَكَ مَقْطُوعَتَهُ العَذْبَاءَ

بِصَدَى صَيْتِهِ،فَيَبْتَدِؤُهَا بِأَسْرىَ اللِّقَاءِ ،ويَنْتَهِي بِخَشْخَشَةٍ مُزْعِجَةِ لِتِلْكَ المَقْطُوعَةِ الصَدِئَةِ،لِيُنْدِرَ مُسْتُمِعِيهِ ،بِأَنَّهُ حَانَ الوَقْتُ لِيُنْكَبَّ السِّحْرُ خَارِجًا وَيَنْفَصِلَ عَنْ كِيَانِهِ الحَقِيقِي ،فكُلُّ تِلْكَ القِصَصِ التِي شَهِدَهَا إنْتَـهَتْ بِـالْخُذْلانِ ،وبِدَمَارِ أنْفُسِ الشَّابَةِ ،فأكْثَرُ ماَ يُزْعِجُهُ تَذْكِيرُهُ وَسَطَ عَزْفِهِ الفَضِيعِ ،بِهَذِهِ اللَّحْظَةُ القَاتِلَةِ فَيَ إسْتِعَادَةِ الأَوْجَاعِ، فَيَضِيعُ مَلْحُونُهُ بِذِكْرىَ بَلْ بِثَانِيَةٍ قَـاسِيَةٍ ،حُبُّ الفَضِيلَةُ كَانَ مَرْسُولاً فَضِيعاً ،يُكْتَبُ بخطِّ المَعْشُوقِ ويَنْتَهِي بِيَدِ العَّـاشِقِ،فَمَا لِي لأَشْتَاقَ لِكُلِّ مَرْسوُلٍ،فإنِّي إعْتَدْتُ علَى مُخَـاطَـبَةِ الأَرْوَاحِ بَدَلَ الكَلِمَاتِ.فَمَا لِـكُلِّ رُوحٍ أَنْ تُخَـاطِبُ روُحاً تمَاثِلهَـا أَوْ تُنَاقِضُهَا.

لَا تَزَالُ كُلُّ المَرَاسِيلِ عِنْدِي مدفُونَةٌ،كَإرْثٍ عَرِيـقٍ لَأجْـدَادِي ،فحـتَّى وإنْ كاَنَ كَاتِبُهَا خائِنًا فَلَنْ أَلْتَفِتَ لَهُ ،بقدْرِ ما أَجِدُ نَفْسِي تُصطَادُ رُوحَ الـكَلِمَاتِ داَخِلَ مَرْسوُلِهِ.

لَسْتُ مِمَنْ يَسْقُطُون بِسُهُولَةٍ فِي بِرْكَةِ الَوَحَل" الحُب" مَهْمَا كَانَتْ عَذِبَةً ،فَطَبْعًا كُلُّ البِرَكِ عُكِّرَتْ ،فَكَثْرَتُ أيَادِي تُسْقِطُ كُلُّ فَضِيلَةٍ .

***

ليس من يجيد التعبير يكون قلبه مخلصًا ،فإن تعثرَّ شَخْصُكِ فِي تَعْبِيرِهِ فإعدِرِيهِ،فَتِلْكَ مَعَالِمُ الحَبِّ الصَادِقِ ،الدِي يَكُونُ مِنَ أعْمَاقِ ،فَأَغْلَبُ أنْذَالْ يَجِيدُونَ تَلاعُبَ بالكَلِمَاتِ وَ التَعْبِيرَ عَنْهَا بِجُرْأَةٍ مُفْرِطَةٍ ،هَؤَلاءَ مَنْ يَجْدِبُونَ الإنَاثَ بِجُرْأَتِهِمْ المُزَيَّفَةِ، ونهايَتُهُ كَارِثَةٌ مَا بَعْدَ الحُبِّ المزْعُومْ مُغَطَّ بِروحِ الغَرِيزَةِ،فَفِي أَعْمَاقِ أَدْغَالِ وُلِدَ الذِئْبُ وكَذَلِكَ الغَزَالَةِ ،فَبَانَتْ مَعَالِمُ اللِّقَاءِ تَحْتَ مِرْآةِ الخِدَاعِ ،فتَصَادَمَا خِلْسَةً عِنْدَ أَوَّلِ مُنْعَطَفٍ ،فَصَاحَ الْذِئْبُ يَبْكِي مُعْتَذِرًا ،وَكَلاَمَهُ عَسَلٌ معَ بعْضِ الشُوكُولا ،فَإِطْمَأَنَّتْ لَهُ الغَزالَةُ ،وقالَتْ: أَنَا أَجْمَلُ مِنْ كُلِّ غِزْلاَنِ القَطِيعِ،فَعَدَمُ أكْلِهً لي دَلِيلٌ على تَأْثِيرِي السَّاحِرِ عَلَيْهِ،فأَخَذَتْ تُسَايِرَهُ إلى أنْ سَمِعَتْ صُراخًا لِمِعْدَتِهِ الجَائِعَةِ ،فَإِبْتَسَمَ فِي وَجْهِهَا ،وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ شَيْءِ ،وَفِي الخَوَالِي وَبَيْنَمَا هُوَدَائِعٌ فِي قَصِّ مُغَامَرَاتِه النَبِيلَةِ ،وَ مُحَاوَلَةِ إِظْهَارِ دَلِك الوَفَاء المَخْزُونِ بِدَاخِلِهِ ،لَمْ تَنْفَلِتْ مِنْهُ سِوَى الصِّفَاتِ القَبيحَةِ والمُبْتَذَلَةِ التِي لمْ يَذْكُرْهَا ،فِي نِهَايَةِ الشَّهْرِ ،الوَقْتُ المُخْتَارُ لِلْوَلِيمَةِ ،وَبَيْنَمَا غَزَالَةُ هَائِمَةٌ فِي نَبَالَتِهِ الْمُزَيَّفَةِ ،إِنْقَضَّ عَلَيْهاَ فَجْأَةً فَتَوَلَّدَتِ المَأْسَاةْ .

إيَاكِ أَنْ تَثِقِي في أحَدٍ،فَكُلُّ ذِئْبٍ عِنْدَمَا يَجُوعُ يَبْحَثُ عَنِ الوَلِيمَةِ،ولاَ أَظُنُّكِ تَرْغَبِينَ فِي أنْ تَكُونِي مَكَانَهَا.

إن العَسِيرَ فِي الحُبِّ لَيْسَ الثِّقَةُ وَحْدَهَا ،بَلِّ الجُنُونُ نَفْسُهُ (المَرَحْ)،فلَطَالَمَا إنْجَدَبَتِ النَعْجَةُ لِجُرْأَةِ الجَزَارِ ،حينَمَا رَأَتْهُ يَوْمًا يُجَهِّزُ الفِخَاخَ لِكَيْ يُوقِعَهَا ،كَفَاكُمْ سَذَجَةً فالْذُّكُورُ يَرْكُضُونَ وَرَاءَ إِشْبَاعِ غَرِيزَتِهِمْ ،فَلاَ يَهْتَمُّون لأَخْلاَقِكِ ولاَ رُوحِكِ المَرِحَةِ ،فَقَطْ يَوَجِّهُونَ نَظَرَاتِهِمْ القَبيحَةُ وَرَاء- جَسَدِكِ العَفِنْ..

أحَقًّا هذاَ حبٌّ أَمْ مُجَرَّدُ فَخٍ نَصَبَتْهُ لي الغَرِيزَةُ،لَرُبَّمـا إفْرَاطٌ فيِ النَّقْصِ إبتَدَأَ بِالذُّهُولِ وإنْتَهىَ بالحُبِّ،يـقُولُونَ أنَّنـا مُعَقَّدُونَ لَمْ نُحِبَّ يَوْمـًا !

الخَـطـأُ واَرِدْ،والحُبُّ أَيْضًا ،كُنْتُ فيِ صِغَرِي أَبْلَهً ،لاَ أجِيدُ سِوَى قَمْعِ آخَرِينْ ،حَتَّى مَنْ أحَبُّونـي ،لمْ يَسْلَمُو مِنْهُ،وَمَعَ كُلِّ إضْطِرَابْ زَادَتْ حَاجَتِي لِمَنْ يَنْتَشِينِي مِنْ كُلِّ تِلْكَ الكَوابِيسِ،وَفَجْأَةً ظَهَرَتِ الغَيْمَةُ فَوْقَ رأْسِي تُنْذِرُ بِعَظَمَتِهَا ،وهُنَـا بَدأَتِ القِصَّةِ.كُنَّا زَمِيلَينِ فيِ الدِرَاسَةِ ،وَلَمْ تُثِرْ إنْتِبَاهِي تِلْكَ اللحْظَةِ ،وَلَكِنْ مَعَ مُرُورِ الوَقْتِ ،إلْتَقَيْنَا فِي العَالمْ ،وَرَأَيْتُهَا تَسْحَبُنِي إلَيْهَا بِمَهَلٍ ،حَتِى كِدْتُ أَنْ أَبُوحَ بِحُبِّي لَهـا لَوْلاَ طَابَعِي الصَامِتْ ،رُوحُهَا المَرِحَةِ وإبْتِسَامَتُهَا الخَلاَبَةِ ،االتي تَسْتَفِزَّنِي كُلَّمَا رَأَتْ أحَدًا تَبَسَّمـتْ فِي وجْهِهِ ،فأَكَادُ أُحْرِقُ تِلْكَ اللَّحْظَةِ ،بِتَوَانِيهَا ،إنِّي أَخَافُ أنْ يَسْرِقَكِ أحَدٌ مِنِّي بِفَضْلِ إبْتِسَامَتِكِ تِلْكَ.

عَجِيبُ هُو الحُبُّ ،كَمْ يَبْدُو خَيَالِيًا ،لاَيُقَاوَمْ ،وفِي لحْظَةٍ يَنْكَبُّ معَ كُلِّ تِلْكَ الخَيْبـاتِ المُزْعِجَةِ .خَارِجُ كلُّ داتْ ليَرْتَسِمَ الحُزْنُ و الكَآبَةُ عـلى صَفِيحَتِهِا الجِلْدِيَّة.

الحيـاة رجفةُ

***

هل بانت في أعماقكم أصواتا لم تعلمون من أين ولدت لتصرخ فيكم بقولها : أنجدوني ،تم تعود لتنام لباقي اليوم ،إن أمر أشبه بكابوس وضحاياه كتر ،مجرد مماياء تسكننا ،فنسمع صراخها عندما تستيقظ تم تعود لنوم !

إن فاقذها ينام بهناء دون حاجة ليفكر فيما قد يصيبه ،فهل نقصد الضمير أو شيئا غير الضمير؟

عندما فقذت السيطرة على نفسي ،عندما كنت أطير مع النوارس على شاطئ ،كنا لا نجيد إلتقاط أسماك فقط نحاول أن نبدو من بين ملتقطيها ،لنظل بالجوع ليومين وربما تلاتة ننتظر من أحدهم أن يصطاد شيئاً لنأكل بقايا عفنها وخلاصتها ،وعندها نفرح لمجرد أننا وجدنا القليل من

العفن يرسو فوق الجثة .كم هو مفرح أن تعيش بالحب وتموت به.إن أسوء لم يأتي بعد ،فعلى ماذا يحزن إنسان ؟

فلو أجبرنا خواطرنا على التسمع بمهل لصوت الرياح لما صفونا في تلك الجثة التي نراها تمشي دون روح ،لن يحلو لنا الجلوس بل سنظل واقفين ننتظر دورنا في إبادة ،صوت عميق إنه ليس صوت أشباح ،ولا حتى طرب النسيم أنه صراخ مميت ،لطالما سمعه من إنقضى أجله ،لربما ستشهدون ولادة المجنون فيا ولكنني إنتزعت الكتير لمجرد البوح بهدا السر ،ستسمعون صراخا يعلو وعندما تلتفتون لا تجدون أحداً ،من يكون هدا الشجاع ؛الدي بدى له صراخ سهلا ففعل ! نحْن الدين نخجل حتى في مناداة آحد ما ،نَمْ وحاول تصْفِيةَ دهنك لترى أن كل جزء منك يحاول تعبير عن نفسه ،بل يصرخ ليقول لك أنه موجود لأجلك !

أنجدوني ،فقط أنجدوني من هده العزلة ،أخرجوني من بين فكيها فقد أحسست أنها تشق روحي فتعود لتقطعها بأنيابها إنه ألم عجيب ،قساوة أسنان والمخالب معا تجتمع لتنالك بكل راحة ،إني أطالبكم بألا تنجدو أحداً ،مهلا آسف أعلم أنكم لن تفعلو ،مادامت إنسانية مظاهر وأجلها قدإنقضى ،أنجدوني من أولائك اللدين تفوح منهم روائح مزكية فلا تجيد أنوف التفرقة بين الخبيث والنذل.

لما العزلة ؟ وهل العزلة شفاء ؟

لربما سترون أنني أحسن السباحة في أي بحر ما عدا بحر الحب ! فلست سباحا ماهراً ولكنني أقاوم لألا أغرق كضحاياه،من السهل أن تحاكي الجميع ومن الصعب أن تعتزل الكل ،من الجيد مخالطة أراء ومن القباحة أخد بأحدها،سهل علينا أن نخالط كومة من الخراف في عبثها ومدحها و تجميلها بأقبح الصفات ولكننا إكتفينا بالوكور بدل الحانات والمقاهي ،فعندما سيرحل النهار ستعيدك نفسك اليها بنفس

الجهد الدي بدلته لتخلص منها بإعطاء أحدهم الفرصة ،ستجد نفسك وحيدا وهنا لن ترحمك نفسك ،ستشعر بفضاعة الوحدة و العزلة لتقول في نفسك" المعتزلة عظماء ،كيف يحتملون كل هدا الألم"

العزلة هي الوكر الدي يولد فيه العظماء،فحتى من مروعلينا صاحبووحدتهم نحوالجبل دون أن يعودو فارغي الوفاض ،حاملين علاء أعالي وسحر القمم ،إن العظماء من لم يولدو من القطيع ،او تلك الضمائر المشبوهة لخرافنا أعزاء بل ولدت العظمة في قلب العزلة والوحدة ...

لقد كان البدء موحشاً،تلك النزاعات مع النفس في إستئصال كل ما هو إجتماعي ،مرهقاً لدرجة أننا لن نقدر على العودة من نفس الطريق الدي سلكناه ، فحياتنا لم ترزق بالإثارة ولا حتى دلك الروتين الممل ،دوما يكون لنا الجديد حتى القديم يصبح كذلك .

فانجدو من تطبع فيهم الرثاء،فالفراق أوجع آلام ،هدا الألم الدي يصاحب النذم ولا يعود عل صاحبه سوى بالحزن ،فألم العزلة كألم الفراق ولكن ما بعده عظمة ورقاء ،فلا تحزنو على أوجاع تنقضي فترتها فما بعدها راحة ورخاء ..

عندما لم يبقى أحد،وفور تخلصنا من تلك السمنة المفرطة التي ثتقل أجنحتنا ،لم نحاول الطيران كباقي الطيور ولكننا أسرعنا في البحث عن أحضان لنبني عشنا ،وما كان لأي حضن الجهذ الأصيل ليحتوينا ،فإتجهنا صوب الظلمات ،في زوايا كل بيت مهجور ،فلا هو يرفضنا ولا نحن نتخلى عنه ،ففي كل إحساس يولد ،ينتهي فور ولادته لا أعلم هل هناك قط يمسك بفأره العزيز عند خروجه ،أم دئب يفترس نعجاته ،الأمر مربك ولكن ولادة الشعور ،غدت كولادة الخطيئة ،فمن السيئ أن تعطف على خائن او نذل بغيض..

لم نولد هكدا ،ولسنا من نذعي التكبر أو التعقيد ،فنحن من نريد أن نكون أسوء في أعين الاخرين لألا يفكرو في مخالطتنا وإفساد طباعنا وفضائلنا ،فجميع من رأونا هكدا إما أنهم إستهزأو بنا وقالو مجرد معقدين ،قد تطفح فيهم ثغرات تجاربهم السيئة ،وآخرون يميلون رؤسهم بقولهم أننا مجرد مساكين ضرفاء لحد أن الصمت لم يترك شيئا في أعماقنا لم يسكنه، إن أسوء أن تحاول تبرير أحد بشيء أنت ينقصك ،فنحن لطالما أجبرنا أنفسنا على إبتعاد عن هده أنواع من البشر ،لأنهم يفسدون أي طعام بشراهتهم القبيحة ،فنحن بسطاء وتفكيرنا هو المعتزل أما أجسادنا فمثل كل أجساد تتوق للعناق و لأحضان دافئة ،وربما لراحة أبدية.

الحياة رجفة ،فإثمالنا بها لن يكون أسوء من النبيذ نفسه ،لذى إكتفيت برجفة عن حياتنا ،فهي تكفي لترو أننا لسنا كما ترانا عقولكم وربما يحدثونكم عنا !

إن طباعنا أصعب من اي شيء ،فإذا قررنا الذهاب فلن نذهب أبداً،واذا رغبنا في إنتزاع تلك القيمة التي ننسبها للبشر ،فبسهولة نفعل دلك،نحن نقدر الفضيلة و نحترم آراء الكل ،ولا نخفي عنكم أننا نشمئز من بعض التصرفات التي نراها تمتل إنحطاط إنسانية ،كتعري بدواعي التحرر و إنسياق كلب وراء أنثاه العزيزة ....الخ ،المزيد في هدا يخبرنا أننا على المسار الصحيح ،لأنه كلما ازددنا حفاظا على فضائلنا تطفح العالم بأسوء الصفات وأبغضها ،فحتى لو أننا لم نقرب جبلاً نعتليه بفضائلنا ،فالعزلة هي الجبل الشاهق الدي يعجز أياً كان عن تسلقه ...

فأسوء شعور يمر به الأعزل ،هو الفراغ العميق في ذاته ،لن تحتاج لأفسر لك مادمت أعزل فإنك ستجربه ،لأنه أسوء شعور قد يعتلي ظهر المعتزلة فيستشعر أن أحداً يركب ظهره وعندما يلتفت لا يرى أحدا

،أتعلم أن هذا الشعور أسوء من كل المشاعر ،هو السلاح الفتاك الدي تخفيه الذات في أعماقها فلا تخرجه سوى لمعارك التي تستحق منها جهداً جباراً.إنه كبرميل فارغ لا يحتويه شيء سوى الهواء ،كصحراء مقفرة تتقافز فيها كتل الرمال الذهبية ،لم يولد قط من يشعر بهدا الشعور حتى وإن وُجِدَ،فلن يكون بنفس الحماسة،فمن السيئ أن تدخل العزلة بتخمتك ،فلابد أن تهظم كل شيء كي لا تصاب بعسر الهظم .

الجميل في كل هدا أنها لن تكافئك بل ستستشعر مكافأتها بعد طول إنتظار،لتجد نفسك شخصاً آخر ،إنسان ولد بعظمته ،

بإرادته الحرة ،القوية التي تفوح بعبق الرفض ،"فلسفة الرفض"،فلن تحتاج بعدها لتقبل رأيا يكون حكراً عليك ،ستكون حراً بمنتهى البساطة في تقبله او رفضه لأنك أصبحت تقدر ذاتك بدل الذوات الأخرى، فلا هدا وحده يفكي ،بل ستعلو فضيلتك ليكون رأيك هو إعتزال خوفاً من افسادها ،فالهروب للحفاظ على الفضيلة لا يعتبر جُبْناً ،بل هو الفضيلة ذاتها.

سيغدو بإمكانك التخلي عن أي أحد حتى وأن أحسست تجاهه بالشوق ،فلن تخضع لتلك المذلة باسم العلاقات ،ولن ترضى نفسك بها.

فكل معتزل وطبعه الخاص ،وهدا ما يميزنا ؛ فمنذ رؤيتي هدا العالم لم أكن فيه متلاعباً بل ساذجاً ،لوقت بدوت فيه مجرد أحمق ،ففي تلك الأوقات وعيت بنفسي في منحدر من الوجود ،فما كانت قدماي ترغبان في التزحلق ،فإستعدت نفسي حينها وإنفلتت من قبضت المنحدرات ،حتى أنني تزحلقت قليلا وفشلت في البقاء واقفا،فالحب و الصداقة والعلاقات لم أترك فيها واحدة لم أجربها ،حتى وإن قلت لم أفعل سأكون كاذباً،فقد بدت لي كلها ضربا من التنمق و الكذب الزائف ،يأتي شاب ليبتسم لإحداهن فتغرم به و يتبادلان الحب تم يستغلها فتصبح عاهرة

،والعكس ،يغدو الشاب كاذبا محترفاً فيصطاد أخْرَيات في سبيل الثأْر من التي خدعته ..

كنت أحسن إنتقاء الطرقات،تلك التي أجدها فارغة من وشوشة البشر ،كإنتقائي لوجباتي الخفيفة ،فلا أجد من يضيق علي نفسيتي ولا لأبين له نبالتي و عظمتي ،فوجود أصدقاء رهين بإبانت الوفاء و تلك الصفات النبيلة التي تفتقر لها الذات ،وهدا ما لا نريده فنحن لا نهتم برأي أحد ،حتى أقوالهم نجدها عبثية مثل وجودهم !

لقد اخطأو في وصفنا ،فنحن بسطاء للغاية ومنطقيون،فالواقع لم يترك فينا مكانا لنتخيل مكان هبوط السعادة ،لقد وصفونا بالأندال لمجرد أننا قلنا الحقيقة في لحظة تطلب منا الصمت ،نحن نتقن فن إنهاء الحفلات فأعياد الميلاد وأعياد آخرى وحتى تلك الهدايا البشعة التي تقدم لأحد ،لا نهتم لها إنها مزحة غبية لإنقراض الشك في داخلنا تجاه آخرين .

إننا نمنح الوجود نفساً جديداً ،لأنه ما عاد لديه واحد،إنه يختنق وقد يموت في أية لحظة ،فلهدا يجب أن نتكلف بالدفين لنوقضه تانية بنفس الحماسة والرغبة في البقاء حياً ،الدي فقذها مع هده أذواق السافلة التي أوجدها !.

لا أعلم هل ما نفعله هو الصواب،فنحن نحسن الهروب من اي علاقة ،نحسن البقاء خارج أسوارها ،فلا نلتجئ اليها أبدا مهما كان الأمر مؤلماً ،فلا أحدا يحب مطاردة من يحسنون الهرب ،ولهدا لا أحد يبقى ليكمل ،فالكل يصل للنصف ويعود من حيت أتى.

إن أسوء ماقد يحصل هو البقاء مماطلا في علاقة تكون سببا في إكتئابك ،فحثما لا أحد سيراك منهاراً لأن الكل يرى الأجساد ولا يرى أعماق،والواحد يريد أن يراه الكل ،والكل لا يرى الواحد.

الحياة رجفة ،والمثمول فيها لم يسعفه الوقت ليبقى ثملا فقد تنال تلك الرجفة وبعدها تدفع الثمن "العدم".

***

لا تَكُن ِمِثْلَ السُّكَارَى الَّلَّـدِينَ يَقْذِفُون مَالهُم عِنْدَمَا يثْمَلوُن ولكِن كُنْ من يَـفِرُّ مِن الحَانَة أولاً وفي يَدِهِ زُجَـاجةِ كُـحُوله المَمْلُوءةِ.

كِدْنَـا أَن نَكُـون أَشْخَاصاً غيرَ أَنْفُسِنَا ،لَوعِشْنَا في مَكَـانٍ غيْرَ هَذَا،

لَربَّمَا إجتِمَـاعيين مُحَمَّلِينَ بإنسَانيَة ،وَرُبَّمَا إنْعِزَاليين أَشَدُّ حدَّة من هدا ،المُهِم أن البِيئةِ التي يُولَد فيها الأتبَـاعِ مهْما غَلُبَ عَدَدُهُم قَدْ تُنجِبُ أَيْضاً الثَّـائِرينَ، من يُرِيدُون الخَلاصُ فِي هَدا الَعَالَـم ،فَالعَـظِيم والـنذْلُ يوُلَـدانِ مِنْ نفْسِ الرَّحِمِ ،وكُـلٌّ مِنْهُمَا يرْغَبُ في شَيءٍ ،غَيْرَ أنْ الْعَظِيم لاَ يَهُمُّه فِي هَدا العَـالَم سِـوَى أنْ يُغَيِّرَ مَا يَـرَاه بَـائِساً وفَضِيعاً ،ولاَأقصِدُ العُظَمَاءُ المُزَيَّفِينَ ،فالَتَّـاريخُ يَكْتُبُ بِقَلَمٍ أَعْمَى ،فلا يهم إنْ كَانَ العظيم عظيماً أم مجرد كاذِبٍ أَخْرَقْ إسْتَطَاعَ بِحِيَلِهِ حَفْرَ إسْمِهِ عَلىَ جُدْرَانَ الكُهوُفِ ظَنًا منْهُمْ أنَّهُ إلاَهُ .

إنني لأبْدوُ لنَفْسِي كَمَنْ،وُلِدَ حدِيثًا في هَدَا الـعَالَمِ ،فَلمْ يَجِد الفُرْصَةُ لِيتَنَفَّسَ ،عِنْدَماَ أخَـذَ النَّفَسَ الأَوَّلَ إخْتَنَقَ وَماَتْ،لمْ يُـوالِمْهُ هَواَءُ هدَا العَالَمْ المَسْموم،و بَقِيَ مَسْجُونًا داَخِلَ كَفَنِهِ الىَ أنْ غَارَتْ عَلَيْهْ السِهَامُ تُقَطِّعَهُ مِنْ كُلِّ جَانِبْ،فَلا هُو يَحِقُّ لَهُ تَجنُّبِ السِّهَامِ وَلاَ تَـأْجِيلَ الْعِقَـابْ.فَأَقْصَى عِقَابٍ تُنْزِلُهُ عَلى الذاَتْ هِي أَنْ تَـراَهاَ في كُلِّ حِينٍ مُجَرَّدُ كِيَانٍ ،جُـثَّةٌ مُنْكَبَّةٌ وَسَطِ أَحَدِ الوِدْيَانِ ،يَغْزُوهـاَ النَّـدمُ وإحْبَـاطُ فَيُفْشِل تَسَلُّقَـهاَ ،أوْ أَنْ تُبْصِرَهَا كجَسَدٍ ينْمُو ليَشْقَى الى أنْ يَنْتَهِي مَيِّتًا فِي أحَدِ أغْواَرِ هذاَ العالم.

أُرِيدُ أَنْ تنْقَبِـضَ روُحِي لِأهْلك ،فَلَسْتُ راضِيًا علَى العيْشِ فيِ َهَذا العَصْرِ ،ولِاَذَة الَمنْحَطِّـين أربمَا كَـان عِقاَبِـي أَنْ أَشْهَدَ دَمَارَ إنْسَانِيَّةِ ُدونَ أَنْ أُحَرِّكَ إِصْبَعاً ،هذَا مَا يُزْعِجُنِي ويجْعَلُنِي دائِمَ الَتَّفْكيرَ فيِ مَصِير هذَا العالَمْ ،وهَدَا أَسْوَءُ مَا يَعْتَلِي أَمْثَالِي دَوَامُ التَفْكِيرْ فِي أَقْبَحِ إحْتِمَـالاتِ.

***

لِيَكُنْ مَقَـامُكَ أَعْلَى مِنَ التَفْكِيرِ فِي كَسْبِ النُّقُوذِ ،العَيْشُ لا َيَتَطَلَّبُ كَتيرًا منَ المالْ وكُلِّ دَلِكَ الغَبَاءِ،بَلْ يَتَطَلَّبُ قـلِيلَ مِنْهُ والقَلِيلُ مِنَ الذَكَـاءِ.

الثــابـُوت *

***

"

الفصْل الأخِير بِرُفْقَة الجَحِيمْ ،الهَواء مُنْقَطِعٌ و النَّفَسُ يُحَاولُ إنتِزاعَ نفْسهِ من بين أعضَاءِ ،كثُعبَان يَنْفَلِتُ من بيْن غشَاءه فيتركه دون حاجة ليبقى فيه ،الأمر بالغ التعقيد ،فلا يهم مادامت الصورة قد إلتقطها الواقع وتولدت عن رحمه وتمخضت في أعماقه.

آخرتنا تابوث ،لوحدنا بين ظلمات التي تغتشي في عمق أرض تماما في التغرة التي نبشها الحفار لأجلي ولأجلكم

فلا أظنه يحب حفر الثغرات في قلب أرض ولكنه مرغم على دلك ،فلا أحد سيكون معك في تلك اللحظة وستظطر لتمارس العزلة رغم أنفك ،حتى وإن تعطل عقلك وجسدك عن العمل فإن الروح هي من تعتزل وليس الجسد .

كتيرا ما أرى نفسي في جنازة أمشي معهم ،محمول فوق أكتافهم والكل متواطئ في هده الخدعة فلمادا لا يدهب فقط من يحسن الردم ولا حاجة للباقي ،فهل يريدون إظهار أنهم يفتقدون الميت عندما يبدأون النواح فوق رأسه ،لا أعلم ،المهم أننا لا نبالي بأي طقس مهما كان مشجعاً ،فحتى اهتمامنا لم يولد ما يصب فيه بكل غزارة ،فلا أريد أن أبلغ شؤمي وتعاستي لأن جميع من أراهم طلبو مني الكف عن مراودتهم بهده التعاسة التي لا تطاق ،فالعالم لا يحتاج لهكدا نظرات واقعية بقدر ما يألف الكذب و الوهم " السعادة هجينة" ..أنا فقط أريكم أن العزلة تخترق كل أوقات ،فللحظة كنت فيها اجتماعي ستحتاج لتوان من العزلة لتستعيد روحك الخفيفة ،وعندما ستصاب بسهم من الكآبة المميت و اليأس القاتل ستحتاج لتوان من العزلة لتسعيد نفسك ذون ثغرات ؛ بروح جديدة ونفس جديد.

في أول مهزلة ولدت مني ،لم أحتاج لأبرر عزلتي أو أنالها بكل إخلاص ،لأنني وضعتها جانباً وقصدت الجانب الآخر من شخصيتي لأري العالم كم يكون اليأس قويا وعظيما في بعض الأوقات ،كنت أفكر بمضاجعته كلما سمحت لي الفرصة ،فلا أنا أجيد مغازلة إناث بقدر مغازلتي لكتبي ،إنها أجزاء من الروح تحاول بناء روحها خارج الجسد نفسه.سيكون علي التجرؤ على كل كلمة أبصرتها في نفسي حتى وإن كانت لا تليق بهدا العصر ،إن الرؤية المنحطة التي إغتشت في هدا العالم بتفضيل الصور المتفائلة و الجميلة والخيرة دون الصور المتشائمة والبائسة لهو ضرب من الضعف المرصع بالنذالة ،فلست ممن يبغضون من يزاولهم اليأس ،لأني أعلم أن هدا العالم لا يترك في أي روح مكَانا لمْ يُصَوَّبْ عليه ،فلحسن الحظ الأرواح مختبئة تحت تلك اللحوم المقززة ،فلو إفترضنا زوالها لكان علينا تغطيت أعيننا كي لا نرى كل تلك الثغرات ،فلا نستمر في العيش بعدها !

لا أريد زراعة بدرة عفنة في أعماقك ،لألا تزعج بقايا الكائنات الأخرى ،فقط أريدك أن تدرك أنه من الجيد البقاء تحت أجنحة "خضوع" ،بدل الركوب فوقها ،فأنا حاولت الركوب مراراً ومع أنني وصلت للقمة ،لم أألف الجو هناك ،لأنه بكل بساطة لم تكن هناك قمة ،فإنسان يعجز عن تحطيم كآبته و بأسه مهما حفرت إبتسامة على خدوده ،سيظل يستمتع بألم الى وقت ينفجر فيها باكيا ،فلا مناديل نجدها توقف الفيضان ولا الفيضان نفسه يقدر على دلك.

أتعلم أنه من السوء الإحتضار ،كم سيكون منظرنا بشعاً عندما سيحاول العدم توفير فرصته لينعم بالقليل من التراجيديا أتناء موتنا ،لتنهال العواطف المحزنة وبقايا تلك الجلود النفيسة" أخلاق" ،فأمر يحتاج لتانية فقط لنتحول الى حياة اخرى ،العدم هو النافذة التي نقذف منها الى الخارج وربما الى الذاخل .

الثابوت ،هو آخر ما يتحمل ثقلنا ،ورائحتنا ، و منظرنا البشع ،إنه غرفة إيجار مجانية ليوم واحد ،أفضينا اليه ،فكم سيكون أمر مذهلا عندما تكون العزلة متلبسة إياك قبل الموت وعندما تموت تألف العزلة لتجد نفسك ،متواطئا مع الحفار في إختيار الثغرة المناسبة لطمرك ،فتكون بعيدا عن كل الموتى ،ليمر أحدهم تم يقول"

أهذا قَبْرُ أحدِهمْ؟ لمادا لَمْ يُجَـاوِر أحَدا،إما أنه مات أعْزَلاً وإما أَنه أَلِفَ العُزلَةِ منذْ أَزَلِ ؟

إياك وتعكير صفوتك لهكدا واقعة ،إني لا أسيء لأحد حتى الموتى أخدو فرصتهم في الحياة ،ولست أرضى على نفسي أن أتكلم وراء أحدهم بالعاطل ،فقط لأبدو مرنا في أخلاقي ونبالتي .المهم أن العزلة ليست سيئة ،فقط هناك من يسيء لها بكلام وراء ظهرها ! ولا أخفي عنكم أنه من سلالة تلك التي لم تقدر على مضاجعتها مثلي.

لطالما رغبت في إبطال تلك الحماسة التي تصاحب البدأ ،لأعود الى دلك الروتين الممل تلك المسودة الغريبة التي انقشعت غرابتها ،صندوق فارغ تم فتحه بنجاح فما تبقى سواه ،.

كم سيكون أمر مريحا عندما سنتخلص من البهجة القاتلة التي تفقدنا ألاف آمال لمجرد أننا وثقنا في لحظة من فرح المريع.

الثابوت لا يعرف أحداً ،نفس الثابوت يحمل النبيل و الوغد.الذكي و الغبي.،سينهض من أعماق الأرض أحد ليقول : ما علاقة العزلة بالثابوت ؟

الثابوت كالزنزانة ،ليست تلك الجماعية بل انفرادية نفسها ،فلا أحتاج لأوصيكم على ما قد يمر به المسجون أثناء إقامته فيها ،ولطالما فكرت في أن المعتزلة لم يدخل للسجن قط لمادا لم يفعل؟

الأمر ليس خوفا او انصياع والخضوع للمجتمع ،ولكن المعتزلة ،بطبعه الحر الواقعي ينحدر من جبل يعلم مسقطه وبنيته ،فلا حاجة ليلتفت ليرى هل القمة تغيرت أم لا ،

العيش أعزلا ،يجنبك الخضوع لأراء البقر ومخالطة وعي الخرفان و راء كم من إديولوجيات السافلة ،فالذهاب لغابة مع ما ستحتاجه من أكل وشرب وتياب والعيش فيها لشهر تقريباً سترى أنك لن تجد من يغضبك ،ومن تتعارك معه لتنعم بالتأمل ،فتوقف عضلاتك وتعمل روحك ،وفكرك .

ستولد من جديد بروح تأملية تتفوق في وجودها عن باقي البشر ،سترهقك العزلة ليومين تم ستحادث الأشجار والأرانب و السناجب حتى الخنافس لن تمر عليك دون إلقاء السلام ،ستنام تحت النجوم بينما القمر يبسط جناحيه فوق جسدك الهزيل ،النجوم ترقص بأشعتها و

السماء حفلة أنت الوحيد المدعو فيها ..ستتناغم ألحانك مع ألحان الطبيعة لتولد مقطوعة موسيقية من الطرب الأصيل ،لتعزف على ناي الحياة مقطوعة إزاريس ،تلك الترانيم من الذهب الروحي الدي يمتزج فيه تأمل الروح مع الطبيعة ،لتقفز العصافير مغردة تملأ الجو مرحاً ويقفز الثعب تائراً يرقص من فرط جوعه تم لا يبقى في الغابة من لا يجيد الرقص غير الحجارة بل هي أيضا تجيد التنفس أتناء الرقص بجهد مظاعف .

لن تحتاج الى الأخلاق والقيم وعادات ،ستكون جيداً بدونها فلن تلزمك قط ،ستعيش بدون بوصلة تقود سفينتك ،لتضيع في آتى الزمان ،فلا ساعة تقلقك ولا حتى عقاربها المزعجة .ستفكر للحظات في تلك الذكريات المتجمد في عقلك، الجميل منها والسيء ،السيء سيعاد تجميله طبعاً،ستجلس فوق غصن ليكون هو حاملك وصديقك ،ليفوح النذم في أعماقك والكآبة تزين الجو ،رغبة في إبطال اانعزالك ،ستجلس فوق اكبر هظبة لترى المدينة تصحو على ضجيج السيارات وأنت الدي صحوت على زقزقة العصافير وطربها الرنان ،سترى أن الطبيعة تنشر عبقها ،ومساحيقها في الأرض فتلون روحتنا الوجودية بنفس القدر من تلك الدخاخين التي تنبعت من اعماق المدينة ، في الليل سينجلي النهار لتولد الظلمة ،فتجد المدينة مضيئة ،مبجحة بالأضواء ،كومة من السراسير التي تضيء ليلا، بينما الغابة سكون و هدوء و الصراصير تغني أغنية السلام بصوتها القبيح ،ممزوج مع كحلة الأشجار وغبن الجو نفسه.

نهاية النهاية ،ستبقى لوحدك ،حتى الثابوت سيتذكرونه أفضل منك ،عندما سيموت أحد ما.ستكون بحاجة لشيء ليتم تذكرك فيه بخطيئة وربما شيء نبيل للغاية .المهم أن كل من دخل الثابوت سينعم بالعزلة رغم أنفه ،هنا تكاد تصبح قاهرة ،الأمر لا يحتمل عندما تدفن وأنت حي ،تصرخ وتعلو جهودك ليسمع طنينك ولكن أمر معدوم ،إني أفكر في

حالتنا لمجرد أننا ألفنا حال العزلة بعيدا عن الدخاخين والضجيج المنبعث من أعماق الهدوء ،فلربما لن نطلب النجدة ونحن نعاني في دلك القبر، لكوننا لم نكن لنرضى بها،هل سيروقنا جو القبور بعدما إستأصلنا بواعث الضعف وإذلال ،لربما سنكون أكتر إنعزالا في تلك الحفر الضيقة..

لطالما أنجبت لنا العزلة ما يفوق العظمة في أجواءها فعند قدوم الحساب لن نرضى بغير أنفسنا للعقاب والجواب معاً،فهل ينوب أحد عن الاجتماعيين ليجيب عن المجيب ويقاسي عنه الأليم ،الهدية التي لم تكن لتكون سوى في حضن المعتزلة ،وأي هدية تليق بهذا العنيد؟ إن الذات المعتزلة في لحظة إعتزالها ومخاطرتها في البقاء في هامش الطريق ،يكون الجنين في شهره الرابع لم يستعد بعد ليخرج الى هدا العالم ،وعندما تنضج سريرته و تصبح العزلة فرق في إهتمام ،بل إنتماء للإهتمام ،ليولد أنذاك من الجبابرة من يفوق صراخ القمم عند مرور النسيم ،ليحين موعد إعادة بناء إرادة ،وتنتهي بجَبَرُوتها لتوصف بإرادة الحرة .

سيكون التألق غايتها والذات فوق العالم ،ليفوح صيت الذات في نفسها فتنعم بعظمة وجودها ،هنا يغدو الخروف على رأس القطيع هو الراعي ،الدي يوجه خرافه بناءا على إرادته هو،فالرفض الخضوع لأراء القطيع هو تجلٍ لإرادة الحرة ،التي تنبع من صفاء الروح وليس من توجهات البشر .

لربما ستشعرون بالقليل من إنزعاج عندما أحدثكم عن الموت ،فالجميع يحب أن يستمر في الحياة الى الآبد ،فالثابوت بالنسبة لكم أيها اجتماعيون بمثابة زنزانة وقحة تصطادكم في النهاية وما. الحياة في رأي سوى إنتقال من زنزانة الى أخرى ،أنتم ترون الثابوت زنزانة

ونحن لطالما كنا نعيش فيه ،إنه بالنسبة لنا هو الحياة ،إن الحياة ثابوت مريع أَلْفْنـاَ العيْش بين أخْشَـابـِه .

كنت أعيش في ركن بيتنا ،وكلما أخرجت رأسي من النافذة لأتهاوا الى أسفل في سقطت متخيلة من رهاب السقوط لأجد نفسي منتصباً امام نافذة غرفتي ،فأقلب رأسي الى سطح المنزل لربما يشبه الى حد قريب ثابوتنا العزيز ،ولكن الثابوت مستطيل الشكل ومنزلنا خليط من أشكال .فللحظة إنبثق خوفي الى الخارج مع تلك الفكرة انني أعيش في ثابوت مدى الحياة ،تولد منها أشقاء الثابوت ما يصاحبه في حفلته النهائية في هدا العالم ،لأرى في الخارج رجلا متشرداً ينظر الى نافذتي ،ولربما ينظر إليَّ ،كانت حجرتي في الطابق التاني وما بعده مجرد فناء ،فأستغرب نظرته المستمرة لي مع أنني في العلو مرتفع عن مقامه ،فلا أخفي أنني اصبت بالدعر لمنظره المخيف مع ما يحمله من تياب رثة وشعر كثيف طويل وملتوي ،مع خفين باليين ،يمسك في يده عصى طويلة ومعوجة ،فحتى ملامحه بدت مخالطة للونه الغباري فلا أظنه وسخ الحياة ،ففي لحظة سقطت منه عصاه ،وقلت في نفسي ،لربما سينحني ليحملها إليه ولكنه لم يزعز أنفه قط بل بقي صامداً نظره في نافذتي ،وعندما إلتفتت الى غرفتي لأتأكد من صدق ما رأيت وجدته واقفاً مع عصاه ،وعصاه بعيدة عنه ،فلا يعقل ان تكون تلك العصى مجرد عصى ،لأنها تبدو واقفة لوحدها دون حاجة لصاحب يمسكها ،تم أخرج المتشرد شيئا من جيبه الممزق ،إنه ورق مطوية بإحكام ،وهاهو دا يحاول فك شيفرة ،بل فتحها بمهل لألا تتمزق من فرط التهور ،فأصمدها في وجهي ،بل أخدها مفروشة أمامي ليبلغني بما فيها و يا للعجب ما هدا،لقد كتب فيها بخط عريض واسود جملة واحدة :

كلنا الى الثابوت ،كلنا الى الثابوت "

فأعدت نفسي الى غرفتي من شدة الخوف ،ومرة مرة أحاول إستراق النظر رغبة في تحويل ما رأيت لمجرد كابوس ،او حلم بغيض يحاول تقليقي، ولكن بدون جدوى لقد بقي المتشرد واقفاً ،حاملا معه تلك الرسالة ،ولم ينزل يده قط ولم تثعب أبدا من حملها طوال نصف ساعة ،وعند آخر طلة عليه ،رغبة مني في إبطاله من هدا الوجود ،وجدته واقفا في نفس حركته ،ولكنه يُبطئ في الضحك وإبتسام ،كتلك الطبائع الشريرة التي تتلدد في إفساد أجواء ، فأغمضت عيناي في بأس شديد ،وإن استدعى أمر لأخرج إليه من النافذة ،فلا أجد له ملمساً لقد غادر وربما إختفى ،فلا أظنه كابوس ،بل مجرد فكرة تموقعت في الواقع .

فكتير من الأفكار تتجسد في الواقع لمجرد أن عقولنا بقيت متشبة بها لوقت متأخر...

فَـأَحْسِن إنتقاَء أفكارك ،فالتَـابُـوت لا يُحْسنُ التفريق بين العلو والمنْحَطّ.

أَسْـرَابٌ *

***

تـوقَّفَ الجَّـوُّ عن النّـحِيـبِ ،وتـوَقَّفَتْ شَعَـرَاتـه عَـنِ التَّسَـاقُطِ ،فَخَرجْنـا مع أنفسُنَـا نتَمَـخْـتَرُ ورَاء الـكَوالَيـسِ ،فإذاَ بنا نـلمَحُ سرباً من الطيور يُحَلق فوق رؤوسنا يـجْتَمِعُ ثُمَّ يـتَفَرَّقْ ،ففِي لحْظَة يُعـَادُ تَـشْـكِيلُ الـحَلْقَة ثُمَّ تَتفَكَّكُ ثانِيَةً ،وهكَدا إلـىَ أنْ يَـمَـلَّ الجمِيع،لِيذْهَبَ كُلُّ فِي طَرِيقِهِ ،فَلطَـالمَـا أغْرَتْنَـا هَدهِ الأفسوُحاَتْ التي تَـكوُن مَألُوفَـةً في أعْيُنِ النَّاسِ ،وعَجِيبةً فِي أعيُننا ،إنَّ التأَّمُّلَ الدي يَنْحَدِرُ من العزْلـَةِ يُصِيبُ فِي أَيّ مَكاَنْ والـىَ أَيّ شيْءٍ مَهْمَا كَانْ ،فلا تَسْتغْربْ إنْ وَجَـدْتَ أعْزَلاً يُحَـادِثُ الرّيحَ ويُـناجـيِ النَّسيِم ..

أضْحَيْـنَا سُفنُاً فَقَدَتْ رُبانهاَ،فمـا فـاَئِدَة السَّفِينَةُ دوُنَ رُبـاَنْ وفاَئِـدةُ الـجَسَدِ دُون إرادَة.

أيَّـتُهَا الخِـرَافُ الضَّـالـةُ ،هل إسْتَوَى فيكُم الضّيَـاعُ بعدما فقدتم راعـيكُمْ العـَزيزْ ،وتَطَبَّعَتْ فيكم أواصِلُ الخذْلانِ ،وبـقَـايَـا الشَّـوق لذلك الخُـضـوُع المُسْتَبِدّ بدعْوى القِيَـادةُ الـجـادَّة ،إنَّ الـقِيَـمَ التِي تدْفَـع نحْو الخُـضـوُعِ هي نفْسهاَ القِـيَمُ الشأَّبةِ التى توُلدُ داَخلَ المُجْتَمَع ،فحتى وإن سألت أحَداً عَن أصْلهاَ ليُـجيِبكَ " لا أعلَمْ ؛ أو من عِنْد الله ،وهُنَـا يُحـاوِل إنْـفِلاَتِ مِن دلك إحْـراَجِ الـمُرِيعِ بإحْدىَ التبْريِراَت، فيدْخُـلُ في فخِّ الضَّـيَاع بين الحـرَام والحَـلاَل ،وطَـبعاً لَـنْ يجِـد المَـخرَجْ ..

كانَ الْعُلُوُّ يَـعْلُوُ،وسَاكِنُ الـقَعْرِيَغْرَقْ،بَيْنَمَا اَلنَّفْسُ تُحـاوِلُ اَلطَّيَرَانِ وَالْجَسَد غَارِسٌ أركَـانَهُ فِي الـوَّحْـلِ،لا يرغب سوى بالمشيّ ،إنقاذت الأمواج خلف الشاطئ تدفع نفسها نحو الرمال ،وبعضها يصطدم بالصخور حتى يسمع الصراخ ،الهدوء يُـخَيِّمُ على الليل والنهار يحاول إسترجاع نفسه ما بين أَفْسُوحَـة ،فيفشل ليقول "سأعود غدا "،في نهاية المسرحية ،عندما أهِدَّ السِّتَارُ وبانت مفاتن الظلمة فإنسحب نورها ،وما تبقى منها سوَى الجسد النحيل .

وراء الغاب وأمام البحر على الشاطئ تماماً يَرقظ الليل نائما على ظهره فوق تلك الرمال الدهبية التي تُشِعُّ نوراً عندما تلتقي بِـعَشيقِها " القمر"،لتغني مقطوعةً موسيقية ،فلَا هي تُجيدُ الغناء ولا احد هناك ليَـمْنَعَها عَن ذلك ،كيانٌ يَرْسُو فوقَ الرّمَالِ،كسَفينة أعيَـاهاَ زَمَنُ الحُّرُوبِ ،فرُمِيتْ علَى الشاطئ لا يـرَاها أحدْ سوِي مَنْ أَرادَ إختِباءَ من حَرارة الشَّمْسِ تحْتَ ظُلُوعِهَـا الرثةِ ،بواعث الغُمُوضِ يُنْفَثُ من أعضَاءِهـَا ،جُثَّـةٌ تـَقَيَّأَهَـا اَلبَحْر لِطَعْمِهَـا السَّيِّءِ ،وحَساَسِيَةِ جِهاَزِه الهَّظمِي ،ففي لَحْظَة يَـغْمِسُ رأْسُهُ بين قدَمَيْهِ كأنهُ يبْحَث عَن شَيْء بَين الرِّمـَال ،فَـلا أَظُنَّه عِقابٌ بل مُجرَّدُ إكْتِئَـابْ،حَتَّى وقف علـَيهِ خَيـَالْ ورُبمَا جزْءه من الهذَيَان فيسأله: عن ماذا تبحثْ؟

فيجيب وهو سائر في إنغماس شديد لرأسه وسط قدميه ،فلا هو يَـطّـَلعُ عن السَائِلِ ولا حتى رؤية فصيلته،فقال:

أبْحَثُ عن نفْسي ،فهَل رأَيتَهاَ!

فأجابه الخَيال: وهل لتكون نفسك في مكان غيرك ،فإياك والبحث خارجاً وَفتِّشْ عليها في أعماقك فلربما هي أيضاُ تفَتِّشُ علَيْك.

فإنقشع الخيال ،وبقي الكيان جالساً بمحادات القمر ،ففي لحظة يهز رأسه إليه ،كأنه يبغضه تم يبكي قليلا ويسكت ويعود ليتسطح على الرمال ،دون مبالاة لكلام دلك الطيف العابر..

كم سيكون هذا الصمت مؤُجِعاً ،في لحظة نحتاج فيها لإخراج كل ما يجرح أعماقنا ،وعند كبث هدا الألم يفيض البركان لِيُسْمَعَ هتافه وإنفجاراته التي لا تحتمل .

أسراب !

عندما كنا لا نزال شباباً وقد صِرناَ كدَلك الآن،ما كُنا لنحتفل بتلك اللحظات السخيفة التي تخالط الدلع ،ولكننا بقينا في العش بينما السِّربُ خرج ليطير بعيداً في طقوسه المألوفة .

كنا لا نبالي فقط نشاهد من بعيد رقصات بعض الطيور ،فلا أعلم هل ذاك رقص أم تَراَشُقٌ بأجنحة ،الكل بدى يحترف الرقص ولا أحد يعرف مبادئه ،فأي فرخ يولد يمتهن الرقص لمجرد أن عشيرته كانت راقصة حانات تدخر المال لنفسها ، عشيرة الطيور ،فأي صنف أنت،طيور الرخ أم النسور ام تلك الأليفة التي تنعم بفراء مزخرف يتم إصطيادها لتزيين منزل ما ،وركن ما ،قد بدى قبلا بشعاً في وجوده ،فبعض الطيور تطير لسربها وآخر يطير لنفسه .

فهل تجيد الطيران كما تجيد تعقيد الناس بكلامك السافل ،لمجرد أنهم لم يبدو لك سيئين لا يصلحون لشيء .كم هو مثير للعجب دلك السرب الدي يَتكَون لفترة التحليق وعندما تنتهي الطقوس كل يدهب في طريقه ،الطيور أشبه بإنسان ،الكل يداوم على إتباع السرب ولكن إنسان يألف

لغة الخضوع دوماً فقد ينام على الأشواك إن إبتسم في وجهه نصف السرب و النصف الآخر أسرف في مدحه..

أعلم أننا لا نصلح لنُكوِّنَ سِرْبًا لنسميه " المعتزلة " ،لأنه بطبعنا نكره تضييع الوقت في الثرثرة التي لا طائل منها، فجميع أحاديثنا تنتهي قبل أوانها لمجرد أننا نُحْسن الصمت ولا نفرط في الكلام.فتخيل اننا كوَّناَ سرباً ،وكل في ركنه الخاص ،فمن المستحيل أن يرضى أعزل بالتطفل على آخر إنها عظمة النفوس هي ما تحملنا الى الوادي وليس كحلة العيون ،عندما يُصِرُّ إنسان على البقاء فإما أنه أحب من أعماقه ،وإما أنه كره منها.فلطالما وجدت من يحسنون إرتطام بالجاريات لمجرد أنهم إفتتنو في جمالهم ليقولو في نُـبْل عظيم مُرَصَّع بالنذالة " اوه أسف هل أنتِ بخير سيدتي " وهم يقصدون " أتريدين مصاحبتي الى السرير مع أخلاقي النبيلة".

عندما ستولد وسط السرب ،قد يكون من الطيور وقد يكون قطيعا من الخرفان وأبقار ،ستحقن بمستحضر التجميل ،و سيزيد ألمك ،سيجبرونك على ان تكون نسخة تتطابق فيها الملامح دون أن تدرك أن وعيك يحمله آخر و آخرون ،ستعيش في وكر لذئاب لتظن أنك ذئب متلهم وفي لحظة تدرك انك النعجة ،و ربما الخروف الدي سيكون وليمة هده الأمسية الجميلة .فعندما ستفهم وستعي أمر وما أنت عليه ،ستحاول التمرد.وتقاوم مصيرك في الوليمة ،لينهض من تحت الصخور أولائك الغوغاء الدين لا يحبون تضييع الولائم ،فيصيبوك بكلامهم ،فيقولون" إنه خائن للعشيرة ،إنه بدون شرف ....." وطبعاً ستسمع آلاف أحاديث التي لم تعلم قط من اين ولدت ،ستكون الضحية ،البقرة التي يجتمع حولها الجزار ومن صاحبه في مهنته ،فإنسان بطبعه ،يحب الفتن ولن يفرق مادام يستفيد من كل هدا حتى وإن كان قليلا من اللحم العفن.فويل للغوغاء ومن صاحبهم،فإن أمعنتو النظر في هدا العصر ستجدونهم

جالسين أمام المتاجر و المساجد يلبسون جلباباً ،ويمثلون الرأي الصائب في العشيرة ،ويخفون تحت ملابسهم أسوء الصفات ،ولطالما أحسنو إخفاءها ولازالو يفعلون دلك.

ويا للغرابة كم من أسد ولد وسط الحضيرة(المجتمع) ،فتحول الى خروف مدلع،لمجرد أنه إكتفى بتذوق عشبه الطري(دراسة)،

لقد سممو فضائله بدلك العشب ،ولو أنه إعتاد أكل شيء غير العشب ،لما إستطاع الراعي (السيد) مواصلة زحفه نحو القيادة(السلطة) ،فـَألَفُ طَبيعِيٌّ في إنسان ،وهده المزحة الطفولية التي كنا نظن أنها مقدسة ،ولا ننسى أن الراعي وأتباعه لم يتركو لنا فرصة لتفكير في ما وراء المسرح ،فقد بسطو سهامهم وسيوفهم على حناجرنا وقالو : " هيا كلو العشب الطري إنه من عند الله".

إبتسم الكل وراحو منْغَمِسِينَ في أكلهم للعشب ،وعندما إنتهو وأتخمت بطونهم قال الراعي : أحضروالسمينة "

والكل وجهو أنظارهم نحوه عندما إنتقو السمينة من بينهم ،فصاح خروف مدلع وقال : الى أين تريدون أخدها؟

فأجابه الراعي: سنخضعها لعملية تجميل تفقذها هدا الوزن الزائد ،تم الى العشاء !

فنطت نعجة غبية من بين أغبياء وقالت : خدوني معها ،لقد اصبحت بشعة أريد انا أيضا عملية تجميل ،فحملوها هي أيضاً.

وفي الصباح لم تعد لا هي ولا تلك البدينة ،وفي اليوم نفسه أعيد نفس المشهد ولكن بمزحة تقيلة لم تكن جادة كفاية لتقنع إبن النعجة ،فأعطوه كيس عشب لوحده فقال: خدوها حتى الصباح .

كم هو محرج أن تبكي وسط سربك!

كم ستفقذ من راحتك جراء أن أحداً رفض حبك له معلنا عنه وسط السرب ...

لطالما رغبت في تحطيم رقبة دلك الغبي الدي يريد أن يبدو لائقاً في أعين آخرين لمجرد انه رفض حب أحدهم أمام الملأ ليستوفي نظرة بأنه شخص مقبول إجتِماَعياً و إستتنائي، لطالما رغبت في أن أتظاهر بأنني متعلق بأحدهم تم يحدث ما حدث لأرسو فوق نفسي ضاحكاً لا تهزني من الفرحة سوى القمم ،السرب ليس منبع المشاكل ولكن إنسان نفسه هو المنبع ،وعندما تتكاتف الأجساد يولد بينها إنسان يسعى وإنسان يبطل السعي لقناعته بطموحه البائس البسيط .

كم يعجبني دلك السرب من الفئران(البشر) عندما يولدون في المجاري(الحانات) فيحاولون إمتطاء السطح وغزوه بلباقتهم الجردية ،فلا هم يفعلون دلك ولا هم يعودون من حيت أتوْ ،مقتنعين بفصيلتهم الناذرة التي لم تولد قط بين السلالات.

كتير من السلالات تريد إمتطاء سلم الحياة ،وهدا السلم لا يصلح لأي سلالة ،بل يصلح لكل السلالات ،ما عدى تلك المقتنعة بأن تحت أرض مملوء بالذهب و فوقها مملوء بالخير والعدالة .....

نحن لا نرفض وجود أسراب ،ولكننا نـُقـِرُّ ِبرفضِنا َالشرس لأي خضوع يَنسَـابُ لِمفَاصِلَ دلك إنسان الطَّمأَعْ ،انسان العصر البرونزي ،الدي أعيد من جديد.فيشتري لنفسه بعض الفواكه الجافة ويقصد الحانة ،يا له من إنسان لبق ،عندما يغلب أراء السرب على الفرد،فإنه وبكل طواعية يخضع لرأي سربه دون أن ينتبه لأرائهم هل هي صائبة ام تخالف الصواب.

لا توجد أي ضغينة في قلوبنا ،قلوبنا صافية عذباء لم يصل اليها ولو بشري واحد ،فإن توجهوَ نحوها لـنُبَذِّلَ المكان ونغادر أنفسنا ،

فلطالما ولد العفن في قلب الذوات لمجرد أنها إستقت لنفسها بعض الأقوال من دوي النفوس المختنقة" الثرثارون" ،فالحياة لم تكتفي بولادة دوي الضغائن المنعدمة (ضغينة من لاشيء)،بل تجاوزتها لولادة المشبوهين ،والمفتنين معا(يصاحبون الفتن الى مرقضها)،ولا ننسى أولائك الجواسيس الدين ينامون على نوافدنا ،فقط ليعثرو لأنفسهم على بعض الكلمات يحادثون بعضهم بها في الغد.

هده الحياة لم تترك فصيلة لم تؤجِدْها،فلو لم تَكُـنْ ،فـلَنْ َنـكُونْ !

إن السرب من الطيور الدي يصطاد أسماك ،تـُعَلمُ منابتها كيف يصطادون ،قد تعلمهم كيف ينفلتون من صائديهم ،ولكن سربنا نحن ،يعلمنا كيف نبحر بالسفينة فارغة ،فلا يوجهنا ،ولا ينتظر عودتنا لنرسو على الشاطئ ،لربما يأمل أن نغرق مع فراغ السفينة ،بلغة الطيور ،يعلموننا التحليق ولا يعلموننا كيف نباغث وننجو من مفترسنا !

إن أكتر مهزلة قد رست فوق أدغتنا ،تلك المرتبطة بالأخلاق والعدالة و الصواب والخطأ ،فعندما كان الوقت ضائعا و أسماء منفلتة والمعنى راحل الى مجرة أخرى ،توقف إنسان وبدى له من الصعب العيش في حياة مجهولة دون معنى ،فتولدت أسطورة و الخرافات ..... فأصبح إنسان يطمح لأشياء كانت غائبة عنه.

لطالما كنا نفتقر لتلك السداجة التي ينفتها السرب في رعاياه ،لربما العزلة أيقظت فينا روح الداعية لتحرر ،والواقعية التي يخاف منها فراخ البط (دوي عقول القصيرة).

إن أبسط الحشرات لم ترضى بالمشي مع سربها ،فالنمل مثلا ،يجيد جمع المحاصيل ولا يجيد المشي مع سربه ،فكل نملة تحمل حبتها من القمح لتأخدها الى خزانتها ،فلن تجد سربا من النمل يمشي صفوفاً لياخد كيس قمح ،أو للعراك مع قبيلة أخرى من سلالتهم ،فقط يمشون متعاكسين البعض أتٍ وآخر مغادرْ ،أفلا يصيبهم الشعب قط ،فلا هم يتوقفون ليسترحيو ولا حتى ليشربو كأس ماء ،"عظمة النمل".

فحثما من يجيد إعتزال لن يولد داخل السرب ،فلا قدرة لهؤلاء حتى على رفض عشبهم مهما كان طعمه سيئاً ،مخلصون لدرجة أنهم يظنون خوفهم من العقاب هو وفاء وإخلاص للشعب " مادام الكل خاضع لما لا أخضع أنا ايضاً" .

في وقت بلغت فيه الشمس أوج زوالها عند منحرد السماء،فغطت السماء نفسها بأقمشة بالية خوفاً من قدوم البرد القاسي في تلك الليلة المنسحبة من الهدوء ،فَقَدْ رَقَصَ الجوُّ ،أفْضَل رقصة يجيدها ،فلا يترك للنجوم فسحة ليضيئو أرضنا ولا حتى نظرة نستقيها من أضواءهم ،كحفلة من الضوضاء و الهدوء منسيٌّ فيها.فالغبار ينقشع في السماء ،والأشجار تميل يمينا ،شمالا ،وحتى الرؤية تعجز عن الرؤية ،فلا نحن نجيد إنتقاء أنفسنا من بين أجواء ولا أجواء تسمح لنفسها بدالك.فلا نصل لأنفسنا سوى بعض مضي الوقت عندما تمتلئ بالغبار ،فعندما يحظر الخطر يتفكك السرب ليبحث كل عن سبيل لنجاته فلا يهم ما قد يحصل للآخر ،"أنانية مفرطة" .

فلطالما كنا نحن أنانيون ،في رأي الكل ،ونحن الدين نريدهم أن يروننا كدلك،ففي كل سرب يغتنم أحدهم الفرصة ليظهر نفسه أنه المخلص للعشيرة ،نعم الفتى النبيل و الشاب المقدار و الرجل

المخلص ...والحقيقة أن أنانية تولد داخل السرب كما يولد الكره و البغضاء وكل الفتن ،فلن يصلح أن تكون أنانيا مع نفسك ،لوحدك

فإنسان مهما بلغ من الوفاء لينقلب الى وكره ،الى مخزونه من المكر ،فالفرصة أولى وفاء والتانية خيانة ورخاء.

فكم نجيد إنتقاء الأماكن ،وحتى أننا لم نحسن قط ان نكون أنانيين ،فرغم إعتزالنا مخالطة إنسانية في فسادها الوجودي نبقى مترقبين لها من بعيد ،فإن غزتهم طاغية اسرعنا لنجدة وإن أهدهم وباءٌ إنقبضت قلوبنا عجزاً ،فلطالما أحسسنا أن إنسانيتنا لاتزال مَصوُنَةً وفضائلنا محفوظة في أعمق الوكور على إطلاق ،وفي بعض اوقات نصاب بالخوف السطحي لمجرد اننا أشفقنا على أحدهم،نُفرِطُ في الحسَاسية وهاته هي نقطة ضعفنا!.

***

العيش مع السرب ،كأن تأكل ما يضر جهازك الهظمي ،فإن أَلِفْتَ هده أطعمة ألِفْتَ مَضَرَّتَهاَ .

ثرثرة القرن
احاديث المساء)

***

سَالتْ وِدْيَان الدموع ،وإنهارت سدود إبْطَالْ ،فما كان لشيء الـصُمُودَ في وجه الثأروإنتقام ،فحتى الحب يُـبْطَلُ مفعُولـه بيْن الفيـنَة وأخرى،وإنْ إحْتَكَمَتِ الـعُقُولْ وإنْسابت الأذهان بالفضول ،فثرثرة القرن لا تشفع لِحَوْلْ ،الأحاَديـثُ تُولَـدُ فِـي ثَوانٍ لِتكَـسِّر بِـناَء أعوام.

فَكَمْ مِنْ نَـفْسٍ شَـابَ وجُـودُهـَا بالشَّقـَاءِ ،فإنتهت بنصف كلمة ،لم تخرج سوى في حالة مربكة من الغضب القاتل ،إن أسوء ما يحدث للمرئ أن تنتهي اشواط فرحته بكلمة متسرعة تكون سببا في إجهاض تلك الفرحة.فأي حالة من إحراج هي بوابة للخوف من تساقط تلك الأمال ،مجرد كلمة فما بالك بأحاديث المطولة " الثرثرة"

فبطبعنا لا نحادث أحداً،ولا قدرة لناعلى مواصلة الثرثرة خلف أراءهم البغيضة ،إن بعض أراء تستحق منا إجلال ،فحتى وإن لم تبصر الحياة

ولكننا نشعر بها ونقدر وجودها أكتر من تلك التي ولدت البارحة داخل السيرك .

بان الفجر بعد صراع طويل مع الحلكة ،فلا هي ترضى بالمغادرة ولا هو يريد العودة في وقت آخر ،فالكل يريد الكل ، والحديث طال للسماء ،فإرتطم معقل الهوس بفضاعة الكبرياء لتولد الأرواح البريئة ،تلك الثرثارة التي لا تجيد سوى مماطلة في إنجاب الفتن و أحاديث التافهة.

إن ولادة الطبائع الميتة ،(أشباه الرجال) لا تخلو من الثرثرة ،فقد يبدوُ أنهم ولدو فقط لِيُثَرْثِرُو في هدا العالم ،في كل أَزْمَانْ يِنْتَصِبُ فوْقَ رأْسِ كل سلالة من يصلح للبقاء على رأسها دون أية حاجة لنزول تحت أقدامها .

فحتى من يصلحون للإنتصاب في أعالي ،لم يكونوصلحاء طوال الوقت ،فالـنَّزاَهـة تَسْكُنُ بِدايَةْ إنْتِصَابْ والخُبْثُ والنَّذالَـةِ يهْتمـَانِ بألْبَـاقَي...

في تلك اللَّـيلَـة عِنْـدَمـَا غَفَـىَ الكُّل وبَـقِـيَ الَـليْل وَحيداً ،المُطْـرِبـُونَ (الصَراصير) مُخْتَـفِيون ،وَلاَ صَوْتْ ،الهدوء للمرة الف ينْصَهِرُ في خُفُوتٍ قَـاَهِرٍ لِيِنْبُـعَ الَخَوْف منْ تحت الوسَـادة ولربما من فوق السرير نفسه،لِيَـنُطَّ في مُـزْحَتِه المزعجة ليذيب حيوية الذات وبهجتها ،فلا هو يَسْتَعيِدُ تَهْرِيجـَه ُولا الذَات تـقْبَلُ المَقْلَبَ كما هو،فقد إنبهر المقلب بنفسه عندما إرْتـَمَى الكِّيَانُ وسَط السرير دون خَوْفٍ ،في صُورتِّه الـكَئِيبَةِ ،كأنه يرْفُضُ الهُرُوبَ من الجحِيم بل يُريدُ أن يَلتَهِمَ الجَحِيم بِمَـا فيهْ .

إن سوء التقدير لبعض أفعال،نتيجَةٌ حتْمية لتَّسرُّع الـقَائِم على إنقضاَضْ(اي فرصة) التعَسُّفيِ الدي به يُسْرِعُ المَرْئ في إلصَاقْ الصِّفاَتْ المُبْتَذَلَـة في أبْهَى صُورهاَ فقط ليقتنع نفسَه بوقاحةِ وجود آخرين .

على إنْسانَ أن يُفكِّر قبل أَن يُخْرجَ أَيَّ كلمة ،فالذوات تُظْهِرُ الشُّمُوخَ وفي أعْماقها زجاجات ،فكم هو سيء أن ينظر المرئ فقط لجسدك وينسو تلك الروح التي وإنْ مَسَّتْها ولو حَصَاةٌ صَغيرةٌ من تلْك الأقوَال البَائِسَة لأسْرَعَتْ في التَشَتُّتِ وإنْدِحارْ..

فها نحْن دا لا نلتمِسُ عُذْراً لننْجُو من أي إنْدحارٍ نفسي ،بل نحن نَقدِر على إبْطالِه مهما كان قاسيا ،فهاته عزلتنا ونحن أبناءها و منابتها فلا هي تنجو من دوننا ولا نحن نواصل المسير بدونها.فالعزلة توقظ الروح من بين الركام فيعلو شأْنُهَا،فلا هي تبقَى راَضيَـة بنفسِهاَ بين تلك البقايا المتسربة عَن الوجود، ولاهِي تُـعَاوِدُ الرُّجُوعَ بَيْن الرُّكَام..

على الـنَّفْسِ أن تُجِيـدَ إمتِطـَاءِ الجبالِ دُون أن تَضْطَرَّ للعَودَة مِن مَكاَنٍ تـسَلقهَاَ.

في جعبتنا الكتير لقوله ،ولكننا نكتفي بألغاز ،فقط القليل من الكلمات وكتيرا من إيحاءات و أفعال التي تظهر ما لا يقوله اللسان ،فعلى أي فهم يستصعب كل فعل مادام قد أوقظ في لحظة إنهيار ،جلبة العوالم التي تسكننا ،فعندما إخترنا العزلة كنافذة وليس حتى باب،قفزنا منها على علو شاهق ،لم نفكر بمادا سنصاب بالأدى او الألم العظام ،لم نفكر في شيء سوى إنتقال لعالم آخر لا يحتويه بشر ،كانت النافذة فاقذة لزجاجتها ،وعندما حاولنا القفز ،تمسكت بنا ،بل أوقعتنا في ألم لا يرحم أبداً ،دلك المسمار البغيض الدي يسكن وسط النافذة محقون بقوة في خشبها السفلية ،عندما تحاول القفز ،ستصاب به حثما ،ليخلف في أعماقك جرحاً لا ينتهي ،ومع دلك سقطنا بكل فخر بعد كسور و جرح عميق في الذات ،لمادا كل هدا ؟ لأننا فكرنا في الهرب من هدا العالم "

لم نهرب قط بل حاولنا إنفصال عنه ،لم يكن الطلاق عبثاً أخد منا الكثير،ومازال يطمع في أخد.

ها نحن دا نعيش كمتشردين ،وكم هو سافل العيش كضائع ،وهدا الضائع أصلح من بقايا البشر المنحطين..

كتيرا ما نصاب بالتسمم في كتير من الحروب التي تتشاحط فيها الفتن و وتتفاخر فيها السلالات بطابعها العريق ،القدسي ،ففي وسط الكوابيس ،كل وحش يرغب في جزء من التخويف حتى تلك النافذة التي قفزنا عنها و ماعزتنا البشعة ليلِي ،الجميع يرغب في الدراما المأساوية ،ويا لحظ هدا المسكين الدي سيقاسي كل هدا ...

عندما تجتمع أراء الكاذبة ببعضها تتوحد لتجبر الحقيقة على خلع ملابسها و إظهار نفسها بأبشع الصور،وهكدا يكره البشر قولها أو سماعها وربما رؤيتها..نعم نحن نتسمم في أغلب الحفلات مع أننا لم ندهب الى واحدة قط ،بل نسمعهم يغنون مقطوعاتنا بأسوء لحن وأغبى فرقة أنجبها العصر ،فكم سنحتاج من الحيلة لنيل من هده الفصيلة المستدئبة ،تلك التي تجيد التحدت وراءنا بالعاطل ،وتسود وجوهنا بالوحل وفي وجوهنا لوحات تشكيلية لرسَّامنا المحترف..نحن نكره هؤلاء مع أننا نتفهم رغبتهم في إيجاد إثارة المصطنعة لحياتهم البائسة ،فأغلب من رأيت يطعن في صور البعض إما أنه لم يصل لمرتبة تسمح له بفعل ما فعلوه ،أو انه حسد بغيض نشأ عن الرفض لتلك الرغبة الطائشة.

كان هناك فتى أعزل وقد إرتضى يوماً أن يصاحب فتاةً و تلك الفتاةْ قد رفضت حب رامي ،ودلك رامي هو صديق الفتى أعزل في الصف ،ففي لحظة من إبتهاج العظيم لتلك المزحة" الحب" ،ما كان شيء ليفهم أنذاك الحياة داهبة ونحن وراءها. فإدا برامي يفسد أجواء بينهما ،بل يحاول نفت ضغائنه في قلب الفتاة لتتخلى على أعزل ،وماكان أعزل يهتم لشيء ،لا مباليا بأمر ،فقد كان يشرق كما تشرق الشمس ولا ينتظر

انتهاء اليوم مادام قد خفف من وطأة وجوده ،لا أعلم هل أحبها ام لم يفعل ،ولكن بدى متشبتا بعزلته وقاهراً لكل من حاول إنتزاعها منه ،كان رامي يحسد أعزل ،بل يبغضه تحت الستار،وفي لحظة أرَاد أعزل تجربة رامي ليرى مقدار وفاءه ،فأخرج رسالة مفخخة (بيضاء) من جيبه وقد إدعى أن فتاة قد أرسلتها له ،وكان رامي بجانبه،حينما قطعها لأشلاء ورماها منتورة في أرجاء ،فلم يبلغ النهار نهايته ،حتى أخبرته بأسوء ما قد يقال وقالت له ،أن رامي أخبرها كل شيء " فصدقته....

وفي صبيحة يوتالي ،عاد رامي كدئب أنهى فريسته ،ولكن الأعزل لم يقاوم المفترس بل أعَد له الوليمة التي رغب فيها لحد التخمة ،كان يرغب في تسميمه ولكن المعتزل لا يحقد على أحد مهما كان جرمه فضيعاً ،وأخذ يحادثه كمن لم يفعل شيئاً ،إنتهت القصة ،الفتاة صدقتْ التعلب بدل أرنب ،وذهبت لترقص في وكر الذئاب.

فهده هي نقطة ضعفنا ،فمهما كنت بائساً لن تجدنا نباغتك بما ترغب في سماعه منا ،ولكننا لا ننسى من يحاول تسميمنا بتلك الأطعمة الفاسدة " احاديث كادبة" ،بدعوى أنها تليق لجهازنا الهظمي ..لربما لن تجد من يقول لك "

سأدع حبيبتي لأجلك ؟ لن تسمعها أبداً ،لأن إنسان بطبعه ميالٌ لغريزته ،قد يخونك و يبتدع فيك صفات لمجرد أنن إحدهن رغبةٌ في تحطيم صورتك الأنيقة في الجو.

ثرثرة القرن " هكدا سميتها ،لربما كانت أقل بكتير من القرن نفسه ،ولكن الأمر موجود في كل الأوقات ،فعندما يولد المرئ ،لا يكف عن التبجح ومع نموه يزداد في التبجح و عند نهايته يدرك حقيقة تبجحه ،ليطلب المغفرة "

نحن في عصر ،المصارعة بالكلام الذنيئ ،وذلك ليس ذنيئا يكون منمقاً ،يحترفون في صباغته بأتفه المبررات.

فعندما ستولد ،وقبلا ستكون في رحم والدتك ،لتسمعهم يقولون :هل هو بنت ام ولد ؟ ما دا سنسميه ؟ سيأتي آلاف أشخاص دوي الأعين المنتفخة فقط ليشهدو ولادة هدا

الوقح ،ستسمع كل يوم أسطوانات غريبة في شكلها المنمق ،فكتير يأتي ليبارك مولود الجديد وفي جعبته ألاف الفتن القبيحة كأنه يزور جنازة عدوه ،ستكبر وسط قطيعك ،لترى أَسْوءَ الطبائع نذالة على وجه الأرض ،خصُوصا أولائك العاطلين عن الحياة الدين يجلسون في كل ضَيعةٍ ،أمام متجرٍ اومسجد ،مكونين سربا من الفراخ الضالة ،في صراع لا متناهي من الأحاديث التافهة ،فلا أظنهم يتحدتون عن الدين ولا عن السياسة ولا حتى عن أوضاع المادية لبعضهم ،مهمتهم هي أفضل على إطلاق ،مراقبة المارة ومناقشة حياتها بأسوء صور و بمشاهد لا تناسب الجمهور الناشئ،ففي لحظة كنت ماراً من هناك،عندما إختطفتني أعين ،كانو تمانية أشخاص وجميعهم مابين أربعينيات و ستينيات ،سمعتهم يقولون " اوه داك ولد فلان !

فنط صرصوربغيض وقال " مادا يحمل في يديه ؟

تم قال عجوز خرف" إبن من دلك القبيح؟

فوقف جسور الهوى ،اربعيني فاسد وقال: إنه ابن فلان وفلان ،ولكن سؤال مادا يحمل في قفته تلك ؟

الكل ينصب نظره على القفة ،وبطبعي لا أحب المتطفلين دوي الغباء المحدود ،تركتهم يتهامسون كالجردان وهي تأكل القليل من الخشب المهترئ.

***

عندما ستولد وسط هكدا قطيع ،لن أراهن أنك ستعيش بسلام لإن ولادة الفتَن والمشاكل تبتدئ منهم لتنتهي عندك.

**

إن أسوء في طباعنا لم ندركه بعد ،فحتى تلك الجروح التي نسببها نعود مسرعين لينضمدها بالإعتدار الدي يكون باطلاً ،فالثرثرة مجرد أبواب من الفضائح و السذاجات التي تكون لدى المرئ في لحظة يريد طمرها بكلامه تم لا يحصل ما يريد ليفضح نفسه بنفسه ،فأولائك الثرثارون ليسو دوي القلوب البيضاء كما يقال ،بل دوي السذاجة العنيفة ،التي لا تحتمل.في أحد محطاتنا قرفاً كنا ساذجون ،ولكن بطريقة ما أبطلنا هده السذاجة وكانت العزلة هي الوباء والذواء معاً،فلا يصيبك منا شيء مادمت لم تتهرب من العزلة كما فعل إخوتك عندما صفعتهم على خدودهم وراحو يبكون عندك أمهاتهم،فنحن نجيدالتأمل في أنفسنا أكتر من أن نظل صافنين في أجساد البشر القبيحين.

***

تَجنَّب حدِيثَ البشر قَدرَ المُسْتطاَعِ ،لأن الحَديثُ هو حَدِيثُ قَرن ،لا ينتهي أبداًعند حَدِّ أي سلَالة،فأنت قد تموت ليُعِيدَكَ الجيل القادم في سَرْد قصته متبجحاَ أو مكرهاً،لربما تكون البطل فيها أو أن تكون النذل المخادع أو ما بينهما الشاهد المزيف.

..

العيش النفيس"

**

على مادا يحصل المرئ "

إنّـ أكثَرُ الحِيَلِ إقناعاً تلك التي تشَارِك المَظْهَر في الخِدَاع ،كان تُخْرِج فأراً من سِروالِكَ الداخلي بِذْلتِكَ الأنيقة الرائعة "

فلا أحد يهتم لفأرك ،بل الرؤيا منصوبة على وسامتك و مادا ستري العالم اليوم ....

كما لا يبدو لسائر الحواس ،جميع من أوقعنا في فخ إحساس،بتلك الحيلة المثيرة للإشمئزاز ،المسماة إنسانية ،فحالما ينتهي إنسان من إبتداع تلك الشخوص الخيالية النبيلة في عقله ويكف عن إنجاب الطبائع المثيرة لشفقة ،هنا يمكن التفكير في إمكانية تجديد إنسانية بمخلوقات تفوق إنسان في إنسانيته ،تلك هي دوي الأرواح النفيسة التي ستعلو عن إنسان فيختفي صيته ولا يرى تانية، فبمادا طمرنا إنسانيتنا ،عندما كان الجيل الذهبي يلد العظماء ،فما كانت لتلك العظمة ان تولد لو أن سلالات دلك العصر تمنو دلك ،فقد كانت كل سلالة تفكر في التَّحَوُّلَ لأنبل سلالة لا ان تنتظر من بواعثها فعل دلك ،في تلك الأمنيات السحرية الباطلة ،فالعظماء إنعدمو قبل أن يلدو من يتحمل عظمتهم ،فتاريخ أوقظ ناراً في قلوبهم وهو من رسم لها خطوطا تتمشى في دواتهم ،فتنعدم بهم ،فمن

جلسو شاهدين راحو يتمنون ولادة العظماء من بين سلالتهم فيقولون " كن كفلان ،كن بطلا" ،فحتى طموحاتهم لم تتجاوز سقف الواقع ومشاكله ،كن كالملياردير فلان ،او كطبيب فلان ،ولا أحد يهتم لسارق اليس هو ايضاً فلان ،فيقولون " كن شخصا غير المعلم ،فلا أحد يهتم لأمره الآن..عندما رأى إنسان عدم مقدرته سوى على إنجاب من يعلي من شأنه ،راح في كل مولود يدلعه بدعوى أنه سيصبح إنسان النبيل" ،وفي نهاية الكوميدية بكى الجمهور ولعن الكل صالة المسرح وطرد المهرج من بين الإنسانيون ،فولد طابع بشري مستهتر ،لا يفعل شيئا ،سوى طلب النجدة ،بل غدى الجيل منحطاً لقليل من الدلع الطفولي ،ودلك إهتمام الزائد ،فهكدا كانت إنسانية مغطات بالوحل ،ولا تزال مغطات الى الآن ،الكل يمر بجانبها فيسمعون صراخها يعلو وضجيجها الصاخب يثقب الآذان ،ولا أحد إلتفت إليها ،أصماء بالفطرة .

فعلى مادا يحصل المرئ؟

وهل في نية المرئ الحصول على شيئ ما ؟

طبعا في كل أوقات يتمنى المرئ أشياءاً كتيرة ،ولحسن الحظ لا تتحقق أبداً ،فلربما كانت من الحكمة إبطال تسديد الأماني ،فلو غدى المرئ ما يتمناه لما كانت إنسانية ولا شيء آخر بعدها ،فطباعنا المتوحشة لا تزال فينا نائمة لا يسكتها سوى المُهدِّئْ

"الدين ،الأخلاق،...الخ".

على مادا يحصل المرئ،وعن مادا يتخلى!

في الوقت الدي كان مُكْـتَظاً بالوقت،والنَّفَسُ ضَـائِعٌ،وإرادة غائبة عن الحياة ،ماكان للإنسان أَن يُـفَكِّر في شيء غير عيْشِه السَّوي ،تَحت أجنِحة الصُّقُور،آلِـفـاً قُشوُرَ جِلدِهـاَ المتنَاثر ،وإنتكاسات أجنحَتهَا التي

تَعْلُو لِفَوْقْ فَتَعُودُ ساَخِطَة ثُمَّ تَضْرِبُ مَنْ فيِ أَسْفَلْ "من في أرض"حتى تتطاير غبارات أتربتها وتتزعزع نفائسها.

***

على مادا يحصل المرئ!

سأل حكيم نفسه دات مرة ،وهو متوجه نحو غابة مضجة بالأشواك الحادة ،فحثما ينبغي عليه تجاوزها ليصل لنفسه قرابى نهر أعذب ،أعلى ناطحة سحاب هناك قال:

على مادا يحصل المرئ في كل هدا؟

وقدعششَ السؤال في ذهنه فلا هو يجد الجواب ولا سؤال يحاول الإفلات من بين عقله ،فواصل المسير إد به يجد نفسه وسط اشواك دون ان يحس فقال:

على المرئ أن يعاني ليكسب ،وعليه فليخسر كل شيء في سبيل إرضاء معاناته.

وواصل المسير وأشواك ترشقه بنفسها فتحدت جروحا في جثتة فلا هو يقول " أي " ولا هو يتحسر ،فقط يلتهم الصمت إلتهاماً كأن جسده ليس له،فعندما إنتهت منه أشواك بان له نهر جارٍ ،فإنهمرت الدموع على خدوده فأسرع لينال منه ما يرضيه ،فإنحدر على ركبتيه وعيناه تلمعان في إنعكاس الماء العدب ،حتى انه حمل بين كفيه القليل من الماء فغسل وجهه به وشرب القليل وقال:

"أنت لست مائي ، والنهر لا يقرب نهري ،فالنهري غير كل أنهار ،لا يقنع من شربه أحد ولا يفارق ذاكرة أحد" ،تم حمل نفسه و غادر المكان مبتعداً عن غابة اشواك

متجها نحو قرية مهجورة من منابعها ،فلا هو يعلم اين يذهب ولا حتى قدماه تدركان أين سيتجه بهما ،فعندما وصل لباب القرية ،وجد مخلوقات غريبة تسكنها ،والكل يبصره ،منصوبة حوله جميع أعين حتى الجدران أخرجت نفسها من المكان رغبة في طلة واحدة على دلك المتشرد ،فحط الحكيم عصاه جانباً ،والكل مفزع من فعله هدا ،وجلس على ركبته كأنه يطلب الصفح ،وهدا ما أثار شهيتهم في الخوف فأسرع الجميع في إرتكان في أكواخهم العشبية،فنظر الحكيم لنفسه ،فقال:

أنا شيخ أنهى فترة نضجه وقد اقترب موعد شيخوختي وهرمي ،فمالدي أرعبهم في هدا الكيان ،أوليس هو كياني ؟

تم نهض من مكانه مخلفاً في أرض أثار جلوسه ،مغادراً القرية ،وعندما تحرك الى أمام ،سمع صوت يقول:

من داك يا أمي؟

لطفل صغير من براعم تلك القرية ،فوقف الحكيم لأول مرة فقط ليسمع ما جواب أم الصبي ؟

فقالت:

إنه مجرد متشرد مجنون،قتل جميع افراد عائلته دون أن يرق له جفن.

فصمت الطفل كأنه سَمِعَ ما قَد ينْتزِعُ منه صوته..

فضحك الحكيم و دهب في حال سبيله ،دون أن يرى خلفه ،فقد كان لا يلتفت ابداً ولا يعود الى اي مكان قد أواه قبلا.

فقال :

«هل هدا ما يحصل عليه المرئ !،ولهدا يشقى المرئ! »

على المرئ ألا يلتفت لشيء مادام لا يمتلك عينان خلف أدنيه »

كان الحكيم ،لا يبالي بثرثرة البشر مهما قيل عنه ،فلطالما إنتسب الى العزلة حتى بعد هدا العمر الطويل ،فلا هو يخالط الشيوخ في فثنهم ولا هو يوفر فرصة للعيش بسلام مع عائلته.فقد عاش طويلا تحت وطأت نفسه وفي لحظة إنكب الى الغاب يبحث عنها ، دون ان يصاروه الشك في العثور عليها ،فقال في يوم ما عندما أفاق من حلم ،كان سبب كل هدا "

ما داك الشيء الدي يقول لي إتبعني ،أعثُرْ عليَّ ،كان مملوءاً بالنجوم كقمر يفوح بضوءه في ارجاء فيعم العمى كل ارجاء ،إلا أنني أبصرته حينئذ ،ولم ينفك يذهب من ذهني ،فتأتي إليَّ فتاةٌ صغيرة قد تولدت من قلب القمر ،فَتَبَسَّمَتْ لي وإبْتسَمْتُ لهاَ رداً على جمالهَا الَقَاهر ،وذهول رائع ،والصمت يُـخَـيِّمُ عليها وعندما أدارت ظهرها لي قالت "أعثر عليَّ ،أرجوك "

فقفزت من نومي إثر ضربة من أحد أحفادي المشاكسين ،وبعد جهد متواصل لإزالة هده الفكرة ،قررت البحث عن الفتاة ،فلا أجدها سوى في المكان الدي أتت منه ،فخلوت بنفسي بين الغاب ،متجهاً لناطحة سحاب يصفعني بنسيمه المزهر و ماء عذب يذهل خاطري فلا أنتصب فوق تأملي ولا هو يرضى أن يباغتني في اي مكان غير ذاك.

كل يوم أبحث عن مكان الدي سأجد فيه طموحي ، المكان حيت أستلقي ،فلا اشعر سوى بالنوم يأخدني فوق يديه ،فيمسكني بيده اليمنى و يأتي بتلك الفتاة من بين الضباب بيده اليسرى ،ليجمع هدا الكيان بنفسه الضائعة.فلا أحد يجدر به مزاولة هدا المكان وإلا لن يكون صالحاً لتأملي ،فينبغي أن يكون المكان صافياً ،وساحراً ليتلاأم مع ذوق روحي و بديهتي .

العيش النفيس ،لن يكون نفيساً داخل القطيع،فمهما بلغت السلالات فيه حد القمم لن ترقى لهذا الوجود ،بل ستظل متمسكة بسقفها الوجودي كالحيوانات ، غير متطلعة لترى السماء كما هي ،بل سيحلو لها ان تغتشي في سماءها منكرة سماءنا الواقعية .فدائما يولد النفائس خارج أسرابهم ،على الحواشي قرب الغابات والجبال.

العيش النفيس ،فهل يوجد هناك عيش ليوجد النفيس ،الماديُّ يحكم الحياة ،و الحياة أرخت سدولها عندما داسها هدا الحقير ،عندما تصبح القدرة أعلى من قدرتك سيكون عليك الترجي فقط للبقاء على قيد الحياة.فنحن العُزَّلْ لا نقْربُ سوى النفائس ونَـنفُر من دوي الأرواح المبتذلة ،تلك التي تشعرنا بالأنها مجرد حاويات قمامة ،فلطالما شعرنا بأننا غير سلالات أخرى ،فقد تـوَاَجَدْنَـا في مكان غلَـط وفي وقت غلـَط و لكننا أَلَفْـنـَا وجودنا مع باقي الكائنات ،فرغم كل ما يصيبنا لم نفكر قط في خيانة سلالتنا ،وإستبدالها بسلالة أحط منها ،لأنها متفوقة على جل سلالات الكائنة.نحن لا نبـاَغِثُ أحداً ولكننا عادلون في توزيع العقاب بكل مرونة،فحتى وإن كنت سهما من الجنة وإرتكبت خطيئة سيكون لك عقاب على قدر تلك الخطيئة.

أنا لا أدعو دوي أرواح المعتدلة للتفوق على نفسها بالإعتزال،ولكنني أحب أن أرى كل سلالة تحاول جاهداً تَسلق سُلم ْالرقاء البشري دون كللٍ أو ملَلْ،فلم نعد نحب أسراب التي تجيد الخضوع لأحد ،او تلك التي تفتخر لكونها تابعاً ،فكم على المرئ أن يكون ليكون تابعاً ،وهل هدَا مـَا يُـجـيِدُهُ إنْســَان؟

إن العيش سوياً ليس سيئاً ولكنه لا يرقى لطباعي ،فأنا أحسن إنتقاء القمم ،تلك التي تصلح لتسلقي ،فهكدا على إنسان أن يفعل دون أن يمل من التسلقْ،كن قرداً يعجبه التسلق ولا تكن غيره في كيفية النزول ".

عندما سيبدأ العرض ،في لحظة إزدهار إنسانية المنقرضة ،ليعلو صوت الحشد" أين الراقصات" ثُم يدركون أنه حفل خيري ليتشتتَ الأحباء وتظهر معالم " أنا"،فيغفو الضمير لتقوم الغريزة لرقص ،فلا أظن أن أحدا لن يعجِبه رقْصُهاَ ،فكل فِـعْلٍ للغريزة هو فِعْلٌ مُمْتِـعٌ ولَـذيذٌ " وعِنْدماَ يعود الضمير من قَيلُوُلَـتَه ،ليُظْهِرَ بَشـاَعَة الرَّقْصِ والراَقِصَةُ مُعًاً.فلا يَعـيِشُ المَرئِ سَـوياً مَهْمَا إنْتَـزَعَ نَـفْسَهُ عنْ طَبِيعتِهَ .

من يتَحَمَّلَ بَـأْسَ تلك الجِرَاحِ القَاتِـلةِ ،التي تعْفُوُ وَرَاءَ كل إبْتسَامةٍ كاَذبةٍ ،لا أحد ،لن يكون هناَك أحَد سواَكْ،لدى لا تَنَمْ وتنسى تلك الجراحِ لربما تنهض من بين سباتها أزلي لمعاقبتك على كل هدا،إن سوء تقْدِير أثْـرَ الجُروُحِ هو أكْتر خَطِيئة يَـرتَكبُهَا المرئ فلا هو يدرك من اين تَـأتيَـه السِّهاَمُ إلا بعدَما تَـتَطَفَّحُ أنَـارُهَا في جُثْمَانِـهِ...

إن العيشَ بِسَلَام يسْتلْزِم الخُضوُعَ ،والخُضُوعَ هوَ إصْطِحَابُ أرَاءكِ الى الخُرْدةِ حيْث يَتَوَاجَدُ من لا يَـصلْحُون سوَى ليَكوُنُو أتْـباعـاً ،ونحن لا يرضينا هدا إتباع ،بل في جُعْبَتِنَـا أرَاءٌ تَسْتَحِقُّ أن تَـعْلوُ فَوق كل أرَاءٍ ولكِننا نكتفي بالصَّمْتِ مَادَامَ الواقع لا يُـلاَئـِم أَرْضِيتَهَا...حتى أن هناك في هدا العالم من يجيدون الخضوع بكل إحتراف ،بل إتباع السرب

ليظهرو سلامهم الداخلي،ونبالتهم المزيفة ،فيغتشون في السرب مخالطين أنفسهم ليقول لأولائك الدين يكرهون الخضوع "إنهم مجرد حقارى معقدين ،لا يصلحون سوى للإعتكاف وراء الحياة.

فقط لأننا لم نصلح لنكون أتباعاً ،نصلح لنكون سيئين ،نقدس ظفدعاً ليصير الملك ،وهدا ما يجعلنا كقطرات زيوت تَـمْتنِعُ عن مخالطة المياه ..فكم هو مثير العيش دون هده السلاسل القبيحة ،دون ان تنتظر من أحدهم أن يعطيك رأيه في ملابسك القذرة او أن تنتظر منه العطف لتواصل النحيب أمامه بكل بأس و قباحة وجودية ،نحن لا نصادق أحداً غير الظلمة و السماء الحالكة مع القليل من النجوم المضيئة ،حيت يباغتنا السحر في كل نظرة الى أعالي ،لنلهو حالمين بين نجومه وقمره.لسنا من يحب أن يطفو فوق الغيوم الملبدة ولكننا نحب أن نراها تتكتف مع بعضها تم تجتمع تحت القمر كأنه عرشه ميلاذه .

اليوم هو الغد ،والغد هو البارحة ،نفس الشمس ترشقنا بعظمتها ونفس الهواء يتلو أنفاسنا فلا نجد غير انفسنا كما تركناها البارحة ،لا نتذكر شيئا مما مضى ،فلازلنا براعم لم تذبل أوراقها ،ومع دلك نشعر بأننا نسينا ،بل فعلا نسينا الكتير ،فلا أظنه حظ ،وأراهن أنه جزاء من العزلة نفسها..

لا يوجد في هدا العالم مكانٌ تعيشُ فيه بسلام دائما ،لابد أن ينط أخرق من بين الشجر فقط ليظهر نفسه على أنه قرد يصلح لشجر واكل الموز وما شابه،ستكون مرميا في غرفتك دون جلبة وحتى ذبابة لن تحاول إزعاجك إنها تعلم أنك إعتزلت كل شيء ،فمادمت إعتزلت فإنها تدرك اشواط التي مررت فيها وخسرت فيها .ولكن كيف سَتُفْهمُ دلك البشري الوغد أنك خسرت كل شيء فقط لتعيش أعزلا مدى الحياة ،لن يفهم مهما قلت له ،سيظل نفسه ذبابة تطنطن بدل الذباب الحقيقي ،إن البشر

بطبعهم يفسدون ما لن يصلو إليه،ويحسدون من يصل ،فيحاولون تلويث جوه بطباعهم الكاذبة ومسرحياتهم الحقيرة.

عندما ستشتري آلاف الكتب ،مع خيمة كبيرة و تجهز نفسك لتغادر هده الحياة ،لحياة أخرى بعيداً عن كل هدا ،ستكون متلهفاً بنفس القدر من الشوق الدي ينازعك من أجل نفسه ،ليتعالى الصراخ" فقط إبقى معنا "،ستتوجه لأكبر غابة ،غزيرة اشجار لتسكنا بالخوفك ولتمتص هي خوفك و فسادك ،ستبحت كتيراً عن الأرض التي ستصلح لمأواك ،ولقصرك الساحر وبعد عناء طويل ،ستجدها مكان الدي كنت تنتصب فيه لأطول مدة ممكنة ،ستلتفت الى الوراء لتقول " ها أنتِ دا " " لم أراكِ فقط انتصبت فيك دون ان اشعر بك"،تم تحط مأونتك ،وتنصب خيمتك و تسحب كتبك المفضلة لتحاول ترتيبها على ارض ،سيكون الخوف والرعب ممكناً في اول ليلة في الغابة ،ستسمع الظلمة تحاول إرباكك و جميع الحيوانات تحاول المزاح معك خصوصا الدئاب والصراصير سيكتر فيهم حس الكوميدية ليظلو يزعجونك الى الفجر ،ومع دلك إن كنت تجيد إمتطاء عزلتك ،فلن يصيبك مكروه ولكن إن هي إمتطأتك سيصيبك بالتأكيد ،ستعود في اليوم تاني مع دموعك ونحيبك الى سربك العزيز.

في كل يوم وفي كل تانية ستخضع لعملية إستئصال ،ستتكلف الطبيعة بدور الطبيب و سترى نفسك من جديد مختلفاً عن الكل ،ولادة من جديد ،ستعود كمن تواجد في هدا كوكب مرتين ،

لن يتم تخديرك ،بل ستتعرض لأسوء ألام ،لترفض مواصلة السير ،ولكنك مجبرٌ على إكمال خصوصاً والملقط و السكين بين يدي الطبيعة فلا محالة أن تغضب في نوبة من إزعاج لتودي بك الى الجحيم.

لربما لم يعجبك قولي ،ولم يثرْ إنتباهك ،ولكنك نفسك ستثير نفسها عندما ستشعر بأنك آخر ،فكتير من صعدو لأعلى الجبال وعادو بأناهم أخرى لتسألهم في فضول قاتل:

أين هي نفسك ! ليجيبك في مهل " تركتها قانطة بين الصخور لم تتمكن من قهر خوفها من المرتفعات ".

مبادئ العيش " المعتزلة"

* * *

إن أبسط ما يكون عليه حياة المرئ ان يعيش لنفسه ،دون قيود بل أن يخضع لجميع القوانين حتى قانون الشِرَاعْ ألاَّ تَـقِفَ في وَجْه الرياحِ مهما بدَى لها المُحيط واسِعاً لتَحَمُّل مَشاَقَّ الحَرْبْ،العيش السليم ،لا يخرج عن العيش بالمبادئ ، والحياة التي تفوح بالعطورتكسب الجو رونقاً من السحر لن تنفك لتكون مسرحاً للشقاء ،بل ستَظل مُنْتَزَهاً يَعْفُو فيه الهالكون،فلا يَهُم من يعيش للآخرين بدعوى أنه يعيش لنفسه،لن تنطليَ علينا هاته الحيلة الرعناء،فأمثاله يستحقون الحشر تحت أقدام كل عجلة كتلك القطط التي تحب الرطوبة فلا يهمها عيشه تحت العجلة أو بعدها.

العيش وفق مبادئ تستحق إجلال ،نفسه العيش النفيس بقدرةٍ تَتَعَالَى عن وقَـاحة الوجُـود ،و وحَل الحضيرة" فساد المجتمع"، فإدا تمسكت بمبادئك الذاتية في إرتقاء بالنفس بدل مراقبة الأغبياء يلعبون الغُمَيضَة مع قِطِّهم القبيحْ ،فلن تغفو آدان سوى لتسمع رنة من ألحانك ،ولن تنتظر الغيوم نظرة من بين نظراتك لتتمشى مفتخرة برقصها الساحر ،ستجيد إمتطاء أي ناطحة سحاب ،و سيعلو مقامك لنفسك ،لترى العالم أصغر

منك، فلطالما يجيد من يتمسك بمبادئه إتخاد القرار الصحيح ،ولايخطئ في مصاحبة نفسه نحو علاءها ،فهكدا على المرئ ان يعلو ولا ينتصب في مكان واحد ،فالمصير قد يتغير في كل مكان ،ولكن العقاب واحد..

لا أزال أنط لأبلغ نفسي لنفسها ،و ما أَزَال قَانِطاً في القِمم لم ُيعجِبْني منظَري وأنا أتسلق هظبتها ،فـَأعِيد التسلقَ تانيةً ،وكلما أعدت فعل دلك بدوت أكتر سُخفاً وبشاعة من سابقاتها ،فعلى كل متسلقْ أن يتسلق مرة في حياته ،دون ان يعيد التسلقْ ،فالشغف يموت عندما تتكرر الحوادث ،ويعاد تمثيل الأدوار بنفس الشخصية..

فإنتابتني وسط الرخاء وبين رحيق المُتَراَمِي في أجواء

،شعلة من النار تكسو عقلي ،فلا هي تنطفئ بنقيضتها ولا هي تخمد بعدما إنتهت من الشواء ،فأخدت أفكر في علاقة الإنسان بنفسه ،وما على إنسان أن يفعل ليستمر بالحياة بأسمى فضيلة ،فللحظة قفز الغرور وقال :

على إنسانِ أن يحب نفسه، فأجبته:

ولكنه سيبدو أنانياً..

تم قال تانيةً: على إنسان ان يكره نفسه ،فأجبته:

أتريده ان يموت ،في أبهى شقائه !فأَخَد الركن ونام !

فعلاقة إنسان بنفسه ،لا تدو بسيطة كما يراها الكل ،إنها أعمق بكتير من علاقتها بالآخرين ،ففي وقت الغضب يمكن ان تصرخ على آخر وتوسعه ضرباً ،ولكن مادا إن كانت نفسك هي الآخر ،فمادا كنت لتفعل؟

مهما بدت المبادئ قيوداً يسهل تحطيمها وقهرها ،فلابد للإنسان العاقل ،النبيل أن يتخدها مساراً يتمشى عليه نحو بناء شخصيته القوية التي ينبغي علينا الوصول إليها .

***

عندما أضحيْت مراهِقاً ،وقد نسيت هل إستهلكت طفولتي بالكامل أم أن القدر قد عَجَّلَ في شَقَائيِ ،ووضعها لي فيما بعد لأعجزعن النهوض تم أحاول أن أمشي تانية ليستقيم سيري الى الأمام ،كانت الأوقات متشابهة ،في نفس الوكر" المنزل" ،وفي نفس الحياة أماطل في العيش ،ليس لدي خياراً لغيرها ،فقط أتمشى في كوْكَبٍ مَشْلُوْل وفيه انا أحاول إيجَادَ إحتراف) السَّيْرِ،والكل منبطح على أرضه يرمقني ببغضه فلا تحبطني سوى نظرات المساكين عندما يجهلون كيف يقفون ،فقط يحترفون في إنزال تلك أمطار على جفونهم .

الكل يحب الدراما ،والكل يرغم نفسه على أن يكون المسكين والضحية في تلك المسرحية المزيفة.لم نكن لنرضى يوماً بتلفيق أي تهمة على أنفسنا ،أو ان نزج بها في غياهب الإدلال والشفقة المفتعلة ،فمهما بدت لنا الحفلة مشوقة فإننا نمتنع عن المشاركة فيها ،كي لا نبدو منحطين أمام أنفسنا ،لم يكن النهار يجيد البقاء كما كان ،ولاشيء بقيَ على حاله ،منذ أن غادرتنا إنسانية ،لازلت مراهقاً هرم طيشه ،فكم من السوء يكفي لأظهر قباحة ان توجد بفكر يفوق إمتداد جسدك ،الأمر أشبه بلاعب ماهر يتحرق شوقاً ليلعب في الخط أمامي ،ويسجل على الخصم آلاف الكرات ،ولكن المدرب يحبطه بالجلوس في الإحتياط ،سيبدو أمر تافها ،لمجرد أنك لم تكن مشاركاً في الدور ،الإنسان يهتم فقط عندما يكون أمر متعلقاً به ،فلا يهم مشاعر وعواطف الآخرين مادام الجسد ليس جسده هو.

لم أستطع التوقف عن إقتراض خيبات الأمل ،فقد بدت في هدا العالم وافرة ،ولا أحد يريدها ،الجميع يرغبون في حب صادق وصداقة صادقة ،وهل الخيباث لتظل وحيدة دون عشيقها.

وعند لحظة من الفراغ العاطفي وإنفلات من قبضة العقل ،إنصعقت بأسوء التجارب وأقساها ،فلم يعد أمر يحتمل كل هدا ،ولأجل هدا العبث كله ،ظللت طريقي ،ولم يريني أحد المسار،حتى الشرائع نفسها توقفت عن التحليق في الجو رغم ما أصابها من برد قارص ،ظلت منبطحة على السفينة والأمواج تركها من كل النواحي فلا هي تحاول النجاة ،ولا الأمواج تعطف على خشبها ، فإنتابني شعور قاتل ،يرغمني على إعتراف به ونحن بطبعنا نكره إفصاح لأحد ،حتى تلك الغفوة التي لطالما أنقذتني من بين فكيه ،لم تكن هناك للمرة ألف، كنت واقفاً لا بل معلقاً على غصن شجرة ميتة تتناقز فيها أشباح ،مكبل اليدين ،ترشقه خيبات الأمل من الأمام ومن الخلف ،فلا أنا أرى من يرشقني ولا الإصابات تخطئ الهدف ،في نهاية ،وعند الخلاص ،إنهزم الجميع وفاز الشعور بالخيبة الأمل ،وسقطت الذات من علوها نحو القعر متمددة على أرض كجثة تستحق الطمر ،فوقف إثنان من الحكماء دوي الدقون المشيبة بأبيض و اللباس الفاخر وهم يقولون:

مادا بك يا بني هل أنت مريض؟

فأجبتهم و الصوت مبحوح لا يريد النزول من العرش :

أشعر انني سأموت ،ما كل هدا الألم الفضيع !

فأجابني احدهم:

لا يابني أنت بصحة جيدة ،كل تلك مجرد تهيئات من عقلك الباطني .

فقلت له :

وكيف تفسر كل هده الثغور في جسدي التي تصاحب هدا الألم !

فضحك الثلاثة وقال الأول :

لا ليست ثغوراً بل رغباتك النبيلة تحاول الخروج لتتنزه قليلا !

فضحك الآخران ،و قال أحد من بينهما:

نعم إنها ثغور بل نوافد تخرج منها قباحتك النفسية ،فإستلقي طويلا كي تنتزع منك .

وعند نهاية الحديث ،قفز الحكيم اول وقال:

لن نجيبك سوى بما نعرفه ،ونفسك مهما فعلنا وأعطينا من إحتمالات لربما نخطئ في الحكم ،فنفسك أنت ،وانت اجدر بمعرفتها..

ضحك الحكماء الثلاثة و غادرو بكل نزاهة كوميدية ،وقبل أن يغادر احد الحكماء قال :

عليك أن تُجِيد َتغْطيَتَ تلك الثغورالقاتلة،فإن لم تفْعَلْ لربما تهاوى الريح الى العمق فأكسب العفن وداً ،وربما رآه الآخرين وجعلوه منك هدفاً سهل التصويب ."

فقال آخر لينهِي الحديث ويفرو من هده المهزلة:

خد لنفسك مرقداً يصْلح لك في أعالي ،وكفاك من وطأت الأعماق ،وإنتصب على مبادئاً تصلح فقط لتعليك لا أن تحط منك.

بدى الورد يتقافزعند كل هضبة ،حتى السناجب لم تَكُفَّ عن الرقص وقتها ،فأنجبت الطبيعة برعماً من اللؤلؤ يُضيِئ أغصان الغابة ،فاليغرد

الجميع " إنه المأمور "، وضحك الآخرون وقالو" إنه خطيئة الوجود الكبرى،فنمى الغصن وإشتد عوده و إنكب من أعالي الهظاب نحو القعر متسطحاً على كل غصن يشاركه ألمه وإنهياره ،فلا هو يرى ولا الرؤية تسمح له بدلك ،فقد ولد مكفوفاً وسمعه ثاقب الصمت والهمس معاً ،لقد ولد المرتضىَ ،فإكتسب رضى الطبعة وإنغمست شعائر العلاء في عروقه بدل الذماء فلا هو يرضى بالقعر ولا حتى إنبساط فقد إعتاد العلو والمرتفعات ،فأي رهابة تستحق أن تغتشي في هكدا إنسان ؟.

ففي لحظة أضاعته الطبيعة عند فمِ التحضر وإنفصل الحبيب عن معشوقته ،تَائقا في فضوله لتلك الجماعات التي تعيش بالأضواء ،بالضجيج الدي ينبعث من أعماقهم فيحدث إنفجارا صاخباً بدعوى إنساني المزيف ،فإنحنى الى أرض يسمع تخبطاً فلا هو زلزال ،ولا نهاية هدا العالم ، إنها فقط مداعبات بشرية رقصات تهريجية لفاقذي العقول ،دوي البشرة الساذجة ،فأخد الصبي يركض ليرى بني جنسه ،وهل يشبه أحدا،منهم ،وعندما وقف بمحادات التجمع ،إنطلت عليه المزحة ،بل أصبح فُكاهياً لزجاً لا يضحك أحداً ،أبصرته أعين وإختفت ،وبادلها نفس النظرة وبقيت متشبتة بعقله الطفولي ،قال :

أهدا هو إنسان !

مرت دقائق على الحلقة وإنفك حيلها وإنخلعت جميع الرقاقات ،فدهب الجميع نحو وكره العزيز ،فبقي الصبي وحيداً بين أزقة يرشقه الثلج في كل حين ،فلا هو يتوقف ولا يستمر في التساقط ،فللحظة إنكب طفل في ريعان من شبابه خارج منزله ،فإدا بأبيه يصرخ كالجاموس " لا اريد رؤيتك هنا مرة أخرة" فإندلعت المشاحنات بين الاب وإبنه ،فأغلق اب باب منزله والطفل مرمي في الشارع ،فوقف الصبي عليه وما كانا متفاوتين في العمر وقال له : مادا بك ،هل أنت خائف من الظلمة؟

فقال له الطفل وعيونه تقفز شراً :

مادا قلت لم أفهمك !

فقال له:

لربما جيلك يستحق افضل ولربما يستحق اسوء !

فقال الطفل:

لا نحن نستحق أفضل ،نحن أسياد الغد ،وكل رغباتنا مباحة .

ضحك الصبي وعاد مسرعاً نحو الأذغال ،فعندما توجت نفسه بالهدوء قال :

لا تناقش كلبا في الخير وأخلاق والوجود ،فعظما يكفيك لتسكته طوال القرن !

عاد في اليوم التاني لنفس المدينة ،فلم يجد ما يغنيه من السكوت حتى أنه بدى لنفسه مركز تلقى فيه كل الحاويات ،فقال:

على المركز أن أبلغ ،وما البلوغ سوى أسمى فضيلة "

فتوجه لوسط المدينة والبشر متخالطين من كل انواع ،لا احظ رأها او إستغرب لمنظره ،بدى رثاً للغاية ،جسده النحيل البادي للعيان ،لم يكن لأحد ان يراه كما يرى نفسه ،فرأى قطيعاً من الخراف مشكلة دائرة يتشابك فيها الذكور وإناث،فلا هو يدرك ما يفعلون ولكن يبدو عليهم شيئ فضيع ،الكل يرسم على وجهه ملامح غريبة ،فهل يبتسمون فعلاً ،فجأةً حظر الوسيمون للحفلة وقلبت حرباً وبدى صوت الوحوش في الغابة أقل وحشية من هاته الضجة المسمات " حفلة " ،بقي الصبي واقفاً يتصبب عرقاً وهو يتأمل الفعل القادم ،فالبشر لا يمكنك التنبؤ بأفعالهم

،مهما كنت تمعن النظر في مظاهرهم ،لقد إحتاج المرئ لحبيب فقصد الحفلة ،والآخر إحتاج لفراق فقصد راقصة حانة فقط ليغيض حبيبته المزيفة ،فقال في نوبة من الغضب الشديد"

أهدا هو إنسان ؟ أهدا من يستحق كل هدا ؟"

ضحك في خفوت وغادر ،وفي طريقه وجد عجوزاً تحاول سرقة أزهار من حديقة جارتها المسمومة ،فإدا بجارتهما الثالثة تستغيتها".

"يا أم فضل ،أخرجي هناك سارق في البهو "

خرجت الجارة ووجدت العجوز قد إقتطفت بعض الزهور ،فصمتت قليلا ،فإبتسم الصبي وقال"

لا يمكن ان يكون العالم أسوء فعلياً مع وجود هكدا طبائع تحيي صيت إنسانية"

للحظة إنعمت البصيرة على الكل وقالت الجارة الثالثة "

اوه عليك يا امَّ فضل لو انني في مكانك لأبرحتها ضرباً "

تمَّ شَحَنُها بِنجَاحٍ ،فَلا هي تريد أن تظهر الشيطان وهو يريد الخروج من غفوته ،فتدخل المحارب النبيل في ازياءه التنكرية فقط ليخرجه الى المسرح ،فهل رأيتم كم هدا الفعل النبيل يستحق التقدير؟

صرخت الجارة على العجوز وخرج زوجها في باقى من الأناقة الفكرية تكسو المشهد ،فإدابه يشارك في المسرحية ،فأخدت العجوز تصرخ رغم أن أحبالها الصوتية قد اصابها الصدأ فلا هي تكف عن الصراخ ولا حتى الجارة فعلت دلك،الكل يصرخ كحضيرة من الغنم الجائع يصيح لصاحبه "

أحضر العشب فقد متنا جوعاً"

فقالت العجوز :فقط اريد زهرتين لحفيدتي ،لأفرحها اليوم ،لأنها ستخرج من المستشفى ؛فضحكت الجارة وقالت:

ما ذنب زهراتي ،بفرحة إبنتك !

عندما بدأ الصراخ،يتعالى إرتعب الصبي وفرَّ عائِداً نحو مدْفَأَته وهو يقول :

أفَضِّلُ العزلة على أن أكون ضحية كل هدا "

عاد تحت أغصان اشجار مثعبا أرهقه كل دلك الصراخ ،حتى ذهنه لم يتوانى في إنقلاب عليه حتى أَسمَعه دلك الصراخ تانية لربما أنفاسه تتقيأُ ما قد غلغل في أنفاسه فلم يجد فيها سوى الطرد بدل إحتماء ،وقال الصبي :

" مادا لو أراد إنسان العيش وحيداً ،فهل يقدر عليه؟"

تم في لحظة ما إستجاب عقله لرعشة من الخارج ،سنجابه الأليف يُـلقِي عليه بعض الثمارالطازجة تم يقول:

" أن تحيا بين الشجر خير من أن تصارع البغال في كل ثانية تقضيها وسط الحضيرة" المجتمع"."

فجلس الصبي بجانب صخرة كبيرة يبحث عن شيء ما ،مهلا إنه يبحث عن نفسه أصغورية تلك التي كانت قبيحة تسكن الأعماق بدل المرتفعات ،فوجد حصى صغيرة وأخدها وقال :

**

كنت أعيش كمن يعيش فقط ،ولم أكن حيا ابداً"

**

ترعرعت في المدن وإستقيت نفسي من الوحدة "

للحظة توقف عن الحراك ،بل كان يفكر ،فقال :

العبث هو أن يعيش المرئ دون مبادئ"

فأخذ يكتب على الصخرة جملا ويعنونها بأرقام فكتب أربعة مبادئ تخُصُّهُ هو :

(1)

أن تنجو من العِقَـاب ليْس حلا ،

الحل هو أَن تعاقَبْ.

(2)

إنَّ أجْدَرَ إنسَان بالَولاَدةِ،من يرْفُضُ أن يَكوُن تابعاً،

وأن لا يَخْضَع لأيِّ رأي مَهْما كَان مُكَلِّفاً.

(3)

إن ما يفْسِدُ طبآَع المرئ علاقاته ".

(4)

على كلِّ غَزاَلٍ أن تَحْذَرَ،ففي كل مُنعَطفٍ يوجد ذِئْب ،وكل ذِئْبْ يَجْتَهِد في أَن يَـكوَن نبيلاً .

***

لو غدى المرئ شيئا من غير نفسه ،ليعود تائقاً الى نفسه القديمة ،مع كُل تلك الأثقال الموجعة التي قد تتسبب له بإعاقة ،ولكن مع كل هدا لا يكف عن النذم في لحظة إمتنعت الرغبة عن الحصول ،فالأعزل يُجيد إنتقاء الرغبات التي تصلح له ،ويكبح من لا يصلح ،فالوقت لا يتطلب الطيران بل المشيَ بأبطإٍ سرعة ممكنة ،فلا يحتاج إنسان سوى لسلاح ليُسْقِطَكَ من أعلى الرَّقَـاَءِ فقط لِتَسْتَوي مَعَه في كَفَّتهِ.

العَيْشُ أَعْزلاً يَتَطلَّب القُوةُ ،وتِلكَ القوةُ نفْسُهاَ تتَطَلبُ مبَادئًا تحكمها "

فلِكُلِّ أَعْزَلٍ نَمَطُهُ الخَاصْ فِي العَيْشِ ،فلَيْسَ كُلُّ أَعْزَلٍ يُقَاطِعُ نَفْسَهُ،فيَرْتـادُ الى خَلْوَتِهِ بَعِيدًا عَنِ الآخَرِينَ ،بَلْ يُوجَدُ مَنْ يَعْتَزِلُ فِكْرَهُ قَبْلَ جَسَدِهِ ،فَالكُلُّ يَظُنُّ أنَّ العُزْلَةُ هِيَ أَنْ يَبْقَى المَرْؤُ وحِيدًا دُونَ أَنْ يُحادِثَ أَحَدًا ،وَلِكِنَّهَا عَكْسُ دَلِكَ ،فَهِيَ مَقْبَرَةُ العَلاَقَاتِ ،والذِكْرَيَاتِ ،إِنَّهَا لِرُوحِ قَبْلَ الجَسَدِ،فَحِينَمَا تَعْتَادُهَا،فَتَعْتادُ قَتْلَ الذِكْرَيَاتِ الطَائِشَةِ،وَعِنْدَمـا

تؤُقِنُ أَنَّكَ إِحْتَرَفْتَ فِي طَمْرِهَا بِشُعْلَتِهَا البَائِسَةِ،لِتَعُودَ إِلَيْك وَسَط خَلْوَتِكَ بِعِتَـادِهَا فَقَطْ لِتُشْعِرَكَ بِالنَّدَمِ ،وَالإِرْهَاقِ ،إِنَّهَا تُجِيدُ التَّأْرَ لنَفْسِهَا ،كالشُّعُورِ تَمَامًا عِنْدَمَا تُحْسِنُ إِبْطَالَهُ فِي لَحْظَةٍ مُزْعِجَةٍ لِيَنْتَظِرَكَ حَتَّى تَخْلُو لِيُصِيبَكَ بالشَّوْقِ والنَدَمِ لِعَدَمِ تَحَقُّقِهَا.

كَانَ البَرِيقُ بَرِينًا ،وكُنْتُ المُتَّهَمَ الوَحِيدْ ،فِي تِلْكَ المَسْرَحِيَةِ ،ومَا إِعْتَدْتُ الهُرُوبَ مِنَ الَحَـرْبِ دوُن أنْ تَنْتَهِي ،ولِيَفوُزَ الأقْوَى بَيْنَنَـا ،المُحْتَـالَ أَيْضًا لَـهُ نَصِيبُ مِنَ الفَوزِ ،فَأَبْقَتْ نَفْسِي عَلَى صَمْتِهـا فَلاَ مَعْنِى لِصَوْتِ بِأَنْ يَعْلُو مَادَامَ أَنَّ الجَمَاهِيرَ أَصِمَّـاءُ.فَإِخْتَرْتُ الجَحِيمَ بَدَلَ الحـفْلَةِ ،وإِنْتَشَلْتُ كَالخَيْطِ منَ العَجِينِ ،مِنْ كُلِّ مَسْرَحِيَّةٍ هَزْلِيَّةٍ بَدَتْ لِي ضَرْبًا مِنَ التَّفَاهَةِ ،فَأَخَذْتُ أخُطُّ مَبَادِئِي لِيَسْتَمِرَّ عَيْشِي سَلِيمًا دُونَ عَدْوى ،فُكُلُّ مَا كَتَبْتُ أَلْصَقْتُهُ فِي دِمَاغِي كَيْ لاَ أَحْتـاجَ لِحَمْلِ شَيْءٍ ،فَيَتَطَلَّبُ الدُعْرَ فَيَحْضُرُ الْفُضُولُ.وحَتْمًا سَتَرَى أنَّهَا جُمَلٌ عَادِيَّةٌ وَلِكِنَّ مَفْعُوَلُـها خَارِقُ لِرُوتِينِ العَيشِ ،فَكُلُّ أَحدٍ وَمَبَادِئُهُ وتَخْتلِفُ بِـاخْتِلافِ الطَّبَائِع.

المبــادئ:

١

لا تَثِقْ فِي أَحَدٍ ،فَالإِنْسَانُ مُجْبَرٌّ علَى الوَفَاءِ تَبَعًا لإِمْتِلاَكِهِ أَقَلَّ الفُرَصِ الفُرْصَةُ الأوُلىَ وَفَاءٌ، والثَّانِيةُ مَكْرٌوالخِيَـانَةُ وَذَهَـاءْ .

٢

دائِمًا سَتَجِدُ مِنَ الغَرِيبِ ،رُوحًا إِسْتِثْنَائِيَةً ،لَيْسَ كَبَاقِي مَنْ مَرُّو عَلَـيْكَ الِى حِينٍ تَعْتَادُهُ ،لِيَذْهَبَ الحَمَاسُ و المِثَالِيَة أيْضَا،لِيَظْهَرَ مَعْدِنُهُ الصَّدِئْ لِيَغْدُو كَمَنْ مَروُّ ،فَلاَ يَبْقىَ مِنْهُ سِوىَ لحَظَتُهُ مِنَ الغَرَابَةِ.

٣

عِنْدَمَـا سَتَعْتَادُ الخُضُـوعَ ،فَحَتْمًا سَتُجِيدُ فَنَّ التَّلوِينِ مَعَ إِحْتِرَافِ لَعْقِ أحْذِيَةِ.

٤

لَسْتَ ذاَ فَائِدَةٍ دُونَ فَضِيلَتِكَ،كَبَاقِي إِخْوَتِكَ الحَيَواناتِ.

*

أنْبُذُ كُلَّ ذَكَرٍ يُفْرِطُ فِي فَكِّ أَزْرَارِ قَمِيصِهِ و خَلْعِ بِنْطَالِهِ بَدَلَ أَنْ يَفُكَ نَفْسَهُ مِنْ سِلْسِلَةِ رَغَبَاتِهِ الفَضِيعَةِ و يرْتَدِي سَفْحًا شَاهِقًا مِنَ الفَضِيلَةِ.

٥

الصداقة خدعة إخترعها الضعفاء فقط ليساومُو قَـوِيًـا على فُرص نجاتهم.

٦

الحُبُّ مُـزحَـة تفنَّـنَةْ الغَـريـزَةُ فـي تَجْـميلِهَاَ.

٧

القَطِيعُ مَسْرَحُ لِلْمُدَاعَبَـاتِ الصِّبْيـانِيَةِ،والتَّهْريجِ اجْتمَـاعِي.

فَالشَّجَاعَة تَـتَوَلَّدُ فِي العُزْلَـة أَمَـا الجُبْنُ فَيُـنْجِبُهُ القَطِـيعْ.

٨

كُلُّ رَأِي تَابِعٌ لِصَاحِبِهِ ،فَكَيْفَ لكَ أَنْ تَظُنَّ

أَنَّهُ سَيَخْتَصِرُ كُلَّ دَلكَ الحَسَدِ ،فِي قَوْلِهِ " أنا أشاطرك الرأي".

٩

إياك والبقاء في علاقة لم تجْني من وراءها سوى صداع لرأس ،فبعدها ستحتاج لمُزيِّلِ السُمُوم.

١٠

الحياة ،لا ينفع فيها اللُّطْفُ ،كُنْ شَرِسًا وَمُبَاغِثًا عَلى انْ تكون المُبَاغَثَ ،ومركز كل السهام.

١١

العزلة للأقوياء ،لدوي إرادة الجبارة والشخصيات الشرسة ،وليس لدوي الطبائع الميتة والقطيعيين.(اجتماعيون.)

١٢

لطالما شَعرتُ بالحُبِّ في خُفَيْ ،وَلَكِنَّنيً إمتنعت عن خلعهما ،لكي لا تدهب بدايتهما سُداً،فأُأْلَفُ البَحْثَ عنْ جَواربَ جَدِيدَةً تَحمِلُ نَفْسَ الحمَاسةِ.

١٣

إياك ومصادقة أحد،فالكل يجيد إحتفال بنصره والقليل من يتستر عليه.

١٤

لا أُعْطِي فُرْصَةً لأَحَدْ لَيَنْجُو منْ غَرابَتَي ،فَيَدْخُلَ حَيَاتِي ،لِيُخَرّبَهَا بإِسْمِ المُخْتَارْ ،لأنّي لاَ أحْتَمِلَ أَنْ أُضِيعَ نَذَمِي عَلَى بَشَرِيٍّ حَقِيرٍ.

١٥

منْ نَفْسِ الرَّحِمِ يُولَدُ الَعُظَمَاءُ والأَنْذَالُ ِلدَى لَا تَتَفَاجَأْ ِعنْدَمَا تجِدَهُمَا أخَوانْ.

نَبْضٌ و لُقَمَـةُ

***

إن أسوء هي أن يعتاد المَرئ ،ويألف لحظة مسرعة من بين لحظاته ،قَدْ وَجَدَ فيها بقـاَياَ السعـادة متناثرة في أرجاء ليقتطف منها القليل فعندما ينحني تأتيه الرياح مما لا يشتهي لتحمل كل شيء لمكان آخر ،لا يوجد فيه أحد، فلا يحصل المرئ سوى على خيبات أمل ،كرغبة تَشتَهِي الحصول ،فتَكَادُ تَحْصلُ عَليهِ ،ليدْخُلَ المَانِعُ ليُكْبَحَ صَيْتُهاَ،فتتَولد خيْبَـاثُ الأَمَلِ القاتلة ،تُخَرّبُ الذات من الداخِل .

عندما أضحينا عزَّلاً ،وعندما فَقدْنا ذلك الوزن الزائد ،وأصبحنا نحيفين للغاية ،لم تتوقف الحياة ولم تصفق أيادي لهدا الخبر المريع ،فطبعاً المرئ يصفق فقط لنفسه ويرغب في ان يمدحه الكل ،ولا رغبة لنا أن

نكون خلف المقاصد ،ولا حتى مكان تلك السهام المسمومة ،فبخروجنا من بحر الظلمات ،نحو بحيرة يجلس فيها الصقيع مع برودة الجو و أنامل من السماء تمطر ورداً فتخجل الظفادع وتبقى مختبئة وسط البحيرة لا تَظْهرُ منها سوى الرؤوس ،كنا على الضفاف تبصرنا أعين من بعيد ،فتهرب خوفاً ،وحوش طاغية في أعماقها ترى الكل وحوشاً ،فما كان يهمنا رأي الآخرين ،فحثْما لا طائل منه ،فإما أن يكون منحرفاً ،يسممون صفاتك النبيلة وإما يحاولون حَشْوك بمدحهم المزيف فكلتا الحالتين لن يزيدك شيئا سوى صداع لرأس.فعلى الأنسان الأعزل أن يُـجِيد إنتقاء آراء ولا يأخذ بأحدها ،فالكل يريد أن يكون حكِيما ،والحكيم مَسْجُـون في بئر مهجور.

اليوم هوالتالت من آذار ،لا أعلم من اي سنة ،المهم أن الربيع يكسو أَعماق الغابة وحتى النسيم يجيد الطيران مُـحَملاً برحيق أَزْهار ،فمهما فَكُّرْتَ فلن تَعلَم مَا الوقت الدي أنت فيه؟ ،فالأعزل لا يهتم سوى بإنتهاء يومه ليولد من جديد في اليوم التالي ،ولكنني لم أولد مرتين بل ظللت كما كنت البارحة وسأكون أنا نفسي غدا ،الجديد في أمر أن خيبات الأمل تزداد يوما بعد يوم ،وتلك الذكريات الوقحة تباغتنا في كل ثانية حتى في الكوابيس تحاول أَنْ تَكُونَنـا،بلْ التطفل علينا فقط لنقول انها جزء منا ونحن مِنْ بَيْنِ ممتلاكتها .

لا شيء بعد ،لم أمتلك فنجانًـا من القهوة لأجلس على منبضتي بجانب النافذة وأحتسيه من شدة البرد ،وأنا أَتطلع لدلك الطقس المثلج في الخارج مع كتاب في يدي يحمل عنوان " إياك والعيش أعزلا" ،لربما قصد إياك ورؤية نفسك على زجاج عند قدوم الشتاء ، فلا أحد كان معي

ولا حتى نفسي بقيت تجاهد في ذلك الجسد المرهق ،ظلت تُمَاطِل في البقاء حتى مَلَّتْ و غادرتني بكل وقاحة ،فَالمرئ عندما يَجِدَ مدْفئة وحُضْنِاً دافِئاً لن يخاف الشتاء القادم .

نـَبْضْ ،أُبْطِل النَّبْضُ ،هل مَاتَ المريض أَمْ الَقلْبُ لم يتَحَمَّلْ كل تلك الخيباث الفضِيعـة ،لا أعلم متى َسينْهَـار وعلى مادا سـيَحْصُل ،ولكنني متَيقِّن أن القلب مهما أثقلته الحجارة وسحقته الخيبات ،فلن يعاود المسير كما كان ،ولن يحصل سوى على ردٍ ثقيل ،عندما تحاول الدات سؤاله :

هل تَصْلُحُ للقيادة ؟

مَاتَ أَعزلاً،لم يمُتْ مَعه أحـد ،وهدا مصيرِكُلِّ إنسَانْ، فهناك من يُـجِيدُ التَّمَاهِي مع الجَوّ ،مهْما كَانَ الطَّقْسُ مُرِيـعاً ،فَحَتْمًا هَـداَ الكِـيَاَن يَصْلُحُ لمُزاَوَجَة طَبِيعَة" العيش فيها ".

بدىَ الجَوُّغاَضِباً وصَبْرُه مُنعَدِم ،فحتى المُتَنَفَّسْ مع كل تلك الحُلْكَةِ التيِ قد تَجْعَلهُ داَفئاً،لم يَعْتَـدْ كل تلْك البُرودَة ،فما عاد يَصْلحُ لِلإرتِـكاَنِ فِيه بَل المحَافَظَة عنِ النَفْسِ بِداَخِلِه.غَزَتْهُ الثلَـوجُ وأثقلتْه بِـبَيَاضِـهاَ فَعاَدَ يُـشِعُ من شدة البَهْجَةِ،فمن منْكُمْ لم يُبْهَجْ عِنْد مُـلَاقَـاتِ الثُّلُـوجِ !،لا أزالُ واقِـفًـا علـى قَـدَمَيَّ الْلتاَن تَتحَمَّلاَن قَـسْوتيِ وقَسْوةُ البَرد معاً ،المَنْبَضَة مثْلِجة والكُرْسِيُّ أيْضًا،حتى السرِيـرْ أسْتشعِرهُ بارِداً قد يُـدِيبنِي إن أخَدْتُ لمْسَةً مِنْهُ،فلا أظن أن العالم قد أثْـلـجَ لرُبمَا أَنـَا من أُثْلِجَتْ أعمَـاقهُ فَما عـَاد يَرىَ أمَامَه سوَى الثلْجُ ،إنها إحدَى ممَيزاتِنا نَحنُ العُزَّلْ.

كان مُجَرَّد نبْضٍ كَـغَيْرِهِ من النَبَضَات المـارَّة والتي تسْرع في الزَّوالِ ،ولكنَّه كانَ الأخِير ،الأخيرُ في إنْهَـاءِ جَميعِ أشْوَاط ْ،بدى أمر مُثعِباً حتَّى في الزَّوَالِ،كم سنتْعَب أيضاً ألم يكتفي ألم من مزاولتنا كل هده السنين ..

نـَوْبَـةٌ مِن إِحْتِـضَار،ونوْبَة منَ الحُبْ ،المنزل الـمهْجوُرْ ،لكنه مسْكونٌ،المعْتزلة يَـغُطُّ في السُّبَـاتِ، كَـدُبٍّ لا يُـوقِضُهُ سِوىَ الشّتَـاءِ،فهل لكم لتغتنمو فرصة رُقوُضِهِ لتُزْعِـجُوهُ وهُو نَـائِم "هادئ"،فينهض مُحْمَرَّ الـعيْنَينِ ليُنهِي جَميعَ أَشْوَاطِ وكُلَّ مُـدَاعَبَاتِكُم الوَقِحَةِ .

كيْف يشْـعرُ المـرئ ،وهل الشـعُور ذَنْـبٌ أم عِقَـابْ ؟

إن كل بداية في قصص الحب تبدو نزاهة وجودية لدلك الريح من السعادة الهجينة ،فعندما يغادرهم النسيم ليأتي ما تبقى منه " الغبار" لِتفوح عاقبة النذم و السوء المفجع فلا يَتُـوقُ المرئ سوى ليعيد البدايات لبدايتها ولا يكف عن إعادة دلك ،كان مجرد نَـبْضٍ قد حَضَر في ثانية ضائعة لم تكن فيها الذات واعية بنفسها ،مخالطاً لصَمت الغريزة فَـيَزُج بالأحاسيس في رهاب الضياع لينصب النذم على رأس الخيباث في لحظة غامرة الغريزة وخرجت الى المسرح .

إنهيار على وشك الإنحماء وراء كل جثة سرمدية ،فلا الحجارة تظْهرُ ولا بقَـايَـا الخَـراب المدَمِّر ،الكل يصطحب تلك الصفات النبيلة في محاولة لإرضاء أخرق دو القلب الكبير ،دو النبالة المزيفة ،إن المرئ لطالما أتْقَنَ فن التَّجمِيل ،ونحن الدين لا نجيد حتى قَـوْلُ "شكراً " لِفِعْلٍ رأينَـاه صَائِـباً في حَقنَـاَ،لطالما بدونا أسوء الفصائل على إطلاق لمُجَردِ أَنَّنَا لم نبتسم بتلك التفاهة في وجوه البعض ،حتى أنهم ولو يألتهم عنا لأخفو الحقيقة تحت تيابِهِمْ واصفيننا بالمعقدين ،لسنا نجيدُ غَيْرَ الحقيقَة ،واقعيون لأقصى درجةَ ،وهده الحياة لا تُنَاسِبُ الواقعينَ فقط تحب من يجيدون الفرارَ كالجرْدَان ،ويـُلَوِّنوُنَ جُدْرانَهُمْ البائِسَةِ باللَّوْنِ الوَرْدي ،ثائقين لإخرَاجِ تَخَـيُّلاتهمْ البَخِيلَـةُ الَى أَرْضِ الْواقعْ،فعصرناَ هدا قد تَطَبَّعَتْ فيهِ ثغَرَات لا يُـضَمِّدُهَـا مَعْجُون الأسْنانْ،حتى غَدىَ المرئ يَبْتَعدُ عن الواقِع ،لينحَبِسَ في عَـالَـمِه الخَـيالي ،مع روايته الخيالية وأفلامه

الكوميدية وحتى إن مَرَّتْ عَيْنَـاَه على واقعة بَشِعَةٍ لِيُغْمِضَ عَيْنَـاه خَـجَـلاً ورُبمَـا يُـكَسِّر التلفازَ تَكْسِيراً،فهدا إنسان هو إنسان عصره ،فَرِحٌ مُدَلَّلٌ لقَـطِيعِهِ ،ينبَغي إبَادَتُ كل من ينْتَمي لهَاتهِ الفَصِيلة ،لكَونها لن تُنْجِبَ غَـيْرَ الـرعَـاع ،من لا يَصْلُحُون سوى للْبكَـاَء على خلفَـاءهِم من الضفادعْ.فالإنسان الدي لا يَـقْدر على أنْ يَكُون إنسَاناً،الدي يكونُ تابعاً طوال الوقت ،لن يَفْضِي لِيُنْبِتَ لِنَفسِهِ ماَ يُعْلِي بِهَـا ،بل سَيُنْجِبُ مَنْ يُكْمِلُونَ هَداَ الْخُضُوعِ بِدَعْوَىَ أَنَّهُمْ يُحَافِظُونُ عَلَىَ ذَمِ عَشِيرَتِهِمْ وَشَرَفَهَا.

لنْ يَـعْثُرَ المَرئُ علىَ نفْسهِ مادَامَ يَـبْحَثُ عَنْهَا في بِـرْكَـةِ خَـنازِيـرَ مُوحِلَـةٌ .

***

نَبْضٌ ولُقْمَةٌ ،تَكْسُوانِ كُل القُلوُبِ،وهَل لِقلْبٍ ألاَ يَكوُن مُجرَّدَ نبْضٍ ولُقْمَةٍ ،فيَـا سَاكِبَ الـخَمْرِ أَسْرِع في سَكْبِكَ ،فَالقُلُوبُ تُمَاطِلُ لكَبْحِ أوْجَـاعِ،ياَ مُلْتَهِمَ أحْشَـاءِ تمَهَّلْ ،فمَا تَـبَقَى فِيـناً سِوى بقايَـا الغُبَـارْ،فَهَل تُـجِيدُ إنْتِشَـالَ ذَرَاتِنَـا مِنْ بَينِ الـتُّرَابْ،القلْبُ لا يحْتَـاجُ سوَى لنَبْضْ وهُو نفْسُهُ الـلقْمَة،فَكَمْ منْ قَلْبٍ أجْحَفتْه اللقْمَة بَدَل النَّبْضْ،فاللُّقْمَةُ تُذَوُّقْ و النَّبْضُ حَيَاةْ ،فكُنْ مُحْتَرِفًا في إيجَادِ نَبْضِكَ بَدَلَ إكْتِفَاءَ بالتَّذَوُّقِ.

فَـأكثَر المشَاكِل تَتولد عن الصِّراعْ بيْن اللُّقْمَةِ و النَّبْضْ،وفي هدَا الَعالَمْ لم يَبْقَى نَبضْ فقَد حَكَمتْ الحَيَـاة لصَالح اللُّقْمَةُ،إيَـاكَ والعَيْشَ كَـفُـقْمَةٌ ،أو اللُّقْمَةُ نَـفْسُهَا،فالحيَـاة يَكْفيها من التابِعينَ وذوي الطَبَـائعْ المَيتَة ،وأشبَاهُ الرِّجَالْ ،اَلَّدين بِفَضْلِهِمْ إنْدَحَرَتْ إنْسانِيَّةُ.

ولَزَالتْ السلَالاتْ تُدَافِـعُ عَن خُضُوعِهَا ،بَل تريد تعْميمَ التَّبَعِيَّة

تَوَقَّفْ عن العيْش كالبَاقِي وإحْياَ كماَ تَرْغَبُ أنْتَ.

«١»

بدون فضيلة ،لا حاجة ليستمر إنسان في العيش ،فحتى وإن عاش فلن يكون سوى جردٍ تتَقيَّأهُ الحاَويَات ،لا يصلح سوى لمراقبة المجاري وأكل الخردة.

«٢»

أبسط ما يفعله إنسان تجاه نفسه،هو إبتعاد بقدر إمكان عن مايسقطها ويحط من قيمتها.

«٣»

أستيقظ في كل يوم ،وقبل غسلي لوجهي ،أُطِّلُّ من نافدة ،

فلربما تكون نهاية إنسانية والثوانِ التسعين الباقية منها عندي أنا .

فأخجل من تمضية باقي يومي وأنا أجوب أدغال مع رفاقي الذئاب.

«٤»

إن التَّعوُّدَ أسْوَء ما في إنسان ،حتى أنه يبَالغُ في إرضَاء بعض اللحظات التي تسْتَحِقُّ الزوال.

«٥»

البقاء مماطلا على ناطحة سحاب ،مع نسيم يكسو أنفاس و جوٍّ ساحر تحت نور القمر والنجوم ترقص من حولك ،أفضل من الجلوس على الشاطئ مع بعض الحمقى ،كل يرتمي على غباءه ،وكل ينام تحت قباحته .

«٦»

الإنسان بدون فضيلة كعلبة سجائر فارغة ،لا تحلو للمدخن إلا حينما تكون ممتلئة ،ويلعنها عندما تفرغ.

«٧»

البحثُ عنِ الفُرَصِ ،كَمُتَشَرّدٍ يَنَامُ خَارِجَ كَهْفِ ذُبٍ طَـائِشْ ،فَـحالَـما يُغَـادِرُ لِيقْتَاتَ ،لِيُسْرِعَ في إرتِماءِ داخِـل الكهْفِ ،ليَنعَم بغفوْة ،ثُمَّ تَنْتَهي بِسَمَاعِ خُطُواتِ مزْعِجَةٍ لذَلكَ الذُّبِّ وهو عَـائِـدُ مِنْ صَيدِهِ الـي وكْـرِه .فَيَفِرُّ هَارِبًا ثُمَّ يُعَاوِدُ الرُّجُوعَ غدًا الى أَنْ يَكُفَّ الذُبُّ عنِ الخرُوجِ ،اوْ أنْ يَقَـعَ الـمُتَشَرّدُ بَيْنَ فُـكَيْ الذُّبِّ..

فَإيَـاك وإعطَاء فُرْصَة لِذُبِّ كَانَ أَو ذِئْبٍ ،لألا تَنْدَمَ ،فَتَفْقِدَ نَفْسَكَ ،لتَكُونَ الوَلِيمَةَ الدَّسِمَةَ لِلَيْلَتِهِمْ الفَاخِرَةِ.

فَـلا يَنْفَـعُ النَّدَمُ عِنْدَمَـا لَا يَبْقىَ مِن الْولِيمَةِ سِوَى العِضَام والدَسَمْ.

❋ ❋

أيُّهـَا الجيِل ِمن الضَفَـادِعِ اِلى مَتَى سَتَبْقَـى أَعْيُـنُكُـمْ منْصُوبَـةٌ علـى بِرْكَتِـكُمْ المُوحِـلَـةِ وألْسِنَتِكُمْ الطَـويلَـة التِي تَـسْتَـفِز الدبُّـابَ بِعَجْزِهَـا كلَّما إهْتَدىَ الَى الخَـلَـاصِ.

❋ ❋ ❋

راحَ الشَّرَفُ ،راَحَ!

داعَتِ أَصْواَتُ صَارِخَـةٌ مُخَـرّبَةً

تُـظْلِمُ الأنْـفَاسَ ولِلأَعْيُـنِ قَـاتِلَـةٌ

تَفَضَّلوُ يَـا أمَّـة اليأْسِ ،يــا نفَسَ الجَحِيمِ !

الرَّقْـصُ لكُمْ واالحَـانةُ لنَــا ..

الجـَاريَة لِلْحُضُورِ..

ضَـاعَ الشَّـرفُ ،وألحـَقْنَـاهُ بِالإنسَـانيَّة !

إنَّ أسْوَء أمَّةً قَد دَفنَتْ قُرُونًـا مِن العَظــمَةِ تَحْت ثَوانٍ ِمنَ الطيْشِ بل تـانيَة من العُهْرِ(إغْتِصَابِ)

الويل ،الوَيل لأمةٍ اغْتِصِبَتْ شَتَائِلُهَا!

الشَّرَّفُ يَرْحَلُ والإنسَان يَرْحَلَ !

كائنات بكماء .

***

إني أسعى لتحطيم كل كيان ،فقط لأعيد له كيانه ،

وهكدا تضخم الكره في كبد البغضاء حتى ظنو انني أحاول أن أصيبهم بسهامي القاتلة غير أنها لا تقتُل أَحداً بل تُحيِي كل أحدا.

***

❋ ❋ ❋

هديان"

سوالف سوداء تمطل الغيوم،فتأسر كل القلوب وأعين كنسر محلق يصطاد الأعماق ؛فلا يترك فيها سوى الفتاتِ..رأى الكسوف يغفو على الأتات كاسيا جمال الخلد في الرثَـاء ،فأنقشع القلب دعـيا من بين الرفاق فما إحتاجت الأوقات لما بعد المغيبحيت تسْكن العذراء ،حيت تنام على أنغام كل القلوب .أحسستها تنادي المجرات حتى الكواكب تحسن سمعها،بل تطرب بصوتها الباعث الى الهيام.وجدتها تغفو على شاطئ تمدنا بالنور ساطع ،بوهج يسقط القلوب وما لقلبي الا ان يبلغ القاع.فغنو معي أناشيد المساء حيت يغفو كل النيام ،حيت يحب كل من يجيد الحب !أنجدوها من قلبي وانجدوني من حبها،فما رأيت ملاكا يسقط مع النجم قط !اليرتوي من أعماقي ،فيسرق مني القليل!فلا هو يمضي

ولا المضيُّ ينقضي،ألا وإن في الحب ما يحلو به الحياة .حيت ترقص العذراء على انْـغام قلب،فتحتكم الأسوار فلا ردَّ بَعْدي..بواعثٌ من الحنين تصدن،فما من حنين يسْمَعُ ردِّي.بدتْ في الحرب غِمْضِي وفي السلم سَعْدِي ،براءة أنجبتها النجوم وإرتقت بين اللآلئ،ترقص فيفنى في جمالها قمري المجنون.رأيتُ فيها عشقا قد دمى ردهُ،وما لعشقِ لها قد أتى غمدهُ..

يا سعداء الليل يا لؤلؤة البياض،يا عذرائي،إن عشقي سنينا لم يمضي ،

في كل رد أعود ،فيعود قلبي من بعدي .

يوسف أسخيرة 1